النحو العربي وأثره في النحو العبري

للدكتور محمد حسن ابرهيم
(الجامعة الأردنية)

توطئـــــة

ليعذرني القارىء ان لم استطع مقاومة اغراء يلح علي في كتابة هذه التوطئة، التي قـــد لا يرى فيهـــا صلـــة وثيقة بمادة البحـــث . مصـــدر الاغراء والالحاح هذين كـــان تجربـــة شخصية مريـــرة اوحـــت الـــيّ بالتفكير فـــي كتابة هـــذا البحث ، ممـــا دفعني الى تتبّعه فـــي كـــل مـــا استطعت ان تقع عليـــه يداي ،ليجيء فـــي النهاية على هذه الصـــورة، التي ارجو ان تحفز غيري مـــن الزملاء والمختصين الى مزيـــد من البحـــث فيه ، والى استقصائه بشكل افضـــل .

فقـــد اتيـــح لي قبل سنتين ونيف ان اتفرغ للبحـــث العلمي فـــي بلد اوروبي ، ومـــا ان وصلته حتـــى سعيت الى الحصول علـــى كتاب تَعذّر حصولـــي عليه فـــي الاردن . وكان ذلك الكتاب احد المجلدات الضخمة التي شرعـــت دار مؤتون للنشر، في لاهاي،فـــي اصدارها منـــذ عقديـــن من الزمان او يزيـــد ، وخصصت كـــل مجلـــد لجانب من جوانب علـــوم اللسان الحديثه . امـــا المجلد الذي حرصـــت علـــى قراءتـــه فكـــان المجلد الثالث عشـــر مـــن هـــذه السلسلـــة،الذي خصصـــ لتاريـــخ

الدراسات والعلـــوم اللسانية عند مختلـــف الشعوب والامم (١).وكـــان مصدر اهتمامي بهذا المجلد هـــو رغبتي فـــي الاطلاع علـــى مـــا كتـــب فيـــه عـــن تاريخ الدراسات اللغويـــة واللسانية عند العـــرب . ومـــا ان اطلعت على هـــذا الجزء مـــن الكتاب وقارنته بما جـــاء فيه عن أمم اخرى،حتى اصابني الذهول ؛ فقد تبيّن لـــي ان المقالة الخاصة بالدرس اللساني عند العـــرب،قـــد أُسْنِدَت الـــى يهودي اسرائيلـــي،لم يجـــد مـــا يقوله عن ذلـــك التراث العربي العريق،الممتدّ عبـــر قرون عديدة، سوى احـــدى عشرة صفحة ، اضـــاف اليهـــا ثماني صفحـــات مـــن المراجع ؛ فكانت المقالة فـــي مجملها تسع عشرة صفحـــة،من بيـــن الف وخمسمائة وثماني عشـــرة صفحة،هـــي مجموع صفحات الكتاب . (٢) هـــذا في حيـــن استغرق الحديث عـــن المدرسة البنيوية الامريكية ، التـــي لا يتجاوز عمرهـــا نصف قـــرن،ما مجموعه مائتان واربع وسبعون صفحة من الكتاب ذاتـــه ، كما استغرق الحديث عـــن الدرســـ اللغوي عنـــد اليهود ستّـــا واربعين صفحة . وباختصار ، فقد كانـــت المقالة الخاصـــة بعلوم اللسان عند العـــرب،اقصـــر المقالات العشرين التـــي ضمّهـــا جزءا الكتاب الضخم ، بـــل اكـــاد اقول انها كانت ارداهـــا .

وقد ازدادت دهشتي حيـــن تحولت لقراءة الجزء الخاص بتاريـــخ النحـــو العبري،الذي كتبـــه يهودي بالطبع (٣)،فوجدت ان تلـــك المقالة لا تمـــتّ بصلـــة الى موضوع الكتاب . لقـــد كانت هـــذه المقالة سردا مفصلا لتاريخ اللغة العبرية،وليســـ لتاريخ الدراسات اللغويـــة عنـــد اليهـــود ؛ ولا ادرى كيـــف عُمِـــيَ محرر الكتاب،او تعامى،عـــن هـــذه الحقيقة،وادرج هـــذه المقالـــة في كتابـــه . عندهـــا اردت ان اجـــد الجواب عـــن هذا التســـاؤل الذي لـــم اكـــن اعرف عنـــه الكثيـــر ، فاخذت افتش عـــن بعضـــ المصادر والمراجع التـــي تعينني في معرفـــة

شيء عن تاريخ النحو العبري . وما ان فرغت من قراءة كل ما استطعت العثور عليه، حتى تكوّنت لدى قناعة بان المقالة المذكورة عن الدرس اللغوي عند اليهود، انما كتبت بالشكل الذي جاءت عليه، كيلا يعرف القارىء أن النحو العبري نشأ ونما واكتمل في كنف النحو العربي وبفضله . ومن ذا الذي يريد ان يعترف، في عام ١٩٧٥، بانه كان للعرب فضل على اليهود في اي وقت ، خصوصا اذا كان الكاتب يهوديا ؟ . ولم يذكر الكاتب العرب او اثرهم الا في عبارات قليلة معدودة على الصفحتين ١٣٠٨ ــ ١٣٠٩، كمثل قوله بانه كان للعربية اثر على العبرية في القرون الوسطى، حين دخلت الثانية بعض المفردات من الاولى، ويورد للتدليل على ذلك بعضا من المصطلحات الفلسفية، التي يقول انها ترجمة لمصطلحات عربية، اخذها العرب بدورهم من اللغة السنسكريتية . وفيما عدا ذلك لم يشر الكتاب على الاطلاق بشيء الى نشأة النحو العبري وتطوره، ولا يشير حتى الى اي من المصادر التي تعالج ما قصر هو في معالجته .

وسأحاول في الصفحات التالية ان اسرد، بشيء من الايجاز الذي لا بد منه، قصة نشوء الدراسات اللسانية العبرية وتطورها ، معتمدا في اغلب الاحيان على مصادر اليهود ؛ ثم اترك للقارىء بعد ذلك استخلاص النتيجة التي يراها عن اثر النحو العربي في نشأة النحو العبري وتطوره .

نشأة النحو العبري

لاحظ الدارسون لنشأة النحو عند امم كثيرة، ان هذه النشأة ترتبط عادة بالخوف على تراث لغوي للامة من الضياع او الفساد او

الحال . وقد يكون هذا التراث اللغوى ادبيا ، كما قد يكون دينيا . هكذا كانت النشأة الحقيقية للنحو الاغريقي في الاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد وبعده،حين بُعد العهد بأشعار هوميروس، واصبح من العسير فهمها،لاختلاف لغتها عن لغة العصر الذي كتب فيه النحو اليوناني .(٤) فكانت الغاية من كتابة النحو حفظ الادب اليوناني القديم ، وجعل دراسته ميسورة ، وفهمه ممكنا . كذلك كان الحال عند العرب،الذين ما ان احسوا بالتغير يعتور لغتهم من كل جانب بعد الفتوحات الاسلامية،حتى نهضوا لتدوين لغتهم وكتابة نحوها حفاظا على القرآن الكريم . ونجد مثل ذلك حين نتتبع نشوء النحو عند الهنود وغيرهم من الامم .

وأول ما يلحظه المرء عند دراسته لتاريخ النحو العبري، هو تأخره الطويل في الظهور؛ فالمعروف ان الخال بد؛ يتسرب الى اللغة العبرية بعد السبي البابلي وتخريب الهيكل،في القرن السادس قبل الميلاد، مما نشأت عنه حاجة للتأليف في النحو . ومن الطريف في الامر ان هذا هو القرن الذي يعتقد بعض المؤرخين ان النحوي الهندي العظيم « بانيني » قام فيه بكتابة نحو اللغة السنسكريتية ذي الاجزاء الثمانية ، والذي ما زال يعتبره علماء اللسانيات مثلا يحتذى في كثير من ابوابه ومناهجه .

لقد مضى على اليهود قرابة ستة عشر قرنا منذ حادثة السبي البابلي ، التي كان يصح أن تكون سببا في نشوء نحو عبري ، قبل ان يصبح لهم نحو بالمعنى المقصود بالنحو . غير انه لا بد،قبل التعرض لذلك بالتفصيل، من الاشارة الى بعض الدراسات اللغوية،وليس النحوية ، التي سبقت عصر تدوين النحو العبري .

كانـــت الدراسة اللغوية اليهوديـــة قبـــل نشوء النحـــو العبـــري تنصبّ علـــى التوراة ؛ وقـــد نشأ بتعاقب الاجيال تراث ضخم من هـــذه الدراسات، التي تعرف باسم « المأزوره »؛ غير ان هـــذه الاعمال لا يمكـــن أن تحسب في عداد الدراسات النحوية، لانها تقتصر علـــى البحث فـــي الحركات والضوابط التي تعين علـــى قراءة التوراة قراءة صحيحة، وعلى احصاء بعض الصيغ والحروف في التوراة ، (٥) دون أن يؤدي بهم ذلـــك الى البحث في اللغة واستنباط قواعدها واحكامها . في هـــذا الصدد يقول هيرشفيلد ان « هذه المحاولات جميعها كانت لخدمة الاغراض الدينية ، ومـــن المشكوك فيـــه ان اليهود كانوا سيفطنون الى وضـــع نحوهـــم، لولا الحاح المؤثرات الخارجية عليهم للقيام بذلك . » (٦) فما هـــي تلـــك المؤثرات الخارجية التي جعلت اليهود يكتبون نَحـــوًا لهـــم بعد كـــل هذه القرون من الغفلة وفتور الهمة ؟

هناك اجماع تام بيـــن المؤرخين للنحو العبري الذين رجعت اليهـــم، وكلهم من اليهود ، علـــى ان النحو العربـــي كان هـــو الحافز لنحـــاة العبرانية على تاليف كتبهم ، كما كان المثل الذي احتذوه عند التاليف، بكـــل دقائقـــه وتفصيلاتـــه . هـــذا في حيـــن نجـــد ان كتـــب تاريخ النحـــو والطبقات العربية ، قديمها وحديثها ، تسكت عـــن اي ذكر للاثر العربي في النحو العبري ، مع ان هذا النحو يصح ان يُعَدّ، من حيث منهجه واسلوبه، جزءا من التراث النحوي للعرب ، لان كثيرا منه كتب بالعربية، في بلاد عربية وفي ظـــل الحكم العربي ؛ كمـــا ان التاليف فيـــه ، كما سنبيّن فيما بعد، كـــان يحاكي المؤلفات العربية ويقتفي خطاها . ولـــم أعثـــر فيما كُتـــب بالعربية علـــى اشارة للاثر العربي في النحو العبري، الا في كتاب واحد (٧) استقى مؤلفه جل معلوماته عن هيرشفلـــد . هـــذا علاوة على اشارات مبتسرة كثيرا، فيما كتبه بعض العرب من مقدمات لمؤلفات وكتب تعليميـــة في اللغة العبرية . (٨) .

يعتقد هيرشفلد ان بداية الاثر العربي كانت في بغداد، حين اصبحت في القرن الميلادي الثامن وما تلاه من قرون مركزا لمختلف العلوم والمعارف ، ومنها النحو ، واجتمع فيها، في جملة من اجتمع، نفر من النحاة وعلماء اللغة، اخذوا يلقنون علومهم للدارسين، الذين لابد وان كان بينهم بعض اليهود والعرب . ويضيف هيرشفلد بان هناك دلائل اكيدة على الاثر العربي في المؤلفات النحوية العبرية الاولى ، حيث اسماء الحركات وحروف العلة في هذه المؤلفات هي نفسها في المؤلفات العربية؛ بل ان كتب اليهود النحوية الاولى كُتِبت بالعربية ، واستخدمت مصطلحات النحو العربي، واتبعت النسق الذي كان يتبعه النحاة العرب في كتبهم . (٩) .

اما عن النحو العبري في الاندلس ، فيقول وليام تشومسكي بان العصر الوسيط في اسبانيا ، اي فترة الحكم العربي للاندلس ، كان هو العصر الذهبي في تاريخ اليهود . فقد كان ذلك العصر غنيا بالفلاسفة والشعراء والعلماء، ويتطلع اليهود الى ذلك العهد دائما ، يستوحون فكره ويستمدون منه العزم . ولعل اعظم ما قدمه ذلك العصر كان في ميدان النحو العبري، الذي اصبح اكثر العلوم شيوعا، وبلغت المؤلفات فيه من الغزارة حدًّا لم يعرفه اي عصر آخر في تاريخ اليهود ، سواء من حيث الكم او من حيث النوع والاصالة . وعليه ، فمن اللائق ان يطلق على ذلك العصر « العصر الذهبي للنحو العبري . » (١٠) وتذهب دائرة المعارف اليهودية الى ابعد من ذلك، حين تؤكد ان النحو الذي وضعه اليهود ابان الحكم العربي، بمحاكاتهم للنحو العربي ومؤلفاته، كان ولا يزال النحو الوحيد لهم، الذي تَأَتَّى من دراستهم للغة العبرية واستقصائهم لها . (١١) .

الاثر العربـــي في النحـــو العبري

يعتبـــر سعديا ، وهـــو سعيد بن يوسف الفيومي ، الذي عاش في النصف الاول من القـــرن العاشر الميلادي ، ابا النحو العبري؛ اذ لـــم يصل الينا اي اثر في النحو العبري لمؤلف قبله . ومن المتفق عليه ان سعديا قـــد كتـــب ما كتب ، وهـــو كثيـــر لم يصلنا منه سوى القليل ، بتاثيـــر من الثقافة العربية الاسلامية التي عاش في كنفها وتمثلها؛ بعد ان تتلمذ لبعض اعلامها . (١٢) بل ان احد المصادر يذهب الى حد القول بأن سعديا، الـــذي نشأ وتعلم في العراق قبـــل رحيله الى مصر ، كان يتنازعه مذهبا البصرة والكوفة ، وانه انتهى في النهاية الى تغليب مذهب البصريين في الاخذ بالقياس في الامـــور الدينية ، في حين اتجه الى الاخذ بالمذهب الكوفي في المسائل النحوية . (١٣) اما الاثار التي نعرفها لسعديا فهـــي قاموس للغـــة العبرية القديمة،ومجموعة مقـــالات في النحو اطلق عليها اســـم (كتب اللغة)،وكانت اول محاولة معروفة لكتابة نحو لعبرية التوراة . وقد كتـــب هـــذه الآثار جميعها ، مثلها مثل كل المؤلفات اليهودية اللغوية التي تعود الى القرن العاشر الميلادي ، باللغة العربية؛بل ان سعديا يقلد في كتبه اسلوب العرض العربي،ويعرض مادتـــه باسلوب الكتب العربيـــة نفسها . (١٤) وباستثناء كتب سعديا فان مؤلفات هذه الحقبة ألّفت جميعها في الشطر الغربي من الدولة الاسلامية،في شمال افريقيا والاندلس . وممن عاصروا سعديا وكتبوا مثل كتبه،يهودا بن قريش،الذي عاش في شمال افريقيا في الربـــع الثاني من القـــرن العاشر ، وهو صاحب رسالة حـــاول ان يقارن فيها بين الالفاظ العبرية والآرامية في التوراة ؛ ثم دوناش بن تميم، الذي عاش في الفترة نفسها في القيروان،وألّف كتابا بالعربية عن الصلـــة بين المفردات في العربية والعبرية ؛ وداود بن ابراهام،المغربي الفاسي، صاحب اول معجم شامل بالعربية لالفاظ اللغة العبرية ، وغيـــر هـــؤلاء

آخرون وضعوا كلهم بالعربية ، كما اسلفنا ، مؤلفات معجمية،وتطرقوا قليلا الى موضوعات نحوية متفرقة .

على ان عصر النحو العبري الحق لم يبدأ الا في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي في الاندلس، التي يعود اليها غالبية المؤلفات النحوية العبرية لذلك العهد؛ كما ان هذه المؤلفات جميعها ، في اسبانيا وفي غيرها من البلدان ، كتبت بالعربية . كما اكتملت في هذه الفترة ، التي تمتد حتى حوالي منتصف القرن الثاني عشر ، الدراسات النحوية التي شملت عبرية التوراة بجوانبها المختلفة كافة . ومن اول الاسماء التي لمعت في هذا العصر اسم يهودا بن حيوج،الذي عاش في مدينة فاس في اواخر القرن العاشر الميلادي واوائل الحادي عشر .

كان النحو العبري قبل ابن حيوج يتصف بالاغراق في التكهن، مع الاقلال من النظر في اللغة ذاتها لاستنباط قوانينها وقواعدها . ويعد ابن حيوج اول نحاة العبرية الذين اقاموا نحوهم على اسس علمية، مما حدا بابراهام بن عزرا ، من نحاة القرن الثاني عشر ، ان يلقب ابن حيوج بامام النحاة . (١٥) ولا شك ان اهم اعمال بن حيوج هو كشفه عن الاصل الثلاثي للالفاظ العبرية في كتابين،هما« كتاب الافعال ذوات اللين» و « كتاب الافعال ذوات المثلين»،تحدث في الاول منهماعن الافعال التي يكون احد حروفها الاصلية حرف علة ، وهي الفعل الناقص والاجوف والمثال ؛ وبحث في كتابه الثاني في الافعال المضعفة ، ورد هذه وتلك ، كما ردّ غيرها من الافعال والالفاظ العبرية ، الى اصل ثلاثي . ومرة اخرى نجد المصادر تُجمع ان ذلك ما كان ليتم لولا مؤلفات النحاة العرب (١٦) ،الذين عرفوا الاصل الثلاثي للالفاظ العربية،واصبح من المسلم به عندهم،منذ الخليل في القرن الثامن الميلادي ، اي قبل مؤلفات ابن حيوج بنحو ثلاثة

قرون . والغريب في الامر انه بالرغم من هذا الاكتشاف المتأخر للاصل الثلاثي ، فان ابن حيوج واجه موجة عنيفة من الاعتراض والاحتجاج على نظرياته،كان ابرز ابطالها دوناش بن الابرد . وبقيت نظرية الاصل الثلاثي للالفاظ العبرية مجهولة لدى اليهود خارج الاندلس،الى ان جاء الوقت الذي ترجمت فيه كتب الاندلسيين الى اللغة العبرية بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان .ورغم المعارضين فقد شاعت اعمال ابن حيوج بين نحاة اليهود، واصبحت موضع درس عميق ونظر متفحص؛وكتب بعضهم مدافعات عن آراء ابن حيوج ، ودافع هو عن نفسه في اكثر من كتاب؛ ولعل ابرز نتائج هذه المعارك والمساجلات النحوية كان تمهيد الطريق امام كتابة اول نحو عبري شامل، على يد النحوي اليهودي الشهير ابو الوليد مروان بن جناح، المولود في قرطبة في الثمانينيات من القرن العاشر الميلادي؛فكان بذلك من معاصري ابن حيوج . وقد كان من اول مؤلفاته « كتاب المستلحق »،الّفه ليستدرك على ابن حيوج بعض ما فاته في مؤلفيه الآنفي الذكر ، وليفنّد بعضا من نظريات ابن حيوج وآرائه . وقد اثار « كتاب المستلحق »،لابن جناح، موجة من التأليف لعدد من النحاة بين معترض ومؤيد ؛ وقد كتبت هذه المؤلفات جميعها بالعربية ، حتى ان واحدا من هذه الكتب استشهد بابيات كثيرة من الشعر العربي . (١٧) واهم قضية دارت حولها هذه المساجلات الكثيرة،كانت الاختلاف في اصل الالفاظ : اثلاثي هو ام ثنائي؟ كما انها كانت عاملا في اغناء النحو العبري،بتدقيق النظر في بعض موضوعاته ، واستكمال ابوابه ، والتعمق في دراسته .

ولا مراء في ان اعظم مؤلفات ابن جناح كان مؤلفه الموسوم « كتاب التنقيح » الذي يتألف من قسمين :"كتاب اللمع"، ويبحث في نحو العبرية القديمة ،و"كتاب الاصول" ، وهو معجم للغة التوراة . ويشكل [illegible] معا اول دراسة شاملة متكاملة لعبرية التوراة ، كما انهما يعتبران [illegible]

ريب، قمة الدراسات اللغوية العبرية في عصرهما ؛ وقد كتب ابن جناح كتابه باللغة المعروفة بـ « العربية العبرية » ، وهي نمط من اللغة العربية كان يكتبه يهود الاندلس العربية بالحروف العبرية .

اما عن الاثر العربي في هذا المؤلف ، فهو اوضح من ان يحتاج الى بيان ؛ ويبدو الاثر واضحا جليا من مقدمة الكتاب حتى نهايته . اذ ينافح ابن جناح عن النحو في مقدمة كتابه، ويبين ضرورته، واهميته للدين وفهمه ودراسته، بصورة تذكّرنا بمقدمات كتب النحو العربي ؛ كما يعلل ابن جناح تاليفه للكتاب بالعربية على انه نابع من افتقار اللغة العبرية في ذلك العصر الى المصطلحات النحوية اللازمة للتاليف في مثل هذا الموضوع .(١٨) كما يتضح الاثر العربي ايضا في الشرح المستفيض للاصل الثلاثي للالفاظ العبرية، الذي اقتبسه ابن جناح عن العرب دون اي شك، والذي من اجله وضع كتاب" الاصول"، وبلغ الاثر العربي حدا جعل ابن جناح معه يلجأ الى اللغة العربية يستمد منها الحجة والدليل، للتدليل على صحة آرائه والبرهنة عليها ، لان اللغة العربية، على حد قوله ، هي اقرب اللغات الى العبرية . ولعل خير ما يدلل على الاثر البعيد للنحو العربي في فكر ابن جناح، هو تلك الثروة الكبيرة من مصطلحات النحو العربي التي استخدمها في « كتاب اللمع »، في معرض تاليفه للنحو العبري • ومن امثلة ذلك : الاعتلال ، والتصريف ، والمجاز ، والاشتقاق ، واقسام الكلام الثلاثة : الاسم والفعل والحرف ، والفاعل ، والمفعول به ، والاسم بنوعيه: المفرد والمركب، والاضافة بضربيها : اللفظية والمعنوية ، والتمييز ، والمصدر ؛ وغير ذلك كثير ازدحمت به صفحات كتاب اللمع . وبالنظر الى ذلك كله فليس من الشطط ولا من المغالاة القول بان كتاب اللمع هو كتاب نحو عربي، في لغته ومنهجيته ومصطلحاته وقواعده ، بل حتى في ابوابه وتبويبه ، سوى ان الامثلة التي اوردها المؤلف على ذلك كله كانت من اللغة العبرية، لا من اللغة العربية .

ومـــا قيـــل عن ابن جناح يقال في غيره من معاصريه من النحاة اليهود، ويكفي ان نسرد بعض المؤلفات في هذا العصر لنتصور المدى الذي تَشَبَّع بـــه النحو العبـــري بالنحو العربـــي . فقـــد أَلَّف اسحق بن يشوش، في مدينة طليطلة، « كتاب التصريف »، ووضع موسى بن شموئيل جيقاتيـــلا القرطبي « كتاب التذكير والتأنيث » ؛ في حين كان « كتاب حروف المعاني » من نصيب يهودا بن بلعم، الذي اشتهر في طليطلة، واصبح من أعلام النحو العبري فيها ، كما عرف بشغفه بالادب العربي، شعره ونثره . (١٩) ومـــن مؤلفات ابن بلعم ايضا « كتاب الافعال المشتقة من الاسماء »، و « كتـــاب التجنيس . » وفي الربع الاخير من القرن الحادى عشر ، وضع اسحُق بن بارون « كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية ، » (٢٠) ولعـــل من اطرف المؤلفات في هذه الفترة المنظومة النحوية التي نظمها سليمان بـــن جبيرول شعرا بالعبرية ، (٢١) والتي تذكرنا بالفية ابن مالك الشهيرة . والذي توحي بـــه هذه المؤلفات وامثالها، ان نحاة العبرانية لم يقلدوا المنهج العربي في التأليف النحوي وحسب ، بل وكأني بهم كانوا كلما قرأوا مؤلفا عربيا في اللغة والنحو بادروا الى تقليده، وتطبيق افكاره ونظرياته على لغتهم . ولا شك في ان التشابه الكبير بين اللغتين العربية والعبرية كان من العوامل المساعدة لهم فـــي ذلـــك كثيـــرا ، ولا فكيف نفـــهم هـــذا التطابق بيـــن اسماء عدد كبيـــر من كتـــب النحو العبـــري، ومؤلفات بعينها فـــي النحو العربي ؟ بـــل ان هناك مـــن يذهب الى ابعـــد من ذلك ليؤكد بـــان بعض علماء المسلمين كانوا « يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم . » (٢٢) فـــان صـــح هذا الامر ،وليس فيـــه غرابة على اي حال ، فانـــه يفســـر لنـــا هذه الظاهرة ، ظاهرة التأثيـــر والتاثر التي تكـــاد تكـــون اقرب الى النقل المباشر ، والتي لم يُعرَف مثلها في تاريخ النحـــو، في اي مكـــان او عصر آخـــر .

وهنـــاك امـــر آخـــر واخير له دلالتـــه على اهمية الاثـــر العربـــي في الدرس اللغوى العبري،وعمق هـــذا الاثـــر ، وهـــو ان هذه النهضة اللغوية التي حققها يهود الاندلس ابان الحكـــم العربي،لـــم يعرف لها مثيل بين اليهود في اقطـــار اوروبة المجاورة للاندلس ، مثل ايطاليا وفرنســـا والمانيا ،حتى في ذلـــك القسم الواقع تحت حكم الفرنجة من اسبانيا ، حيث كانـــت تعيش اعداد كبيـــرة من اليهود . بـــل ان هذه الجاليات اليهودية الاوروبية لم تكد تعرف شيئا من التأليف النحوي في اللغة العبرية،ولا تناهى اليها جانب من النظر اللغوي الذي قام في الاندلس،لجهلهم باللغة العربية التي كانت،كمـــا رأينا،لغـــة التأليف عند النحاة اليهود جميعهم ، الـــى ان قيضت الظروف السياسية والتاريخ لبعض اليهود،من المهتمين بالنحـــو في الاندلس،القيام بترجمة اهم الاعمال الاندلسية في النحو العبري الـــى العبرية في اغلـــب الاحيان ، والى اللاتينية في بعضها الآخر .

نشأت الظروف التي ادت الى انتشـــار نحاة الاندلس اليهود فـــي اوروبة عقب ما يعرف بالفتنة البربرية (١٠٠٩ ـ ١٠١٢ م) التي قضت علـــى وحدة الاندلس،وأدّت الـــى قيـــام عصر ملوك الطوائـــف؛ذلـــك العصـــر الذي اتسم بالتشتت والتفرق ، وبالتنازع بين الممالك المختلفـــة، واستمر حتى عام ١٤٩٢،بسقوط آخر هذه الممالك،وانتهاء الدولة العربية فـــي الاندلســـ .

وقد اصاب اليهود،وحـــل بهم وبعلمائهم،مـــا اصاب المسلمين وحـــل بهـــم وبعلمائهم ؛ فقـــد « قضـــت الفتنة البربرية على كثيـــر من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها »،كما « اصبحت حياة العالـــم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ، قائمة في الاكثر علـــى التجوال المستمر،والاحتماء ببلاطات الامـــراء » . (٣٢) اذن فقد ارتحـــل

بعض نحاة اليهود ليعيشوا بين ابناء جلدتهم في الاقطار الاوروبية المجاورة، وارتحل معهم نحوهم بكل سماته العربية ، واخذوا في نشره في الاقطار التي ارتحلوا اليها بالترجمة الى العبرية او اللاتينية حينا ، وبالتلخيص حينا،وبالتاليف على غرار نحاة الاندلس بلغات غـــير العربية حينا آخر . وهكـــذا يكون هذا العصر مـــن عصور النحـــو العبري امتدادا للاثـــر العربي وتوطيدا لـــه،وقد خـــلا او كـــاد من اية اضافة جديدة او اصالة. ولعل اهـــم مـــا تميزت به هذه الفتـــرة هو ترجمة المصطلحات النحويـــة العربية التي امتلأت بها كتـــب ابن حيوج وابن جناح،ووضع مقابلات عبرية لها،لاتزال هي المعتمدة في النحو العبري حتى يومنا هذا . كما ان كتـــب النحو واللغة التي ترجمت الى العبرية في هذه الفترة،ظلت منذ ذلك الحين وحتى الآن هي المثال الذي يُحتَذَى في تاليف كتب النحو العبري وتعليمها، وفي وضع المعاجم العبرية،كمـــا انها اختطت لليهود المنهج الذي يسيرون عليـــه في تناول قضايا النحو واللغة في العبرية . وبعبارة اخرى فان الاثر العربي في النحو العبري ظل ثابتا لم يتزحزح،وان كان يبدو الآن أقلَّ وضوحا لطول العهد به ،ولما اعتراه من متغيرات وعوارض نجمـــت عن الترجمة، وعن اعتماد العبرية اساسا في التاليف ، ولمـــا قد يغيب عن نظر الناظر حين يتامل في المصطلح النحوي العبري بعد ان لـــم يعد عربيا في لغته ، وان كان كذلـــك في اصوله الاولى .

ويطول بنـــا المقام ان نحن تتبعنا حركـــة الترجمة في هذا الصـــدد؛ لذلك سنكتفي باستعراض بعض الامثلة نستدل بها علـــى نوع الكتـــب المترجمة والمؤلفة،وما قـــد كان لهـــا من اثر على الاجيال اللاحقة من مؤلفي كتب النحو العبري ودارسيها . مثالنا الاول هو ابراهام بن عزرا،ولـــد في مدينة طليطلـــة العربيـــة الاندلسية في اواخر القـــرن الحادي عشـــر الميلادي،ودرس العلوم العربية والعبرية دراسة متمكنة ، وقضى السنوات

العشرين الاخيرة من حياته (١١٤٠ ــ ١١٦٠م) متجولا في فرنسا وايطاليا، وقد الف اثناء تجواله عددا من كتب النحو بالعبرية ؛ولم تكن هذه الكتب في الحقيقة سوى تلخيصات ومختصرات لكتب ابن حيوج وابن جناح وغيرهما من نحاة الاندلس . (٢٤) كذلك قام نحوي آخر هو سليمان بن برحون بتاليف كتاب في النحو في ايطاليا،لم يكن سوى ترجمة امينة لافكار ابن حيوج وابن جناح الى الدرجة التي ظن بعضهم معها ان ذلك الكتاب كان ترجمة لمؤلفاتهما . (٢٥) اما الترجمة فقد انصب معظمها على كتب ابن حيوج وابن جناح ايضا ، فترجمت اعمالهما اكثر من مرة في الاقطار الاوروبية المختلفة،وكان اول من ترجم المؤلفات النحوية العبرية ، الموضوعة بالعربية ، الى اللغة العبرية هو الكاهن موسى جيقاتيلا . وقام ابراهام بن عزرا بالعمل نفسه في روما حوالي ١١٤٠م . وترجمت الكتب نفسها ثالثا ورابعا في اماكن اخرى من اوروبا ، كما ترجمت بعض كتب ابن بلعم في اواخر القرن الثاني عشر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما عن التاليف في النحو العبري في العصر الحديث ، سواء ما قام بتاليفه منها نحاة يهود،ام ما وضعه مستشرقون اوروبيون ، فنكتفي بالاستشهاد في هذا المقام بما اوردته دائرة المعارف اليهودية في هذا الصدد، التي تشير الى ان الاضافات والتجديدات التي ادخلت على النحو العبري الاندلسي كانت جزئية وبسيطة ، ولذلك فانها تمثل استمرارا للنهج الاندلسي في التالف والنظر والنحوى ، ولم يستطع المحدثون حتى الآن ان يرقوا بالنحو العبري الى مرحلة يتخطون بها المرحلة التي وصل اليها على ايدي النحاة الاوائل في الاندلس . (٢٦)

هذا العرض الوجيز لنشاة النحو العبري وتطوره اغفل اسماء وتفاصيل كثيرة، لم نهملها لانها تتناقض مع الفكرة الاساسية لهذه

المقالة بـــل تجنبا للاطالة والتكرار، وهـــي جميعها انما تؤيد بقوة السبب الذي دعانا في البداية الى القـــول بضـــرورة التعرض الى نشأة النحو العبري وتطوره عند التأريخ للنحو والنحاة في العربية، والى اعتباره جزءا من التراث النحوي العربي ؛ لانه كُتب بالعربيـــة وانبثق عن نحوِهـــا ؛ وترعرع في كنفـــه، لا يغيِّر من تلـــك الحقيقة ولا يضيرها، ان يكون نحـــوا جاءت امثلتُه فحسبُ من العبرية، بينما جاء كل شيء آخر فيه من العربية.

الحواشـــي

1. Thomas A. Sebeok , editor. Historiography of Linguistics. Current Trends in Linguistics, volume 13 (The Hague : Mouton, 1975).
2. Haim Blanc. Linguistics among the Arabs, pp 1265 - 1283 in the above book .
3. Nahum M. Waldman, The Hebrew Tradition . In Sebeok, op, cit., pp. 1286 — 1330.
4. R. H. Robins. A Short history of Linguistics (London : Longman , 1967) , P. 30.
5. James Barr. Linguistic Literature, Hebrew. In Encyclopaedia Judaica, volume 16 (New York : Macmillan, 1972) , P. 1354 .
6. Hartwig Hirschfeld . Literary History of Hebrew Grammarians and Lexicographers (Oxford: Oxford University Press, 1926) P. 6.

(٧) أحمد مختار عمر . البحث اللغوي عند العرب (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١) ، ص ٥٠ ــ ٥٧ .

(٨) من هذه : د. محمد التونجي . اللغة العبرية وآدابها (القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس ،١٩٧٥)، ص ٢٧ ــ ٤٠ ود. عوني عبد الرؤوف . قواعد اللغة العبرية (القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧١) ،ص ١٦ وما بعدها . ود. ربحي كمال . دروس اللغة العبرية (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ٤٦ وما بعدها .

9. Hirschfeld, op. cit., P. 7.
10. William Chomsky. Hebrew, the Eternal Language (Philadelphia The Jewish Publication Society of America, 1975) , P. 117.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

11. James Barr, op. cit. , p. 1335.

12. Cf. E. Kautzsch. Gesenius Hebrew Grammar (Oxford University press, 1910) , P. 19; William Bacher. Grammar, Hebrew. In The Jewish Encyclopaedia (New York : Funk & Wagnalls, 1904 - 1916) , volume 6,P. 69, and Hirschfeld, op cit., P. 11.

13. S. W. Baron. Hebrew Language and Letters. In Social and Religious History of the Jews, volume 8 (New York : Columbia University Press, 1958) , P. 34.

14. Barr, op. Cit., P. 1354.

15. Hirschfeld, op. cit., p. 35.

(١٦) انظـــر ، مثـــلا ، المصدر السابق نفســـــه .

(١٧) المصـــدر الســابـــق، ص ٤٢.

18. Edna A. Coffin. Ibn Janah's Kitab al-Luma': A Critique of Medieval Grammatical Tradition. Unpublished Ph. D. dissertation (Ann Arbor : University of Michigan, 1968) , p. 21.

19. Hirschfeld, op. cit., p. 58.

20. Barr, op. cit., pp. 1357-1358.

21. Hirscfeld, op. cit., pp. 49-50.

(٢٢) هذا ما اورده البير مطلق في كتابه « الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف » (صيدا وبيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٧) ،ص ٢٦ نقـــلا عـــن

Lèvi-Provencal. Histoire de l,Espagne Musulmane (Paris, 1950) ,pp. 80-81.

(٢٣) البيـــر مطلق (المصدر الســابق) ،ص ٢٥٧ .

24. Barr, op. cit., p. 1358.

(٢٥) المصـــدر الســابـــق نفسه .

26. Barr, op. cit., p. 1391 .

طريقتان لحساب مَيْل فَلَك البروج
(من إخراج محمد بن الصبّاح)

للدكتور عبد المجيد نصير
(عضو المجمع)

مقدمة :

فلك البروج هو الدائرة العظمى على القبة السماوية ، التي تمثل فلك الشمس في سنة كاملة . وهي تتقاطع مع خط الاستواء السماوي في نقطتين، هما نقطة الاعتدال الربيعي (نقطة الشرق) ونقطة الاعتدال الخريفي . ويكون فلك الشمس اليومي ، يوم الاعتدال الربيعي ، هو على وجه التقريب ، خط الاستواء السماوي . وكذلك الامر في يوم الاعتدال الخريفي ؛ وهما يومان يتساوى فيهما الليل والنهار . وبعد انقضاء يوم الاعتدال الربيعي ، تتقدم الشمس ببطء شمالا على فلك البروج ، ويكون مدارها لأي يوم من هاتيك الايام دائرة صغرى موازية لدائرة خط الاستواء السماوي . وتقطع هذه الدائرة الصغرى الافق في نقطة تبعد قليلا او كثيرا عن نقطة المشرق . ومقدار القوس الافقي بين نقطة المشرق ونقطة تقاطع الدائرة الصغرى مع الافق تسمى ساعة المشرق ، ونرمز لها بالرمز θ .

والقوس θ يعتمد على خـــط الطول الشمسي λ ، الذي يحدد موضع الشمس بالنسبة الـــى فلك البروج ، وعلـــى ϕ التي تقيس خـــط العرض على الارض بالنسبة الى من يرصد الحركة . اما الفرق بين دائرتي خـــط الاستواء وفلك البروج فرمزه ε ويسمى ميل فلـــك البروج . وهذا المقال يهتـــم بمقياس مقدار ε اعتمادا على طريقتيـــن منقولتين عن فلكي اسلامي اسمه محمد بن الصبـــاح .

ومحمـــد بن الصباح هو احد اخوة ثلاثة هـــم محمد وابرهيـــم والحسن ، اهتموا بالهندسة والفلك ، وكانـــوا معاصرين لبني موســـى المشهورين ، في ايـــام الخليفة المأمون ، كما يذكر فؤاد سيزكين [١] ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ . وذكرهم ابن النديـــم والقفطي . ومن مؤلفات محمـــد ابن الصباح : « رسالة في العمـــل بساعة المبسوطة » و « رسالة فـــي امتحـــان موضع الشمس وميلها وساعة مشرقها وكمية مسارها » ؛ وينقل ابو نصر بن عراق مقتطفات من هـــذه الرسالة ، ويعلق عليها فـــي مخطوطته « رسالة في امتحـــان الشمس » ، المنشورة ضمن مجموعـــة « رسائل ابي نصر الـــى البيروني » ، الصادرة عن هيئـــة النشر الشرقية العثمانية بحيدرآباد بالهنـــد . ولمحمد بن الصباح رسائل وكتب اخـــرى بالاشتراك مع اخوتـــه .

والذي نقدمه هنا هو نقـــل عن كتاب البيروني « تحديد نهايـــات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » المنشور في القاهرة سنة ١٩٦٢ [٢] . ويذكر فيه ، ابتداء من ص ١٤٦ ، (ص ١٤٩ بالمخطوطة) الى ص ١٥٥ (ص ١٦٠ بالمخطوطـــة) طريقتين لاستخراج ســـعة المشرق الكلـــي ، ينسبهما البيروني الى محمد بن الصباح ، نقلا عن استاذه ابـــن العراق . ونحـــن نقدمهما محققين .

مبـــادىء فلكيـــة :

في الشكل الاول نقدم بعض المبادىء الفلكية اللازمة . وتبين س موضع الشمس في اليوم ذي اطول نهـــار ، اي تقاطع مـــدار السرطان مع فلك البروج . يكون مـــدار الشمس في ذلك اليوم دائرة صغرى يقع القطـــب الشمالي في موضع قطبهـــا . وهذه الدائرة مماسة ايضا لدائرة السرطان . وتقاطع تلك الدائرة مع الافـــق هو النقطة المسماة $\theta_ع$ (θ العظمى) وتمثل اعظـــم قيمة لساعة المشرق . فاذا رسمنا دائرة صغرى اخـــرى تمـــر بالنقطة $\theta_ع$ ، وقطبها هو النقطة ش ، فانهـــا تمثل دائرة ساعة المشرق . والآن نسقط دائرة فلـــك البروج على دائرة ساعـــة المشرق . افرض نقطة مـــا ، $ا_1$ ، على فلك البروج . اسقط $ا_2$ على الافـــق لتحصل على θ_2 برسم دائرة صغرى توازي خـــط الاستواء . ثـــم اسقط $ا_2$ على دائـــرة ساعة المشرق حسب دائـــرة صغرى توازي العمود الرئيسي ش ز ، لتحصل على النقطـــة هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبهـــذا الاسلوب فان صورة نقطة الاعتدال الربيعي ع تصير $ع'$ ، ونحصل على ان درجات القوس $ع'ا'$ تساوي درجات القوس ع $ا_1$ ، وهكذا لجميع النقـــاط على فلك البروج . ومعنى هذا ان حركة الشمس على فلك البروج يمكـــن أن يمثلها حركة على دائـــرة ساعـــة المشرق وبالسرعة نفسها . وهذا المبـــدأ الرياضي كان واضحا لمحمـــد بن الصباح لانه استعمله في طريقته ، ولـــو انـــه لم يبرهن عليه . للبرهان انظـــر المرجـــع [٣] .

طريقة محمـــد بن الصباح :

يذكـــر البيروني ان محمدا بن الصباح عنده طريق مـــن الحساب لاستخراج سعة المشرق الكلي من رصد سعة ثلاثـــة مشارق ، على نهاية مدتيـــن متتاليتين ، قد ارسله في مقالته مجردا من غير برهان،وهـــــو حسن ، وإن بنى امره على تساهل . ويذكـــر البيروني حسابه ، ويستعمل ارصادا فلكية للتدليل عليـــه ؛ وفيما يلي نقدم البنية الجبرية الرمزية لمـــا يذكـــره البيرونـــي .

ورغـــم ما ذكره اعلاه عن اسقاط فلك البروج على دائرة ساعة المشرق ، فان البيروني لا يقيس الزوايـــا على دائرة فلك المشرق لصعوبة ذلك ، بل يقوم بالقياس على دائـــرة اخرى اسمها دائرة الميـــل ؛ فاذا اديـــر الافق حتى يصبح دائرة خـــط الزوال ومعامدا لخـــط الاستواء ، فان دائرة ساعة المشرق تصغر حتى تنطبق على دائـــرة الميل ذات نصف قطر يساوي جا ع . وعلى هذا فان القياسات علـــى الميـــل ﻡم للمسارات λ هي القياسات نفسها على دائـــرة ساعة المشرق من نقطة تقع على خـــط استواء الارض . انظر الشكل (٢) .

وهنـــا ننبـــه الى ان العلاقات المثلثيـــة التي استخدمهـــا الرياضيـــون المسلمون والتي نقدمها فيما يتلـــو ، ونميزهـــا بكتابتها ببنـــط غليظ ، مختلفة قليلا عـــن العلاقات المثلثيـــة المستخدمة اليـــوم ، والعلاقة بينها هي جا ؟ = ل حا ؟ ، حيـــث

ل هو نصف قطر دائرة التعريف ، ونفرضه ١٠ ٦٠ في هذا المقال ، لان ٦٠ هي اساس النظام الستيني . والقياسات المذكورة هي بالنظام السيتني ،حيث الفاصلة المنقوطة (؛) تقوم مقام الفاصلة العشرية . مثلا ؛

٤١؛٥٥ ؛٦ (ستيني) = ٥٥ + ٤١ x ٦٠ + ٦ x ٦٠ x ٦٠ = ٢٤١١٥ (عشرى)ثانية ؛

وكما نعلم ،فان النظام الستيني يحوى درجات ،دقائق ،وثواني ،وهكذا .

والشكل (٣) منقول عن البيروني (ص ١٤٩) . فالدائرة الكبرى هي فلك البروج ونصف قطرها ر ،والدائرة الصغرى هي دائرة الميل ونصف قطرها رَ = جا ﴿ ، حيث ﴿ زاوية ميل فلك البروج .

افرض أ = λ ،وهو خط طول الشمس في وقت ما ،فان ميل λ هو أص ،وجيب أص يساوي س ومن المثلثات المتشابهه فان

$$\frac{\text{جا}\,\lambda}{\text{ر}} = \frac{\text{جا}\,\delta}{\text{رَ}} = \frac{\text{جا}\,\delta}{\text{جا}\,﴿}$$

ولاى رصدين ى ، ك بحيث ان ط ى = ى ط = ى ك فان س م = م ل . هذا مع افتراض انتظام حركة الشمس ،وهو من التساهل الذى يذكره البيروني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاشتقاق الطريقة الاولى لابن الصباح ،فاننا نفرض دائرة الميل، الشكل(٤) .

وافرض الاقواس أب ، أجـ ، أدهـ تمثل قياسات الرصد الثلاثة δ_1 ، δ_2 ، δ_3 على الترتيب

فان ب ج = ج د (الافتراض انتظام حركة الشمس ،ولان القياسات تؤخذ بين اوقات متساوية في فصل واحد) .

فان الاقواس د ز = د هـ = ٢ب ج + ٢ أب = ٢ أ جـ .

لذلك ب هـ = ٢ جا $\frac{\delta_1}{2}$ = $م_1$

د ز = ٢ جا $\frac{\delta_2}{2}$ = $م_2$.

ب ز = ٢جا $\frac{\delta_3}{2}$ = $م_3$

ويسمى البيروني م ز = د ب = و بالوتر المستخرج

د م = د ز ـ م ز = هـ د ـ ب د = هـ ب = $م_1$

وكذلك هـ ز = ب ز + ب هـ = $\frac{م_1 + م_3}{2}$ ، حيث اعتبرنا هـ ب ز خطا واحدا ،

وبتطبيق نظرية بطلميوس على ب ز م د فان

$$م_2^2 = م_1 م_3 + و^2$$

$$ع^2 = م_2^2 - \frac{(م_1 + م_3)^2}{2}$$

ومنها و = $(م_2^2 - م_1 م_3)^{\frac{1}{2}}$ ، ع = $\frac{1}{2}[م_2^2 - \frac{(م_1 + م_3)}{2}]$

ومن تشابه المثلثين د هـ ب ، د ز ط فان

$$\frac{د هـ}{د ز} = \frac{د ب}{د ط} \text{ ، اى ان } \frac{ع}{م_2^2} = \frac{و}{2 ر} = \frac{و}{2 جا \frac{ه}{2}}$$

لذلك جا $\frac{ه}{2}$ = $\frac{و \cdot م_2}{ع 2}$

او ه = معكوس جا $\frac{و \cdot م_2}{ع 2}$

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتطلب هذه الطريقة ثلاثة ارصاد على فترات متساوية زمنيا ذات الربع .

ولذلك فان البيروني قام بالقياسات في مرصده بخوارزم (الآن تحت الحكم السوفيتي) ، حيث درجة العرض $\phi = 41^\circ 17'$.

وقاس الزوايا $م_1$ عند ساعة الزوال على فترات متساوية مدة كل منها ثلاثون يوما . والقياس الاول يوم الجمعة بتاريخ ٢ مرداد سنة ٣٨٥ (بعد يزدجرد) الموافق ٣ صفر سنة ٧٠٤ للهجرة والموافق ١١ تموز سنة ١٠١٦ م والقياسات هي

$م_1 = 28^\circ 21'$ ، $م_2 = 140^\circ 0'$ ، $م_3 = 12^\circ 30'$

على ان البيروني يبدل $م_1$ ، $م_3$ ليحفظ ترتيب الزوايا .

هناك بعض الاخطاء في الحسابات التي يذكرها البيروني في كتابه . وهو يكتب الارقام اما بالحروف على طريقة حساب الجمل ، او بالنظام العشري . وسنكتب الحسابات كما يذكرها البيروني ،ونضع بين حاصرتين < > الصحيح حيث يجب . ونرجح ان البيروني لم يخطىء . بل ان الخطأ قد جاء ربما من تلاميذه الذين حسبوا او كتبوا .

$م_1$ = ١٥ ٤١٠ ؛٦ والصحيح <٦٠ ٤٢٥٥>

$م_2$ = ٥٠ ١٠ ؛٢٩

$م_3$ = ٥٥ ٥٤٠ ؛٤٣

$$\frac{م_1^2 + م_3^2}{2} = ٢٥ ١٨٠ ؛٢٥$$

وحسب النظام العشري فان $م_1$ = ٢٤٠٧٥ ثواني <٢٤١١٥>

$م_2$ = ١٠٤٥١٠ ثواني

$م_3$ = ١٥٨٠٩٥ ثواني

$$\frac{م_1^4 + م_3^4}{2} = ٩١١٠٥ \text{ ثواني}$$

$م_1 \cdot م_3$ = ٣٨١٢٤٦٠٩ روابع

$م_2^2$ = ١٠٩٤٠٣٤٠١٠٠ روابع

$$\frac{م_1^4 \cdot م_3^4 - م_2^1}{2} = ٧١٢٧٨٧٩١٧٥ . <٧١٠٩٨٧٩١٧٥> \text{ روابع}$$

و = ٨٤٤٢٧ <٨٤٣٢٠> ثواني

$$م_2^2 - \left(\frac{م_1 + م_3}{2}\right)^2 = ٢٦٤٠٢١٩٠٧٥ \quad <٢٦٢٢٢١٩٠٧٥> \text{ روابع}$$

ع = ٥١٢٨٣ < ٥١٢٠٨ > ثواني

ر = ٨٥٨٦٠ ثواني < ٨٦٨٦٠ > ثواني

ب = ٠ ٢٥٠ ؛ ٢٣° < ٢٣ ٢٨٠ ؛ ٢٣° >

تعليق

يعلل البيروني عدم دقة الجواب الى سببين :-

(١) افتراض انتظام حركة الشمس . وقد احتجناه من فرضنا ب ج = ج د .

وهذا غير صحيح .

(٢) عدد الخطوات اللازمه لإستخراج الجواب كبير نسبيا ، مما يؤدى الى اغلاط في الحساب والتقدير . خصوصا من حساب الجذور والجيوب .

ونلاحظ ان البيروني ،رغم معرفته بالتساهل الموجود في هذه الطريقة لاعتمادها على فرض غير صحيح،فانه آثر ان يبرهن على عدم دقتها بالرصد والمثل العددى . وهذا مثل آخر على الدقة التي كان يتوخاها العالم المسلم ،وعلى حبه للتجربه ،وتحمله المشاق في سبيل ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريقه الثانيه

وللتغلب على مزالق الطريقة الاولى ، فان البيروني يقدم لنا طريقا آخر ، وان كان لايجزم بصحة نسبته الى محمد بن الصباح لفساد في النسخه من مقالة ابن الصباح التي كانت وقعت بين يدى البيروني."فاستخرج ابو نصر بن عراق طريقا اما ان يطابق صحيح ذاك ،واما ان يكون طريقا ثالثا" . وهذا الطريق يحتاج الى رصدين للشمس وهي في ربع واحد . ولاشتقاق المعادلة الخاصة فان الخطوات المتبعة هي فيما يلي . انظر الشكل (٥) .

ارسم دائرة تمثل سعة المشرق ونصف قطرها يساوى جا ب ،ومركزها ع . افرض القوس أ ب سعة المشرق الاول - اى مقدار الرصد الاول - وخذ على المحيط القوس ب هـ ضعف القوس أ ب . وافرض القوس ب ج سعة المشرق الثاني - اى مقدار الرصد الثاني - وعين ز بحيث ان القوس ب ز ضعف القوس ب ج . نصف القوس

هـ ب ز في د ، وانزل د ح عموداً على الوتر ب ز .

فاذا ب هـ = ٢ جا θ_1 = $م_1$

ب ز = ٢ جا θ_2 = $م_2$

فان ز ح = $\frac{٢^{م_1} + ٢^{م_2}}{٢}$

وكذلك د ج = أ ب = ب ج ـ ب د

و = د ب = $\frac{٢^{م_1} - ٢^{م_2}}{٢}$ = الوتر المستخرج

ننصف الزاويه د ع ب بالمنصف ع ف ، فان الزاويه المركزية د ع ف تساوى الزاويه المحيطية ب ز د وهي الزاوية $\frac{\theta_2 - \theta_1}{2}$ ، بينما ع د ف = تمام الزاوية د ع ف = $٩٠^{\circ} - \frac{\theta_2 - \theta_1}{2}$

ولذلك فان

$$\frac{\text{زد}}{\text{ز ح}} = \frac{\text{جا } ٩٠}{\text{جا}(٩٠ - \frac{\theta_2 - \theta_1}{2})} = \frac{\text{ل}}{\text{جتا } \frac{\theta_2 - \theta_1}{2}}$$

لذلك س = ز د = ل $\frac{(م_1 + م_2)}{٢}$ / جتا $\frac{\theta_2 - \theta_1}{2}$

وفي المثلث ب د ز فان

$و^2 = ب د^2 = ب ز^2 + ز د^2 - ٢ ب ز \cdot د ز$ جتا $\frac{\theta_2 - \theta_1}{2}$

$= ر د^2 + م_2^2 - ٢ م_2 \cdot (م_1 + م_2)$ / ٢

$= س^2 - م_1 م_2$

$$\frac{د}{٢} = \frac{\sqrt{ب^{٢} - ٤ م_{١} م_{٢}}}{٢}$$

ومن المثلث ع ف د فان

$$ع د = جا \cdot \frac{ل \cdot \frac{د}{٢}}{جا \frac{٨٥}{٢}}$$

اى ان ج = معكوس جا $\frac{ل}{2 جا \frac{٨٥}{٢}}$

الرصد الفلكي والحساب

يذكر البيروني رصدين متتاليين بينهما ثلاثون يوما ،كما في الطريقة الاولى

$$\delta_{١} = ١٢ ؛ ٥٣^{\circ} \qquad م_{١} = ٥٥ ، ٤١ ؛ ٦$$

$$\delta_{٢} = ٠ ؛ ١٤ \qquad م_{٢} = ٥٠ ، ١ ، ٢٩٠$$

$$\frac{م_{١} + م_{٢}}{٢}^{٢} = ٣٢ ، ٥١٠ ؛ ١٧ \quad \langle ٥٣ ، ٥١٠ ؛ ١٧ \rangle = \langle ٦٤٢٩٢ \rangle$$ شواني

(الخطأ في معدل $م_{١}$ ، $م_{٢}$ ، والارقام مكتوبة بالاحرف ، مما يدل على انها خطأ املا ،وليست خطأ كتابيا لكن القيمة الصحيحة هي المستعملة بعد ذلك).

ومن زيج حبش ، يستخرج البيروني

$$٨٥ = ٥٢ ؛ ١٧^{\circ}$$

لذلك متمم $٨٥ = ٥ = ١٩٠٥٧ ؛ ٥٢^{\circ} \langle ٤٢ ، ٥٧٠ ، ١٩٠ ؛ ٥٢^{\circ} \rangle$.

(وليس لهذا الخطأ أثر فيما بعد لأنه لايستعمله).

$\frac{\lambda\Delta}{٢}$ = ٣٠ ، ٣٨ ؛ ١٤°

جا $\frac{\lambda\Delta}{٢}$ = ٥٩ ، ٩ ؛ ١٥ = ٥٤٥٩٩ ثواني

٩٠° − $\frac{\lambda\Delta}{٢}$ = ٣٠ ، ٢١ ؛ ٧٥°

حا (٩٠° − $\frac{\lambda\Delta}{٢}$) = جتا $\frac{\lambda\Delta}{٢}$ = ٠ ، ٣ ؛ ٨٥ = ٢٠٨٩٨٠ ثواني

ل = ٦٠

س = $\frac{٦٠ \times ٦٤٢٩٢}{٢٠٨٩٨٠}$ = ٥٥ ، ٢٥ ؛ ١٨ < ٣٢ ، ٢٧ ؛ ١٨ >

(والخطأ هنا في القسمة ،ويؤثر في الجواب الاخير).

س = ٦٦٣٥٥ < ٦٦٤٥٢ > ثواني

$س_٢$ = ٤٤٠٢٩٨٦٠٢٥ < ٤٤١٥٨٦٨٣٠٤ > روابع

$م_١ . م_٢$ = ٢٥٢٠٢٥٨٦٥٠ روابع

$س^٢ - م_١ . م_٢$ = ١٨٨٢٧٢٧٣٧٥ < ١٨٩٥٦٠٩٦٥٤ > روابع

و = ٤٣٣٩٠ < ٤٣٥٧٢ > ثواني

$\frac{و}{٢}$ = ٢١٦٩٥ < ٢١٧٨٦ > ثواني

جا ← = ٨٥٨٢٨ < ٨٥٨٣٢ > ثواني

= ٢٨ ، ٥٠ ؛ ٢٣ < ٣٢ ، ٥٠ ؛ ٢٣ >

وعليه فان ← = ٢٤،٤٦ ؛ ٢٣° < ٤ ، ٢٤ ؛ ٢٣° >

ولانعرف القيمة الصحيحة للزواية ← في ذلك الوقت لكي نقارن بين هذه النتائج .

عرفان (يشكر المؤلف استاذه ادوارد كندى اذ قرأ المسودة وعلق عليها ونبه على اخطائها).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) Sezkin , Fuat , Geschichte Des Arabischen Schriftums, Band V , Leiden , 1974.

(٢) البيروني ، ابو الريحان ، " تحديد نهايات الاماكن في تصحيح مسافات المساكن " طبع القاهره ١٩٦٢ .

(٣) Kennedy, E.S. and Sharkas , H., " Two Medieval Methods for Determining the obliquity of the Ecliptic", The Mathehmatics Teacher , Vol. LV No 4 , April 1962

(٤) Colliers Encyclopedia , Vol. 5 P604 , Macmillan Educational Corporation , New York.

(٥) القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف ، " اخبار العلماء في اخبار الحكماء " دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

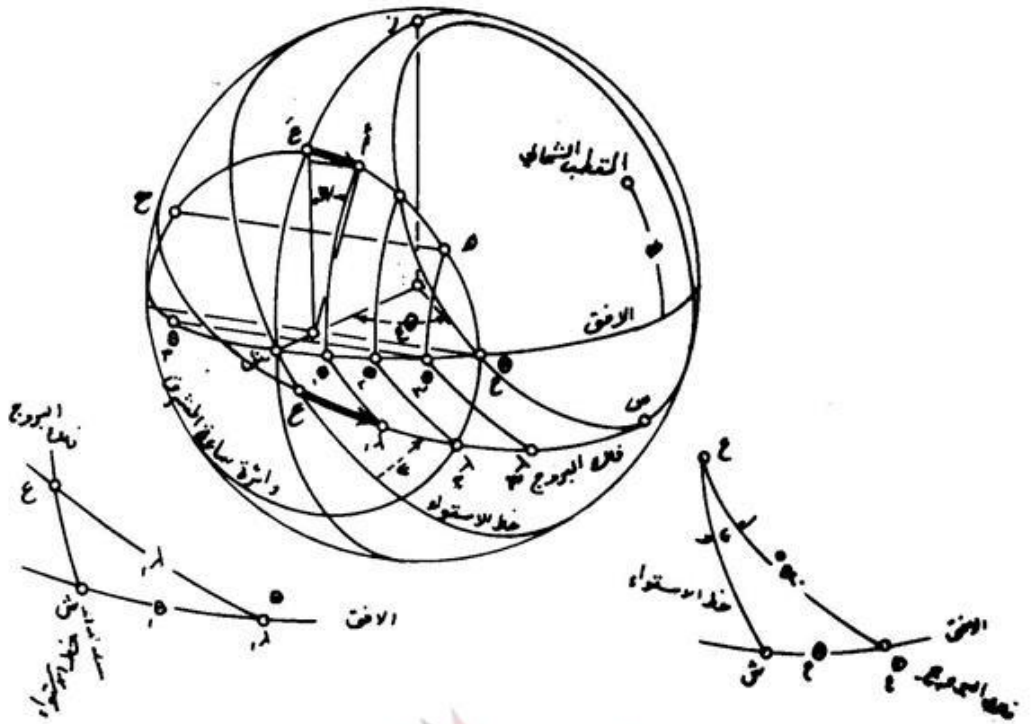

الشكل (٢)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

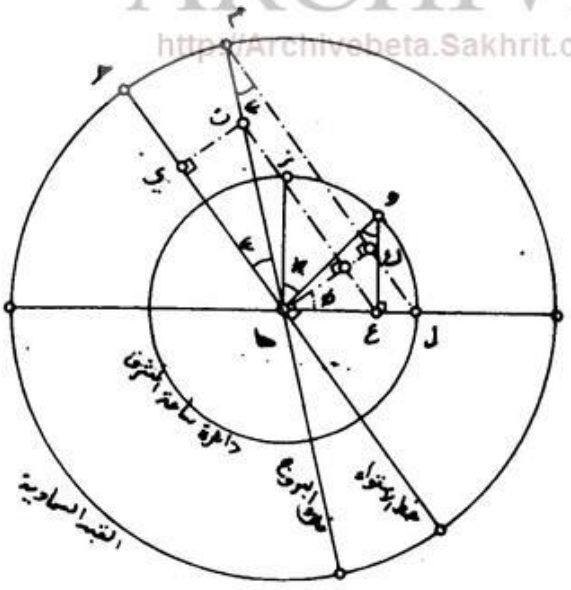

الشكل (٣)

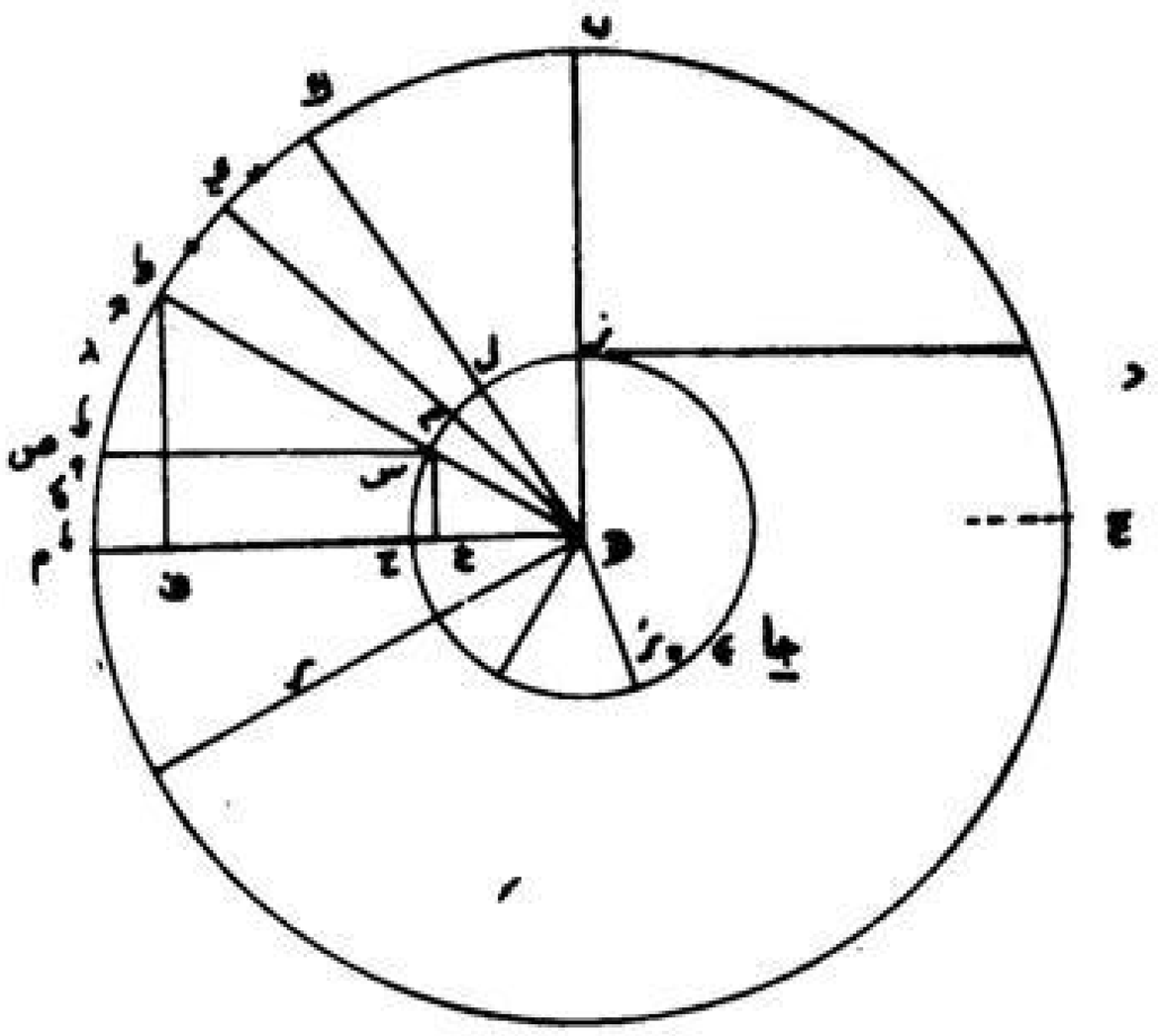

الشكل (٣)

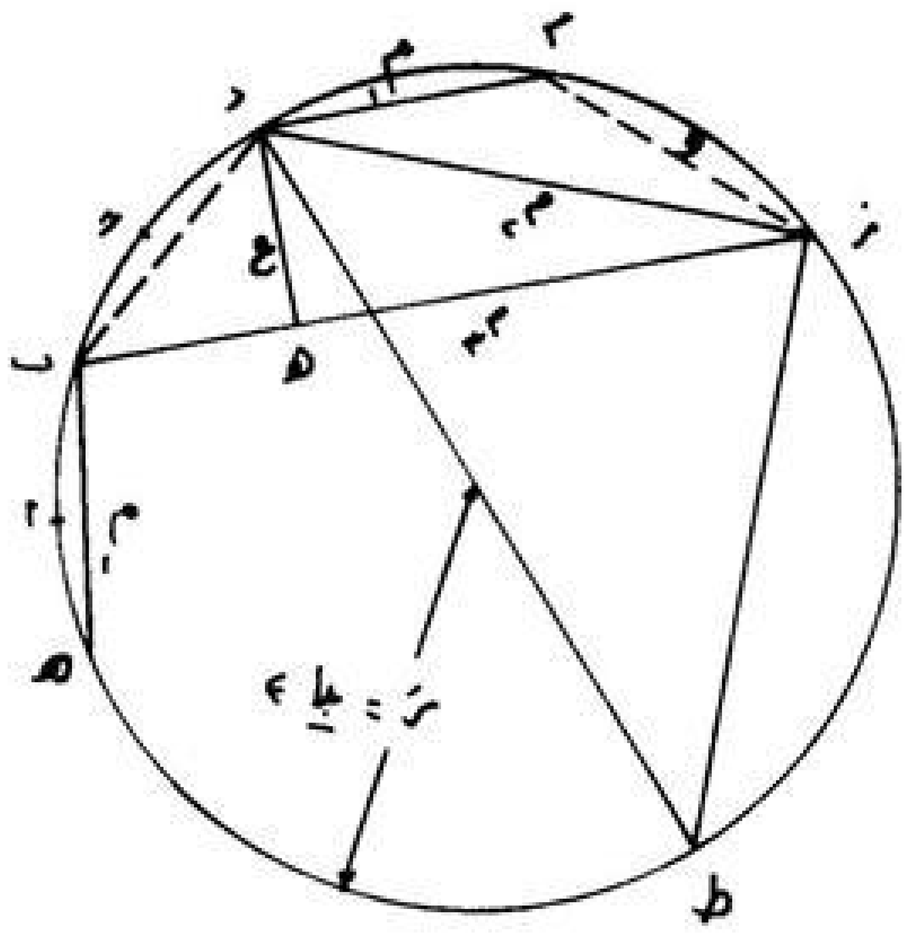

الشكل (٤)

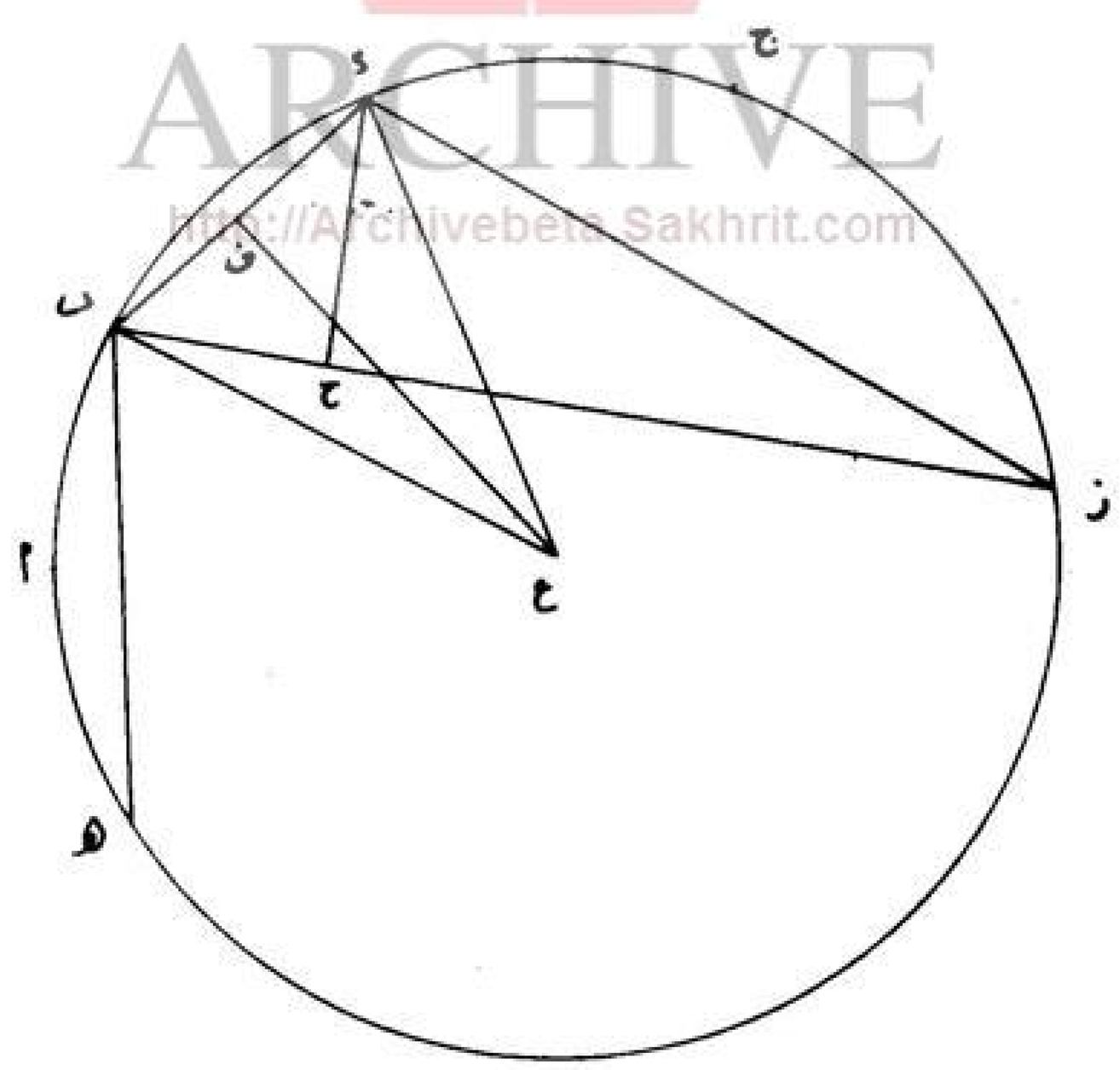

الشكل (٥)

من مواضع الخلط بين الأخافش النُحاة

للدكتور محمود حسني محمود
(الجامعة الاردنية)

لا شك في ان البحث في اصغر الامـــور كالبحث في اعظمها واجلها ، وان العناء الذي يجب ان يبذل عنـــد التصدي لاي قضية فكرية لا بـــد ان يكون واحدا وان الحرص على الحقيقة والحذر من الزلل لا بـــد ان يلازما الباحث من بدايـــة بحثه حتى نهايته . فقد يقع الخطـــأ في الامور التي يظـــن انهـــا واضحة الوضوح كله ، وقد يتتابع الخلط في المتشابهـــات ويُتناقَل ممـــن مؤلف الى مؤلف ، فتتداخل الامـــور وتلتبس الحقيقة ، ويصبح الشيء غيره ، والضد ضده ، فيلف المعـــارف الانسانية لبس وغموض يصعب محوه وازالتـــه .

وفي هـــذا البحث ساحاول ان اجلي امـــرا التبس على الباحثين في الماضي والحاضر فخلطوا بين العلماء الذين اشتركوا في لقـــب « الاخفش » ونسبوا الى احدهم ما للآخـــر .

ولقـــد تتبعت الامر ، فوجدت الخلط قديمـــا قـــدم الاخافش ، واستمر دون توقف فتفشى في الكتـــب الحديثة كما تفشى في القديمة ، مع ان التمييز بيـــن هؤلاء ليس عسيرا على الباحث المتأني الواعـــي . ومع ان معرفة احـــد الاخافش من غيره لا تحتاج الى كبير عناء الامـــر

الذي جعل الدكتور ابرهيم السامرائي يلوم محقق امالي الزجاجي لتعريفه الاخفش الاوسط في الحاشية بقوله : « لم (١) يعن المحقق من كل هذا الا بترجمة « الاخفش » في حاشيته ليقول لنا انه سعيد بن مسعدة ، كأنه حسب أن القارىء يذهب فهمه الى « الاخافش » الآخرين ، ومنهم الاكبر والاصغر وغيرهما ؛ وكل هذا معروف يعرفه الشداة الذين مرنوا على قراءة الكتب اللغوية القديمة . والتعريف بالاخفش واضرابه هو من باب التعريف بالمشاهير ، وانما ينبغي أن توفر الحاشية لغيرهم من الاعلام الذين لا يعرفهم الكثير من الدارسين » .

ومع انني اتفق مع الدكتور السامرائي واحترم رايه في ان الاخفش الاوسط مشهور ومعروف الا انني ارى — ويرى كل من يلمس تفشي الخلط واللبس — أن يميز الاخفش المذكور من غيره حين يرد في احد المتون .

والاخافش — حسب ما وصل الينا من كتب التراجم والطبقات — خمسة عشر عالما ذكر (٢) السيوطي منهم احد عشر ، وذكر (٣) ابن حجر واحدا ، وذكر صاحب تاج العروس (٤) واحدا ، وذكر صاحب « البدر الطالع » (٥) واحدا . وذكر صاحب « دائرة المعارف » (٦) — فؤاد — واحدا . الا ان الاخافش المشهورين — من بين هؤلاء — ثلاثة يعرفون بالاكبر والاوسط والاصغر .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني — العدد المزدوج ١١ — ١٢ ص ٩٦ من مقال: مع تحقيق كتب التراث ص ٩٢

(٢) انظر : بغية الوعاة ٢/٢٨٩

(٣) انظر : لسان الميزان ٢ /٢١٢

(٤) انظر: ج٤/٢٠٤

(٥) انظر : ٢٩٦/١

(٦) انظر : ٢٨/٧

والاكبـــر (٧) هـــو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ، مـــن اوائل ائمـــة اللغة والنحو ، لـــه الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب ، اخـــذ عن ابي عمرو بن العلاء واخذ عنه يونس ، وسيبويه ، وابو عبيدة .

امـــا الاوسط (٨) فهو اشهر الاخافش جميعا ، وهو ابـــو الحسن سعيد بن مسعدة ، كـــان الطريق الى كتاب سيبويه ، تتلمذ عليه المازني والجرمي وعلماء كثيرون ، والـــف كتبا عديدة في مختلف علـــوم عصره ؛ من أشهرها « معاني القرآن » (٩) « القوافي » (١٠) « الاوسط » في النحو ، « المقاييس » في النحـــو ، « المسائل الصغير » . ولقـــد تربع الاخفش هـــذا على عرش العروض بعـــد الخليل بايجاد بحـــــر « الخبب » ولتصبح بحـــور الشعر ستة عشر بحرا بعد ان كانت زمـــن الخليـــل خمسة عشر . وتوفـــي سنة ٢١٥ هـ .

امـــا الاصغر (١١) فهو أبو الحسن علي بن سليمان تلميـــذ المبـــرد وثعلب ، وصاحب كتاب « الانواء » و « التثنية والجمع » و « الجـــراد » وشرح كتاب سيبويه . وتوفـــي سنة ٣١٥ هـ .

ولعـــل اول خلط ذلك الذي وقع فيـــه ابـــو الطيب اللغوي ، والطريف انـــه حدث في الموضع الذي كان يتحدث فيه عن الخلط بيـــن

---

(٧) انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ٢٣ . طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥ . نزهة الالباء : : ص ٤٣ (تحقيق ابو فاضل ابرهيم) . انباه الرواة ١٥٧/٢ .بروكلمان ١٥١/٢ مدرســـة البصـــرة صـــ ٤٦٤ .

(٨) انظر ترجمته في : اخبار النحويين البصريين ص ٥٠ الفهرست ٨٤ معجم الادبـــاء ٢٢٤/١١ المدارس النحوية ص ٩٤ .

(٩) وهو محقق في جزأين تحقيق د. فايز فارس ١٩٧٩م .

(١٠) وهو محقق تحقيق د. عزت حسن دمشق ١٩٧٠م .

(١١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ نزهة الالباء ص ١٨٥ (تحقيق د.ابرهيم السامرائي) انباه الرواه ٢٧٦/٢.

العلماء . قـــال : (١٢) « ... حتى ان كثيرا من اهـــل دهرنا لا يفرقون بين ابي عبيدة وابي عبيد . وبين الشيء المنسوب الى ابـــي سعيـــد الاصمعي او ابي سعيد السكري او ابـــي سعيد الضرير . ويحكـــون المسألة عن الاحمر : فـــلا يدرون اهو الاحمر البصري ، او الاحمر الكوفي . ولا يصلون الى العلـــم بمزية ما بين ابي عمرو بن العلاء . وابي عمـــرو الشيباني . ولا يفصلون بين ابي عمـــر عيسى بن عمر الثقفي وبين ابي عمر صالح بن اسحاق الجرمي . ويقولون : « قـــال الاخفش » ولا يفرقون بين ابي الخطـــاب الاخفش وابي الحسن سعيد بـــن مسعدة الاخفش البصريين . وبين ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي ، وابـــي الحسن علي بن سليمان الاخفش بالامس صاحب محمد بن يزيد ، واحمـــد ابن يحيى . وحتى يظن قـــوم : ان القاسم بن سلام البغدادي ، ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات اخـــوان » .

لقـــد خلط ابو الطيب عند قوله : « ابي الحسن علي بن المبـــارك الاخفش الكوفي » فليس ابـــن المبارك هذا بأخفش ، وانما هو احـــد الاحمرين . اذ ان كتب التراجم كلهـــا تكاد تجمع على انـــه مشهـــور بالاحمر . ترجم لـــه صاحب « طبقات النحويين » بقولـــه (١٣) : «هـــو علي بن المبارك الاحمر . وكان مؤدب محمد بن هارون الامين » وترجـــم لـــه صاحب « نزهة الالباء » بقولـــه (١٤) : « واما علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي فانـــه اول من دون عن الكسائي ، قال الفـــراء : اتيت الكسائي فاذا الاحمر عنده ، وقد بقـــل وجهه . ثم برز حتى كان الفراء يأخذ عنه . وكان يؤدب الامين ، وكـــان مشهورا بالنحو واتساع الحفظ » .

---

١٢ ، مراتب النحويـــــن ص ١ — ٢ .

، ١٣ ، صـــ ١٤٧

، ١٤ ، ص ٩٧ ، تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

وترجم لـــه صاحب « انباه الرواة » بقوله (١٥) : « علي بن المبارك الاحمر النحوي صاحب علي بن حمزة الكسائي كـــان مؤدب الامين ، وهو احـــد من اشتهر بالتقدم في النحـــو واتساع الحفظ ، وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لمـــا قدم بغداد » ولم يورد واحـــد من هؤلاء عالما آخر بهـــذا الاسم ملقبـــا بالاخفش الكوفي .

هـــذا اولا واما ثانيا : فان ابـــا الطيب اللغوي اعاد ذكر « الاخفش » هذا مـــرة اخرى في ترجمة عبد الله بن سعيد الاموي فقـــال : « وفـــي طبقته ابو الحسن علي بن المبـــارك الاخفش الكوفي » وذكر انهما كانـــا في عصر الفراء ، والمعروف ان الاحمر هـــو الذي كان في عصر الفراء اذ كان الاثنان تلميذين للكسائي ، ولا اعرف احـــدا من الكوفيين روى عـــن عالـــم كوفي في عصر الفراء ملقب بالاخفش وانمـــا اللقـــب المشهور والمعروف هو الاحمـــر ليس غير .

واما ثالثا فوصف ابي العباس ثعلب الكوفي لعلي بن المبـــارك هذا بالاحمر لا بالاخفش قـــال صاحب الانباه (١٦) : قـــال ابو العباس احمـــد بن يحيي : كان علي بـــن المبارك الاحمر مؤدب الامين يحفـــظ اربعين الف بيـــت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائـــد وابيات الغريب ، ولمـــا احضر سيبويه في دار يحيى بن خالد البرمكـــي لمناظرة الكسائي حضر الاحمـــر قبل حضور الكسائي ، فالقى الاحمر على سيبويه مسألة فأجاب فيها ، فقال لـــه الاحمر : اخطأت . والقى عليـــه اخرى ، فأجاب . فقال لـــه : اخطأت ــ وكان الاحمر حادا حافظـــا ــ فغضب سيبويه فقال لـــه الفراء : ان معه عجلة . واخذ الفراء فـــي الكلام مع سيبويـــه » .

---

(١٥) ٢/٣١٣

(١٦) انباه الرواة ٢/٣١٤

فمـــن اثبت من ابي العباس ثعلب ومن ادق منه في ذكر اعـــلام الكوفيين ممن عاصروا الكسائي والفراء ؟! ومن اعلم منه في القاب هـــؤلاء الاعلام ؟! فهو الذي كان يفاخر بهـــم دائما ، ويكرر اقوالهم وآراءهم امام البصريين عند مناظراته اياهـــم .

ولـــم يتبن هذا الخلط الذي وقـــع فيه ابو الطيب إلا السيوطي الذي كرر الكلام نفسه عنـــد الحديث عن ابي محمد عبد الله بن سعيـــد الاموي قـــال (١٧) : « وفي طبقتـــه ابو الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » ويخيل الي ان السيوطي لـــم يتحقق من الامر ولم يترو ، وانما كان ينقل نقـــلا تاركا المسؤولية على من ينقل عنـــه . وهذا الامر جعله يقـــع فريسة الاضطراب الشديد فمع انـــه لقب ابن المبارك المذكـــور بالاخفش ، الا انـــه حين ذكر الاحد عشر اخفش لم يذكره معهم قال (١٨) : « الاخفش احـــد عشر ، اشهرهم ثلاثة : الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد والاوسط سعيد بن مسعدة ، والاصغر : علي بن سليمان . والرابـــع : احمد بن عمران . والخامس : احمـــد بن محمد الموصلي . والسادس : خلف بن عمر . والسابع : عبد الله بن محمـــد . والثامن : عبد العزيز بن احمد . والتاسع : علي بن محمد المغربي . والعاشر : علي بن اسماعيل الفاطمـــي . والحادي عشر : هرون بن موسى بن شريك » .

وحين ترجم للاحمر لم يزد على قوله عنـــه (١٩) : وممن اخذ عـــن الكسائي ابو علي الاحمـــر ولكنه حين عدد من لقـــب بالاحمر قال (٢٠) : « . . . اربعة اشهرهم اثنـــان : خلف البصري وعلي بن الحسن الكوفي . والثالث : ابان بن عثمان اللؤلؤي ، والرابع : ابـــو عمرو الشيبانـــي

---

(١٧) المزهـــر ٢/٤١١

(١٨) بغية الوعاة ٢/٢٨٩

(١٩) المزهـــر ٢ /٤١٠

٢٠) بغية الوعاة ٢/٢٨٩

اسحاق بن مرار » فكيف تكون كنيـــة الاحمر ابا علي واسمه عليـــا في الوقـــت نفســـه .

وممـــن خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ابن الطيب في شرح الاقتراح، فقـــد رأى ان كنية « ابي الحسن » خاصة بالاصغر علي بـــن سليمان ، والاثنـــان يشتركان بهذه الكنية « وهـــو وهـــم » (٢١) ذلك أن هـــذه الكنية خاصـــــة بالاخفش الاوسط ليس غـــــير ، وهـــي خاصة بـــه في كتاب الخصائص علـــــى الاتـــــل ، فهذا ابن جني يقـــول (٢٢) : « على ان ابـــا الحسن قد كان صنف فـــي شيء من المقاييس كتيبـــا اذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك انا نبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفة التعب بـــه ، وكافأناه على لطيف ما اولاناه من علومه المسوقة الينا المفيضة مـــاء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعـــا ذلك اقواما نزرت من معرفـــة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عـــن ادراكه اقدامهم الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله ، وسترى ذلك مشروحا في الفصول باذن اللـــه تعالى » .

وممـــن خلط بين الاكبر والاوسط اليمني فقد غلطه (٢٣) صاحب انبـــاه الرواة وادعى انـــه قال عن الاكبر انـــه الاوسط ، دون ان يتمكن من التمييز بينهمـــا .

ومـــا خلط الباحثون فيه فنسبوه الى الاكبر وهو للأوسط اوليـــة تفسير الشعر تحت كل بيـــت ، ولعل اول من وقع في ذلك السيوطـــي حين قال في ترجمة الاكبر (٢٤) : « وابـــو الخطاب المذكور اول من فسر الشعر تحت كل بيت ومـــا كان الناس يعرفون ذلك قبلـــه ، وانما كانوا

---

(٢١) وهو رأي الاستاذ محمد النجار انظر الخصائص ج ١ /٢ (الحاشية)

(٢٢) الخصائص : ٢/١

(٢٣) ١٥٨/٢

(٢٤) المزهـــر ٤٠٠/٢

اذا فرغوا من القصيدة فسروها » . وتبعه في ذلك بروكلمان بقوله (٢٥) : « الاخفش الاكبر وهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ... وكان اول من كتب تفسير الاشعار بين السطور » . والاستاذ علي النجدي ناصف بقوله (٢٦) : « وهو اول من فسر الشعر بيتا بيتا بعقب كل بيت تفسيره ، وكان الناس قبله اذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة ، واخذ عنه الكسائي ويونس وابو عبيدة وسيبويه ، وكان ثقة ورعا دينا » . والدكتور حسين نصار بقوله (٢٧) : « ولم يكن تاليف دواوين الشعراء او القبائل مجرد جمع للشعر حسب ، بل كان جمعا وشرحا وسار هذا الشرح في طريقين الاول جمع القصيدة وتفسيرها بعد ايراد ابياتها باجمعها ، وبقي هذا متبعا الى ان جاء ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الاخفش الاكبر (وهو من تلاميذ ابي عمرو بن العلاء) فابتدع طريقة جديدة في الشرح ففسر الشعر تحت كل بيت ، يقول السيوطي : وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها » .

وقد اوغل في هذا الخلط د. عبد الامير الورد حين نسب هذا (٢٨) العمل وهو تفسير كل بيت تحته الى « ابي عبد الله (٢٩) محمد بن

---

(٢٥) تاريخ الادب العربي ١٥١/٢

(٢٦) سيبويه امام النحاة : ص ٩٠

(٢٧) المعجم العربي : ص ٢١

(٢٨) منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ص ٢٢

(٢٩) هكذا اورد د. الورد هذه الكنية والصحيح : « ابو محمد عبد الله » وعبد الله اسم الاخفش هذا . قال الزجاجي : « وللبغداديين عبد الله بن محمد البغدادي الاخفش ، احد من روى الشعر وقد اخذ عنه ابن السكيت والطوسي » . (مجالس العلماء : ص١٦٣) . وقال السيوطي : « عبد الله بن محمد البغدادي ابو محمد يعرف بالاخفش وهو خامس الاخفشين المذكورين هنا » (بغية الوعاة : ٦٢/٢). وانظر تقديم د. رمضان عبد التواب كتاب الحروف لابن السكيت .

عبد الله البغدادي الاخفش النحوي ، والغريب عنـــد د. الورد انـــه انتزع الخبر المتعلق بهـــذا العمل من ترجمة الاخفش الاوسط الوارد فـــي « طبقات النحويين » و « انباه الرواة » كما سيرد بعد قليل ووضعه في ترجمة الاخفش هذا حين ترجـــم للأخافش .

واستبعـــد ان يكون الاخفش الاكبر هـــو اول من فسر كل بيـــت من الشعر تحتـــه لان من ينسب اليـــه هذا العمل لا بـــد ان يكون مؤلفا كتابا واحدا على الاقل ، ولم يعرف عن الاكبر انـــه الف كتابا واحدا في اللغة والادب وانما كـــان الرجل يسأل عن الفاظ فيجيب ، وقـــد روى عنه سيبويه في كتابـــه سبعا واربعين مرة (٢٠) و « كـــل ما يروى عنـــه نصـــوص ومفـــردات » .

وارى في الوقت نفسه ان الاخفش الاوسط هـــو اول من سن هذا العمل وهو المعني بذلك لانه الـــف مجموعة كبيرة من الكتب ـــ ذكـــرت بعضا منها آنفـــا ـــ وهي في مجال اللغة والشعر والادب ، وعلى الرغم من ان كتابيـــه المحققين ـــ واللذين اشرت الى تحقيقيهما في الحاشيـــة قبل صفحات ـــ لا يشتملان على هـــذه السنة الا ان المجال يبقى فسيحا لهذا الموقف ـــ الذي انبناه ـــ في كتبـــه الضائعة وكتبه التي لم تحقـــق بعـــد . ولعل ما يقوي الذي ذهبت اليه قولة ابي العباس ثعلب التـــي اوردها صاحب « طبقـــات النحويين واللغويين » وصاحب « انباه الرواة » وهي (٢١) : « اول من املى غريب كل بيـــت من الشعر تحته الاخفش ـــ وكان ببغداد ـــ وكـــان الطوسي مستمليه ، وقـــال : ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا ، وكان يقال لـــه الاخفش الراوية » . وقد اوردا هـــذه الرواية في ترجمـــة الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولكن قـــد

---

(٢٠) سيبويـــه امـــام النحاة ص ٩٠

(٢١) طبقات النحويين واللغويين : ص٧٦، انباه الرواة : ٣٩/٢.

يقال : ان هذين المؤلفين خلطـــا في الامر فوصفا هذه الرواية في ترجمـــة الاوسط وكان الاولى ان توضع في ترجمـــة الاكبر ، فان مـــن السهـــل القول : ان في هـــذه الرواية عدة مؤشرات تدل على ان ثعلبـــا كـــان يعني الاوسط لا الاكبر اولها قولـــه « وكان ببغداد » ولـــم يعرف عن الاكبر انـــه جاء بغداد وانما الذي جـــاء بغداد هو الاخفش الاوسط ، جاءها لينتقم من الكسائي بعـــد المناظرة المشهورة التـــي دارت بيـــن سيبويـــه والكوفييـــن .

وثانيا : قولـــه « ولـــم ادركه لانه كان قبل عصرنا » فهذا القـــول يفهم منه ان ثعلبـــا كان في فترة ليست بالبعيدة عـــن تلك التي عاشها الاخفش ، ولكن ثعلبا لم يقدر لـــه ان يلحق بـــه ، والا لما قال « ولـــم ادركه » ويظن ان الاخفش الاكبـــر توفي (٣٢) سنة ١٧٧هـ ، بينمـــا توفـــي (٣٣)الاخفش الاوسط سنـــة ٢١٥ هـ وذلك بعد الفراء الـــذي توفـــي (٣٤) سنة ٢٠٧ هـ ، وتوفـــي (٣٥) ثعلب سنة ٢٩١ هـ وكـــان ولـــد (٣٦) سنة ٢٠٠ هـ ، اي كان عمره عند وفـــاة الاخفش الاوسط خمسة عشر عاما ، ولكنه مـــع ذلك كله لا يعـــد من عصره او من جيله وبالتالي فلـــم يتمكن من ادراكه والتتلمذ عليـــه ، اذ كان يقـــول (٣٧) : طلبت العربية واللغـــة في سنة ٢١٦ هـ » .

وثالثهمـــا قوله : « وكان يقال لـــه الاخفش الراوية » والاخفش الاوسط كان راويـــة نعلا ، فقد روى (٣٨) كتـــاب سيبويه ، وكان الطريق

---

(٣٢) تاريخ الادب العربي : ١٥١/٢

(٣٣) اخبار طبقات النحويين البصريين : ص ٥١

(٣٤) نزهة الالباء : ص ١٧٦ (تحقيق د. ابرهيم السامرائي)

٣٥) طبقات النحويين واللغويين ص١٦٠ وانظر مقدمة مجالس ثعلب للمحقق

(٣٦) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٧) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٨) نزهة الالباء ص ١٣٣ (تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

الوحيد اليـــه ، وهو الذي نشره بين الناس من خلال المازني والجرمـــي . وكذلك فقد كـــان يروي اشـعار العرب ولغتهـــم في كتبه .

بالاضافة الى ذلك كلـــه فان ثعلبا كان يعتني عناية خاصة بالحديث عن الاخفش الاوسط للعلاقة الوثيقة التي كانت بين هـــذا العالم والكوفيين ولذلك فقد كان ثعلـــب يتحدث عنه كثيرا مظهرا الاحترام لـــه والاكبار وكان يقول عنـــه (٣٩) « كان اوسع الناس علمـــا » .

ولـــولا هذه الاشارات جميعها التي استعنت بهـــا للقول ان الاخفش الاوسط هـــو اول من وضع تفسير كل بيت من الشعر تحته لذهبت ـــ ولـــن اذهب الى ذلك ـــ الى ان اول من فعل ذلك الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان ، فقـــد وجدته يلتزم بهذا الاسلوب في كتابه « الاختيارين » ولا يحيـــد عنه . ولعل المناسب في هذا المجـــال ان اضع بين يـــدي القارىء امثلة سريعة لذلك . يقـــول في شرح قصيدة علقمة بن عبـــدة التميمـــي (٤٠) .

ذهبت من الهجران في غير مذهـــب ولـــم يك حقا كل هذا التجنـــب

ويروى « طول هذا التجنب » يقول : لـــم يكن من الحق ان تجتنبي هـــذا التجنب كله ، ولـــم آت ذنبا ، استتحقت بـــه منك التجنب ، ويقال : انمـــا خاطب نفسه بذلك ، وعاتبهـــا :

لليلـــي فـــلا تبلى نصيحة بيننـــا ليالـــي حلـــوا بالستار فغـــرب

يعنـــي : فليست تبلى نصيحة بيننـــا ، ويروي : « ليالي لا تبلى نصيحة بيننا » و « حلـــو » : نزلوا ، و « الستار وغرب » موضعـــان » .

---

(٣٩) انباه الرواة : ٢/٤٠

(٤٠) الاختيارين ص ٤٧

ويقـــول (٤١) في قصيدة دجاجة بن عبد القيس :

تجـــرد علاق البنـــا وحاجـــــب وذو الكير يدعو : يالحنظلة اركبوا

قـــال : « علاق وحاجب » ابنـــا عبد الله بن همام بن رباح بن يربوع . و « ذو الكـــير » الحارث بن بيبة بن قرط سفيان بـــن مجاشع .

ومنـــا رقيـــب جالس في علايـــة مـــن الارض راب طرفه يتقلـــب

ويروي : « بارض فضاء ، طرفـــه يتقلب » . قـــال : و « الرقيب » : الذي يربـــأ القوم فوق رابية ينظر : هل يأتيهم عدوهم ، ومن اين يأتيهم . و « علايـــة » : مكان عال . و « ارض فضاء » اي : واسعة ، وقولـــه « طرفه يتقلب » اي : ينظر ههنا وههنـــا » .

ولعـــل ابرز ما يثير الاستغراب في قضية الخلط بيـــن الاخافش ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اعراب القرآن المنسوب الى الزجـــاج » ، فقـــد نسب في الفهرس المخصص للأعلام في نهايـــة هذا الكتاب الى ابي الحسن الاخفش الاصغر كل مـــا ورد في الكتاب منسوبا الـــى « الاخفش » او « ابي الحسن » او « ابي الحسن الاخفش » ظنا منه انـــه المعني بذلك بينما المعني حقيقة في هذا كلـــه ـــ وهو كثير جدا ـــ ابـــو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولـــن احاول ان ادلل من عندي بادلـــة اجتهادية ، وانما سأحاول ان ارد بعض نصوص « اعراب القرآن » المتعلقة بهذا الامـــر الى « معاني القرآن » الذي الفـــه الاخفش الاوسط والذي حقق سنـــة ١٩٧٩م .

فقـــد نسب المحقق الى الاخفش الاصغر مـــا ورد في « اعراب القرآن » حول زيادة « من » وهـــو (٤٢) : « فأما قوله تعالى (٤٣) (وينزل

---

(٤١) صـــــ ٦٨٧

(٤٢) اعراب القرآن ٤١٧

(٤٣) النور آية ٤٣

من السماء من جبال فيها من برد) فان ابا الحسن ذكر ان التقدير : وينزل من السماء جبالا فيها بـــرد » . وهذا القول لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قال (٤٤) : « قـــال (٤٥) (كلوا مما امسكن عليكم) ادخل « مـــن » كما ادخله في قولـــه : كان من حديث ، و + قد كان مـــن مطـــــر . وقولـــه (٤٦) : (ويكفر عنكم من سيئاتكم) و (ينزل من السماء من جبـــال فيها من بـــرد) وهو فيما فسر : ينزل من السماء جبالا فيهـــا بـــرد ، وقـــال بعضهم : « وينزل من السماء من جبال فيها من بـــرد » اي في السماء جبال من بـــرد ، اي يجعل الجبال من برد في السماء ، ويجعـــل الانزال منهـــا » .

ونسب اليـــه ما ورد فيه حول زيادة « من » ايضا (٤٧) : « امـــا الثاني دخولها على خبـــر المبتدا في موضع ، في قول ابي الحسن الاخفش ، وهو قوله (٤٨) : (جزاء سيئة بمثلها) زعـــم ان المعنى : جزاء سيئـــة مثلها ، وكانه استدل على ذلك بالآيـــة الاخرى ، وهو قوله (٤٩) (وجـــزاء سيئة سيئة مثلها) » . وهذا للأخفش الاوسط الذي قـــال (٥٠) : « وقال (جزاء سيئة بمثلها) وزيدت الباء كما زيدت في قولك : بحسبك قـــول الســـوء » .

---

(٤٤) معاني القرآن ١/٢٥٤

(٤٥) المائدة آية ٤

(٤٦) البقرة آية ٢٧١

(٤٧) اعراب القرآن ٦٨٨

(٤٨) يونس آية ٢٧

(٤٩) الشورى آية ٤٠

(٥٠) معاني القرآن ٢/٣٤٣

ونسب اليه مـــا ورد فيه حول سورة الناس (٥١) : « ومن ذلـــك ما قالـــه ابو الحسن في قول اللـــه تعالى (٥٢) (من شر الوسواس الخناس الـــذي يوسوس في صدور الناس من الجنـــة والنـــاس) اي : انـــــه اراد من شر الوسواس الخناس مـــن الجنـــــة والناس الذي يوسوس في صدور الناس » . وهـــذا للاخفش الاوسط الـــذي قـــال(٥٣) : « وقوله (من الجنة والناس) يريـــد : من شر الوسواس من الجنة والناس . والجنة هـــم الجن » .

ونســـب اليه ما ورد فيه حول حذف (او) (٥٤) « ومن ذلك قوله تعالى (٥٥) : (قـــم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليـــلا ، او زد عليه) .. وقـــال الاخفش المعني : او نصفه او زد عليه قليلا ، لان العرب قد تكلـــم بغير او ، يقولون : اعط زيدا درهما درهمين او ثلاثة » وهذا للاخفش الاوسط الذي قـــال (٥٦) : « وقوله (قـــم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليـــه) فقال السائل عن هذا : قـــد قال : « قـــم الليل الا قليلا » فكيف قال « نصفه » ؟ انمـــا المعني : او نصفه او زد عليـــه ، لان ما يكون في معنى تكلم بـــه العرب بغير « او » تقول : اعطـــه درهما درهمين ثلاثة تريد : او : درهمين او ثلاثـــة .

ونسب اليـــه ما ورد فيه حول حذف الفـــاء (٥٧) : « ويجوز علـــى قياس قول ابي الحسن في قولـــه (٥٨) (الوصية للوالدين) من ان المعني :

---

(٥١) اعراب القرآن ٦٨٢

(٥٢) الناس آية ٤ ــ ٦

(٥٣ معاني القرآن ٢/٥٥٠

(٥٤) اعراب القرآن ٧٠٤

(٥٥) المزمل آية ٢ ، ٣ ، ٤ ،

(٥٦) معاني القرآن ٢/٥١٢

(٥٧) اعراب القرآن ٧٨٠

(٥٨) البقـــرة ١٨٠

فالوصية ، ان يكون جـــزاء ، ويقدر حذف الفـــاء » . وهذا القـــول للاخفش الاوسط الذي قـــال (٥٩) : « وقـــال : (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فالوصية على الاستئناف ، كأنه ـــ والله اعلـــم ـــ : ان ترك خيرا فالوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقـــا » .

ونسب اليـــه ما ورد فيه حول الحال (٦٠) : « وقد قال ابو الحسن في قولـــه (٦١) : (وما لنا الا نقاتل في سبيل اللـــه) (٦٢)) (وما لكم الا تأكلوا) ان المعني : وما لكـــم في ان لا تأكلوا وانه في موضوع الحال » . وهذا القول للاخفش الاوسط الذي قـــال (٦٣) : وقـــال : وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم اللـــه عليه) يقول ـــ والله اعلـــم ـــ واي شيء لكم في الا تأكلوا ؟ وكذلك : (ما لنا الا نقاتل) يقـــول : اي شيء لنا في ترك القتال ؟ ولـــو كانت « ان » زائدة لارتفع الفعل ، ولـــو كانت في معنى : وما لنا وكذا ؟ لكانت : وما لنـــا والا نقاتل ؟ » ونسب اليه ما ورد فيـــه حول زيادة الواو (٦٤) : « فامـــا قول كثير :

مـــاذا وذلـــك ليس الا حيئـــة واذا مضى شيء كأن لم يفعـــل

حمل ابو الحسن هذا على الواو الزائدة ، حتى كأنه قـــال : فاذا ذلك ، وليس الا حينه ، وانشد هـــذا البيت نفسه ، وانشد معه بيتـــا آخـــر وهو قـــول الشاعر :

فاذا وذلك يـــا كبيشة لم يكـــن الا كلمـــة حالـــم بخيـــال

---

(٥٩) معاني القرآن ١٥٨/١

(٦٠) اعراب القرآن ٨٥٩

(٦١) البقرة آية ٢٤٦

(٦٢) الانعام آية ١١٩

(٦٣) معاني القرآن ٢٨٦/٢

(٦٤) اعراب القرآن ٨٨٩

وقال محمد بن يزيد : ان البصريين لا يرون زيـــادة الواو ، وقد كان في الواجب ان يستثني ابـــا الحسن » .

وهـــذا لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قـــال (٦٥) : وقد جاء في الشعر شيء يشبه ان تكون الواو زائدة فيـــه ، قال الشاعر :

فاذا وذلك يـــا كبيشة لم يكـــن الا كلمـــة حالـــم بخيـــال

فيشبه ان يكون يريـــد : فاذا ذلك لم يكن ، وقال بعضهم : فاضمر الخبر ، واضمار الخبر احسن في الايـــة ايضا ، وهو في الكلام كثير » .

ولقـــد وقع صاحب كتاب « سيبويه امام النحاة في آثـــار الدارسين » في خلط واضح ، فنسب في فهرسه المخصص للاعلام في آخـــر الكتاب الى الاخفش الاكبر ما للاوسط ، فرأى ان الاخفش المعنـــي في الرواية التالية هـــو الاكبر لا الاوسط (٦٦) : « حدث الاخفش قـــال : حضرت مجلس الخليل ، فجاءه سيبويه ، فساله عـــن مسالة ، وفسرها لـــه الخليل فلم افهـــم ما قالا فقمت وجلست لـــه في الطريق ، فقلت : جعلني الله فداءك ، سألت الخليل عن مسالة فلم افهم ما رد عليك ، فافهمنيه ! فاخبرني بهـــا ، فلم تقع لي ، ولا فهمتها فقلت لـــه : لا تتوهم اني اسالك اعناتا ، فانـــي لم افهمها ولم تقع لي فقال لي : ويلك ، ومتى توهمت انـــك تعنتني ؟ ثـــم زجرني وتركني ومضـــى » .

ان المعنـــي في هذه الرواية الاخفش الاوسط تلميـــذ سيبويه ولا يمكن ان يكون المعني فيهـــا الاخفش الاكبر استاذ سيبويه اذ لا يستغرب من تلميـــذ ان يجلس لاستاذه في الطريق ، ولكنه ليس من المعقول ان يجلس الاستاذ لتلميذه ، هـــذا اولا . وثانيا : لا يتوقع ان تكون مخاطبـــة سيبويه لاستاذه هذه المخاطبة ولكنهـــا منطقية ان تصدر من استـــاذ

---

(٦٥) معاني القرآن ٢/٤٥٧ ــ ٤٥٨

(٦٦) سيبويه آثار الدارسين ص ١٢ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ٢٢٨

لتلميذه . اما ثالثا فـــان هذه الرواية لا تختلف في جوهرها عن تلك التـــي رويت في ترجمة الاخفش ونصهـــا (٦٧) : « قال المبرد : الاخفش اكبر سنا من سيبويه ، الا انـــه لم يأخذ عن الخليل وكانا جميعا يطلبان ، فجـــاءه الاخفش ، فناظره بعـــد ان برع ، فقال لـــه الاخفش : انما اناظـــرك لاستفيد لا غير . قـــال : اتراني اشك في هـــذا » .

ولعـــل من الخلط البين بين الاخافش هو مـــا وقـــع فيه محقق « العسكريات ، الـــذي نسب في فهرسة المخصص للأعلام الى الاخفش الاوسط مـــا للأصغر ، اذ نسب اليـــه الانشاد حول عمل لولا في قـــول ابـــي علي الفارسي (٦٨) : « وانشدنا ابـــو حسن الاخفش عن الاحـــول عن ابي عبيـــدة :

وكـــم موطن لولاي طحت » .

ان المعني هنـــا هو الاخفش الاصغر ، بدليل قـــول الفارســـي « وانشدنا » والفارسي المتوفى سنـــة ٣٧٧ هـ تلميذ الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ ، ولـــن يكون المعني في هذه الرواية باي حال من الاحوال الاخفش الاوسط المتوفـــى سنة ٢١٥ هـ فهنـــاك مسافة زمنية بين الاثنين واسعة . هـــذا اولا ، وثانيا : ان الاخفش المذكور في هـــذه الرواية يروي عن الاحول والاحول كـــان (٦٩) تلميـــذا لثعلب المتوفى سنـــة ٢٩١ هـ يأخذ عنه ويروي ، والمعروف ان الاخفش الاصغر كـــان تلميذا لثعلب فمن المناسب ايضا ان يروي عمـــن روى عـــن ثعلـــب .

---

(٦٧) اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ (في ترجمة الاخفش الاوسط) انباه ٤١/٢ (في ترجمة الاخفش الاوسط) .

(٦٨) المسائل العسكريات ص ٨٠ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ١٨٤ .

(٦٩) انظر ترجمته في معجم الادباء ١٢٥/١٨ . تاريخ بغداد ١٨٥/٢ بغية الوعاة ٨١/١

وخلـــط المحقق ايضا فنسب الى الاخفش الاوسط روايـــة الفارسي :

« وانشدنا ابـــو الحسن الاخفش :

فـــرت يهود واسلمت جيرانهـــــا صمي لما فعلت يهود صمام » (٧٠)

والمعني هنا ابـــو الحسن الاخفش الاصغر علي بن سليمان الذي تتلمـــذ عليه الفارسي ، ومن المستبعد ان يعنـــي الفارسي في قولـــه « انشدنا » الاخفش الاوسط الذي عاش في عصر غير عصر الفارســـي .

ولعل احدث ما وقعت عليه من خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اخبار ابي القاسم الزجاجي » وهـــو خلط كثير بيِّن ، ذلك انـــه وضع في آخـــر هذا الكتاب فهرسا للأعلام جعل كـــل ما فيه ذكـــر « الاخفش » للأوسط سعيد بن سعدة ، وتجاهل (٧١) تمامـــا الاخفش الاصغر علي بن سليمان ، ولـــم يذكره بين الاعلام مرة واحـــدة مع ان معظم ما ذكر فيـــه « الاخفش » ـ وهو كثير جـــدا ـــ هو للثاني وليس للأول وذلك ان الزجاجي صاحـــب الكتاب كان تلميذ علي بـــن سليمان فكان يروي عنه عن ثعلب الامر الذي يؤكد ما اذهب اليه . وكـــان الزجاجي اذا اراد الاوسط ولـــم تكن قرينة سماه باسمه فقـــال (٧٢) : « الاخفش سعيد بن مسعدة » ، اما اذا كانت قرينة كأن يروي (٧٣) المازني عن الاخفش ، فكان يكتفي بذكر لقبه وحـــده .

---

(٧٠) المسائل العسكريات ص ١٢١ وانظر فهرس هذا الكتاب .

(٧١) انظر فهرست الكتاب ص ٢٩١ . وانظر الكتاب : ص ١٨، ٢١، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣ ٧٦ ٧٧ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠ ومـــا بعـــدها .

(٧٢) انظـــر ص ٨٨، ٢١٦

(٧٣) انظر ص ٢٤ ، ١٧٠

والملحـــوظ من خلال هذا البحث ان معظم خلط الباحثين كان بيـــن الاخفش الاوسط والاصغر ، ومرد هـــذا ـــ في نظري ـــ الى اشتـــراك الاثنين في لقـــب الاخفش ، واشتراكهما في كنية « ابي الحسن » ، والـــى أن كليهما نحوي ، ومؤلـــف كتب في ضروب اللغة المختلفة ، ولان القدمـــاء كانوا يكتفون عند ذكـــر احدهما باللقب او الكنية او اللقب والكنية معـــا .

ومـــع ذلك فان قرائن عديدة يمكن ان تعتمـــد ، واساليب متنوعة يمكن أن تتخـــذ للتمييز بينهما ، وقد حاول الدكتور عبد الامير الـــورد صاحب « منهج الاخفش الاوسط » أن يعتمـــد مجموعة منها ليميز الاخفش الاوسط عن غيره من النحاة منهـــا (٧٤) : تمييزه من البصريين او استثناؤه منهم كقول القائل « قـــال الاخفش من البصريين » او « قال البصريون الا الاخفش » . ومنها : قرنـــه بأنداده او اساتذته او تلامذته ، كقـــول القائل « قال ذلك سيبويه والاخفش » او « حكى ذلك الخليل والاخفش » او قولـــه : « حكى ذلك الاخفش والمازني » ومنها : رفض من بعـــده الراي او اخذه بـــه ، كقول القائل « قال ذلك الاخفش وخالفه المبـــرد » او قوله : « قـــال ذلك الاخفش وتابعه المبـــرد » . ومنها : ذكره مقرونـــا بكتاب لـــه ، كقول القائل : « وقـــال الاخفش في الاوسط » .

ويمكـــن القول ايضا ان ابرز ما يميـــز الاخفش الاصغر عن غيره من النحاة ان يروي تلامذته عنـــه بقولهم « اخبرنا الاخفش » او « انشدنـــا الاخفش » ، او ان يروي هـــو عن اساتذته امثال ثعلب ، او عن علمـــاء رووا عن تلاميـــذ الاخفش الاوسط او اقرانهم او من جـــاء بعدهـــم .

د. محمود حسني محمود
الجامعة الاردنية

---

(٧٤) انظـــر ص ٢٩

فهرس مصادر البحث

١ ــ أخبار النحويين البصريين ــ السيرافي ط ١٩٣٦

٢ ــ الاختيارين ــ الاخفش تحقيق د. فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٤ .

٣ ــ اعراب القرآن ــ المنسوب الى الزجاج تحقيق ابرهيم الابياري .

٤ ــ انباه الرواة ــ القفطي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط أولى ١٩٥٢م .

٥ ــ البدر الطالع ــ الشوكاني ــ مطبعة السعادة ط الاولى ١٣٤٨هـ

٦ ــ بغية الوعاة ــ السيوطي ــ تحقيق ابو الفضل ابرهيم ــ مطبعة الحلبي ط اولى ١٩٦٥م.

٧ ــ تاج العروس ــ محب الدين الزبيدي .

٨ ــ تاريخ الادب العربي ــ بروكلمان ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٩ ــ تاريخ بغداد ــ البغدادي ــ مطبعة السعادة ١٩٣١م.

١٠ ــ الحروف ــ ابن السكيت ــ تحقيق د. رمضان عبد التواب ــ ط اولى ١٩٦٩م.

١١ ــ الخصائص ــ ابن جني ــ تحقيق محمد النجار ــ بيروت ــ الطبعة الثانية .

١٢ ــ دائرة المعارف ــ فؤاد افرام البستاني بيروت ١٩٦٧م .

١٣ ــ سيبويه امام النحاة ــ علي النجدي ناصف .

١٤ ــ سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين ــ كوركيس مواد بغداد ١٩٧٨م .

١٥ ــ طبقات النحويين واللغويين ــ الزبيدي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط اولى ١٩٥٤م.

١٦ ــ الفهرست ــ ابن النديم ــ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٧ ــ القوافي ــ الاخفش الاوسط تحقيق د. عزة حسن دمشق ١٩٧٠م .

١٨ ــ لسان الميزان ــ ابن حجر العسقلاني ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط أولى ١٣٣٠م .

١٩ ــ مجالس ثعلب ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ دار المعارف بمصر ــ ط الثانية ١٩٥٦م.

٢٠ ــ مجالس العلماء ــ الزجاجي ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ الكويت ١٩٦٢م.

٢١ ــ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد المزدوج ١١ــ١٢ كانون الثاني حزيران ١٩٨١م.

٢٢ ــ المدارس النحوية د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

٢٣ ــ مدرسة البصرة ــ د. عبدالرحمن السيد ط أولى ١٩٦٨م .

٢٤ ــ مراتب النحويين ــ أبو الطيب اللغوي ــ تحقيق ابو الفضل ابرهيم مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥م .

٢٥ ــ المزهر ــ السيوطي ــ تحقيق علي البجاوي ــ دار احياء الكتب العربية .

٢٦ ــ المسائل العسكريات ــ ابو علي الفارسي ــ تحقيق اسماعيل عمايرة ــ ط ١٩٨١م .

٢٧ ــ معجم الادباء ــ ياقوت الحموي ــ مطبعة المأمون ــ الطبعة الاخيرة .

٢٨ ــ المعجم العربي ــ د. حسين نصار ــ ط ١٩٥٦م .

٢٩ ــ منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ــ د. عبد الامير الورد ــ ط الاولى ١٩٧٥م.

٣٠ ــ نزهة الالباء ــ ابن الانباري .

ا) تحقيق أبو الفضل ابرهيم . دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

ب) تحقيق د. ابرهيم السامرائي ــ ط الثانية ١٩٧٠م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مَع معجم "الصحاح" و "حواشيه"

للدكتور ابرهيم السامرّائي
(عضو مؤازر في المجمع)

يحسن بنا أن نعرض لشيء من « الصحاح » (٢) فنقول فيه ما يهيىء للكلام على ما سينجلي لنا من الكتابين اللذين اشرنا اليهما في اسفل هذه الصفحة .

لقد حظي كتاب « الصحاح » بعناية الدارسين فاشتهر وشاع استعماله ، وقد نهج فيه الجوهري نهجا يقوم على نظام الباب والفصل ، فقد رتب الاصول اللغوية فيه على الحرف الاخير فسماه « بابا » ، ثم رتب مواد الباب على الحرف الاول منها فسماه « فصلا » متبعا الترتيب الهجائي فيما بين الباب والفصل من أحرف الاصل اللغوي .

---

(١) اخص بالدرس من هذه « الحواشي » كتابين وهما :

أ ــ كتاب التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح لابي محمد عبد الله بن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة) تحقيق وتقديم مصطفى حجازي ، ومراجعة علي النجدي ناصف للجزء الاول .

ب ــ كتاب « التكملة والذيل والصلة للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة) تحقيق عبد العليم الطحاوي ومراجعة عبد الحميد حسن للجزء الاول .

(٢) « تاج اللغة وصحاح العربية » هو المعجم الذي اشتهر بين الناس باسم « الصحاح » لابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٨هـ. نشر غير مرة آخرها بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

قـــد يكون الجوهري افاد هذا النظام من الفارابي في « ديوان الادب » وهو المعجم الذي حبس علـــى ضبط الابنية في العربية . ولا استطيع ان اقول : ان الجوهري افـــاد هذا النظام من البندنيجي في كتابه « التقفيـــة » كما ذهب الى هـــذا غير واحد من الدارسين . وقـــد كنت اشرت فـــي مبحث سابق ان كتـــاب « التقفية » ليس معجما سبق « الصحـــاح » ذلك انـــه كتاب من نمط الكتب التعليمية قصد منـــه صاحبه ان يضـــع بين يدي الكاتب المترسل والشاعـــر الالفاظ على قافية واحدة علـــى اختلاف الابنيـــة (٢) .

قلـــت : ان كتاب « الصحاح » قد حظي بعنايـــة الدارسيـــن تصحيحا واستدراكا واختصارا وفوائـــد اخرى . فأما ما كان مـــن استدراك عليه وبيان ما عرض لـــه من الوهم فهي جملة كتب اذكرهـــا بين يدى القـــارى :

١ ــ كتـــاب التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح ، وهو احـــد الكتابين اللذين عقدنـــا عليهما هذا المبحث . وكتاب « التنبيه ... » هذا أسبق « الحواشي » التي صنفت في التعليـــق على « الصحاح » ، وهـــو لابن بري المصري المتوفـــى سنة ٥٨٢ هـ .

٢ ــ كتـــاب « التكملة والذيل والصلة » للصاغاني : رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن ... العمري المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ، وهـــو ثاني هذه « الحواشي » ، الذي سيكون مـــع الكتاب السابق مـــادة مبحثنا هذا ، وقد تـــلاه في الظهور .

٣ ــ كتـــاب « نفوذ السهم فيما وقـــع للجوهري من الوهـــم » لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي وهو شيء مـــن الاستدراك نهج فيه

---

(٢) انظر كتابنا « مع المصادر في اللغة والادب » ٢/٤٧ــ٥٤ .

الصفدي نهجـــا يقرب مما جرى عليه ابن بري في « التنبيه » ، الا انـــه زاد عليه شيئا من فوائـــد ادبية . وقد افـــاد فيه مما ذكره ابن بري فهو يورد كلامه بنصـــه او يختصره .

٤ ــ القاموس المحيـــط لمجد الدين الفيروزآبادي المتوفى سنـــة ٨١٦ هـ . لقـــد صنف « القاموس » وكان من منهجه أن يتعقب « الصحاح » كما اشار في « مقدمـــة القاموس » . غير ان الدارس لا يمكنه ان يبصر في « القاموس » مواطن الغلط التي اشار اليهـــا في « المقدمة » ، ولا نكاد نجـــد من ذلك الا شيئا قليلا عبر عنه بقوله : « ووهـــم الجوهري » (انظـــر مادة ثأثأ مثلا) .

ولكـــن المصنف في المقدمة قد ذكر (٤) : « ثـــم اني نبهت فيه على اشياء ركب فيها الجوهري ــ رحمه الله ــ خلاف الصواب (٥) ، غـــير طاعن فيه ، ولا قاصد بذلك تنديدا لـــه ، وازراء عليه ، وغضا منـــه . بـــل استيضاحا للصواب ، واسترباحا للثواب ... » .

غير انـــه اشار الى « الاوهام الواضحة والاغلام الفاضحة ... » .

وقـــد علمنا مما ذكره الزبيدي في « تاج العروس » أن الفيروزآبادي قـــد افـــاد ما استدركه على « الصحاح » ونبـــه على « غلطه » من كتـــاب

---

(٤) مقدمة « القاموس المحيط » ص ٤

(٥) وردت هذه العبارة في مقدمة محقق « كتاب التنبيه ....) لابن بري على النحو الاتي: « ثم نبهت فيه الى (كذا) اشياء ركب فيها الجوهري ... » والصواب كما في « القامـــوســـــس » .

« ثم اني نبهت على اشياء .... » واستعمال « على » هو الصواب للاشارة الـــى الغلط » فقد وردت في كتـــب المتقدمين : « التنبيـــــه على حـــدوث التصحيف » و « التنبيهات على ... وغيرهما كثير .

الصاغاني : « التكملة والذيل والصلة » الا انه لم يشر الى ذلك . وقد ابان الزبيدي عن هذا في ثنايا « معجمه » .

وقد انتصر للجوهري مما ناله من الفيروزآبادي غير واحد من المصنفين منهم : أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز المغربي التادلي ، نزيل مكة ، فقد صنف في ذلك كتابه المشهور بـ « الوشاح وتثقيف الرماح في الرد على « المجد » في توهيم الصحاح » (٦) .

ومثل هذا ما صنعه محمد بن مصطفى الشهير بـ « داود زاده » التركي في كتابه « الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط » (٧) ، ويريد بـ « الاغلاط » ما اشار اليه الفيروزآبادي في غلط الجوهري وضمنه كتابه « القاموس » .

ومن مظاهر عناية المتقدمين الدارسين بـ « الصحاح » انهم اختصروه فمن مختصراته :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ كتاب « مختار الصحاح » لمحمود بن احمد الزنجاني (٥٧٣ ـ ٦٥٦ هـ) .

ويصف المؤلف في مقدمته ظروف تأليف كتابه ، وهدفه ، ومنهجه ، فيقول :

« لما فرغت من كتاب : ترويح الارواح في تهذيب الصحاح ... وقع حجمه موقع الخمس من كتابه من غير اهمال شيء من لغته ،

---

(٦) انظر المعاجم العربية ص ٩٧

(٧) كنت قد عرفت بهذا الكتاب في مبحث لي نشر في المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، كما نشرت فيه « باب الهمزة » من هذا الكتاب .

وكان قد حداني الى تهذيبه ، أعني تجريد لغتـــه من النحو والتصريـــف الخارجين عن فنـــه ، وحذف ما فيه من حشو وتكرير ، واسقاط مـــا لا حاجة اليه من الامثال والشواهد الكثيرة ردم التخفيف والايجاز ، ليسهـــل حفظه ويقرب ضبطه ، ثـــم نظرت ثانيا ، فرايت همم بني الزمان ساقطة ، ورغباتهم نائمة ، وحرصهم قليلا وحفظهم كليلا ، فأوجزت ايجازا ثانيـــا حتى وقع حجمه موقـــع العشر ... » (٨) .

وهكذا بدا لنـــا نهج الزنجاني في « مختاره » فقد عمـــد الى حذف الشواهد وبعض المعانـــي كما حذف طائفة من المـــواد مع ابعاد التعليلات الصرفية والنحوية وبعض الاشتقاقـــات .

٢ ــ كتـــاب « مختار الصحاح » لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، ووافـــق الفراغ منه ــ كما قيل في آخره ــ عشية يـــوم الجمعة سنة ستين وسبع مئـــة ، وقد اختار من مـــواد « الصحاح » وقـــال في مقدمته : « واقتصرت فيـــه على ما لا بـــد لكل عالم فقيـــه او حافظ او محدث او اديب من معرفتـــه وحفظه لكثرة استعماله وجريانه علـــى الالسن ، مما هو الاهـــم فالاهم ، خصوصا الفـــاظ القرآن العزيز ، والاحاديث النبويـــة ، واجتنبت فيه غويص اللغـــة وغريبها طلبا للاختصار وتسهيـــلا للحفـــظ » .

وقـــال ايضـــا :

وضممت اليـــه فوائد كثيرة من « تهذيب » الازهري وغيره مـــن اصول اللغـــة الموثوق بها ، ومما فتح الله تعالى بـــه علي ، فكل موضع مكتوب فيه « قلـــت » فانه من الفوائد التي زدتهـــا على الاصل ...

---

(٨) المعجـــم العربي لحسين نصار ص ٤٧٠

وقـــال ايضـــا :

وكـــل ما اهمله الجوهري من اوزان مصادر الافعال الثلاثية التي ذكـــر افعالها ، ومن اوزان الافعال الثلاثية التي ذكـــر مصادرها ، فاني ذكرته ، امـــا بالنص على حركاته او برده الـــى واحـــد من الموازين العشرين التي اذكرها الآن ان شاء اللـــه تعالى ، الا ما لم اجده مـــن هذين النوعين في اصول اللغـــة الموثوق بها والمعتمد عليها ، فاني قفوت اثره ـــ رحمه الله تعالى ـــ في ذكـــره مهملا لئلا اكون زائدا على الاصـــل شيئا بطريق القياس ، بـــل كل ما زدته فيه نقلتـــه من اصول اللغـــة الموثـــوق بهـــا » (٩) .

واشتهـــر « مختار » الرازي هذا حتى عمـــد الى اختصاره غير واحـــد من المصنفين (١٠) :

كتـــب التكملة والحواشي (١١) :

١ ـــ المنتهـــى لمحمد بن تميم البرمكي ، قيل : انـــه صنفه في سنة ٣٩٧ هـ ، ونقـــل فيه « الصحاح » وزاد فيـــه اشياء قليلة ، واغـــرب فـــي ترتيبـــه (١٢) .

٢ ـــ حاشية ابي القاسم الفضل بن محمد القصبانـــي البصري المتوفـــى سنة ٤٤٤ هـ (١٣) .

---

(٩) مختار الصحاح للرازي ص ٦ـــ ٧

(١٠) انظر المعجم العربي ص ٤٧٣ ـــ ٤٧٧

(١١) ذهبت في اول مبحثي هذا الى ان ما يســـمـــى بـ « التكملة » ليس الا تعليقـــا وعلى هذا ادخلته في مصطلح « الحواشي » وسنرى ان طائفة من الفوائد في كتـــب « التكملة » نجد نظائرها في « الحواشي » وغيرها من كتب هذه « التعليقات » اللغوية

(١٢) بغية الوعاة ص ٢٨

(١٣) المصدر السابـــق ص ٣٧٣

٣ ــ المعرب عما في « الصحاح » والمغرب لعبد الوهاب بن ابرهيم الزنجاني الخزرجي اتمه في سنة ٦٢٧ هـ وفصل فيه نص « الصحاح » عن المغرب ، واشار الى المغرب بـ « م » والى « الصحاح » بـ « ص » (١٤) .

٤ ــ الجمع بين « الصحاح » و « الغريب المصنف » لابي اسحاق ابرهيم بن قاسم البطليوسي (٦٤٢ او ٦٤٦ هـ) .

٥ ــ تاج الاسماء في اللغة : جمع « الأسماء » للزمخشري و « السامي » للميداني و « الصحاح » للجوهري ذكره محمد صديق ، ولم يذكر مؤلفه .

٦ ــ حاشية محمد بن علي الشاطبي (٦٨٤ هـ) (١٥) .

٧ ــ غوامض الصحاح لخليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ هـ) (١٦) .

٨ ــ قيد الاوابد من الفوائد لابي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨ هـ) ذهب بروكلمان الى انه نقد فيه الجوهري (١٧) .

٩ ــ اصلاح الخلل الواقع في « الصحاح » لعلي بن يوسف القفطي (٦٤٦ هـ) .

١٠ ــ نقود ابي العباس احمد بن محمد المعروف بابن الحاج الاشبيلي (٦٤٧ هـ أو ٦٥١ هـ) (١٨) .

---

(١٤) المعجم العربي ص ٤٧٧

(١٥) المصدر السابق ص ٤٩١

(١٦) المصدر السابق .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) البلغة لمحمد صديق حسن ص ١٢٨

١١ ــ مجمـــع السؤالات من صحاح الجوهري للمجد الفيروزآبادي (٨١٧ هـ) (١٩) .

على ان العناية بـــ « الصحاح » قد انصرفت الى مسائل اخـــرى غير التكملة وبيـــان الخطأ بل تجاوزت ذلك الى مسائل هـــي : الدفـــاع عن « الجوهري » ودرس شـواهده ، وترجمته الـــى الفارسية والتركية .

ولنعـــد الى الكتابين اللذين عقدنا هـــذا المبحـــث عليهما فنبدأ بأولهمـــا وهـــو :

١ ــ كتـــاب التنبيه والايضاح عما وقع في « الصحاح » :

اشتهر « كتاب التنبيـــه ... » هذا باسم حواشي ابن بري . **غـــير انـــه في حقيقة** الامر عمل بـــداه ابن القطاع وتوفي سنة **٥١٥ فواصل العمل تلميذه** عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري **فأخـــذ ما بداه شيخه** واكمله حتى بلغ مـــادة (وقش) وتوفي سنة **٥٧٢** او **٥٨٢** ، **ورام اصحابه** اكمال العمل فلم يتهيأ لهـــم ذلك الى أن اكمله **عبد الله بن محمد الانصاري البسطي في شهور سنـــة ٦٢٢ هـ (٢٠) .**

ويبـــدا الكتاب بذكر قول الجوهري في المـــواد التي علق عليهـــا المصنف ، ثـــم يتبع هذا بالتعليق بقولـــه :

قـــال الشيخ أبو محمد ــ رحمه الله ــ ، والدعاء بالرحمة زيـــادة ممن خلف الشيخ من طلابه الذيـــن جمعوا هذه التعليقات (الحواشـي) فكان « كتاب التنبيـــه ... » .

---

(١٩) المعجـــم العربـــي ص ٤٩٣

(٢٠) أنظر كشف الظنون ٩٣/٤ عن المعجم العربي ص ٤٨٥

بـــدا ابن بري بمادة « اجأ » التي وردت في « الصحاح » فقـــال : قـــال الشيخ ابو محمد ــ رحمه اللـــه ــ ذكر في اوله فصل (اجأ) واهمل فصل (ابـــأ) ...

ثـــم قال : ... واهمل ايضا فصل (اتـــأ) ...

واهمل ايضا فصل (اثـــأ) ...

واهمـــل ايضا في هذا الباب (بثأ) وبثاء موضع معروف ، وانشـــد المفضـــل :

بنفسي مـــا عَبْشَمِيٌّ بنُ سَعْدٍ غُـــداةَ بثاء اذ عرفوا اليقينـــا

وقـــد ذكره الجوهري في فصل الباء من المعتل ، وهذا موضعه .

اقـــول : كأن هذه الاشارات القليلة الـــى « اهمال » الجوهري لهذه المـــواد كانت ممن بـــدا العمل في تحرير هذه « التعليقات » قبل ابن بري ، اي ان ذلك ربمـــا كان من منهجهم ، او انهـــا ممـــا استرعت نظرهم في بدايـــة الكتاب ، حتى اذا بـــدأ العمل فيها ابن بري ســـار على منهجه الذي لـــم يشتمل على ذكر « الفائت » من المـــواد .

ولعـــل هذه « الاشارات » القليلة لمـــا فات الجوهري من المـــواد نبهت الصاغاني وغيره فجعلوا من منهجهم اكمال ما فـــات الجوهري فكانت كتـــب « التكملة » .

اذن فمـــا منهج ابن بري في « حواشيه » ؟

يقـــوم منهج ابن بري على انـــه يعمد الى شاهد المـــادة مـــن الشعر في الصحاح فينسبه ان كـــان غير منسوب ، ويتمـــه فيذكر الصدر او العجز ان كـــان شطرا ، ثم يشرح شيئا من كلماته التي تقدم فائـــدة خاصـــة .

وهنـــا يبدو للقارىء اهتمام المصنف بالمـــادة الادبية فقد يأتي بعد الكلام على الشاهد بأبيـــات اخرى يستحسنها فيشير فيها الـــى فوائد ، وقد يصحح في روايتهـــا اذا شاع وهـــم في ذلك مثلا :

ولنضرب امثلـــة توضح منهج المصنف وما جاء بـــه من فوائد ادبية وتاريخيـــة في « حواشيه » :

١ ــ جـــاء في مادة « اوا » :

وذكـــر (اي الجوهري) في فصل « اوا » : آء شجر علـــى وزن عاع ، واحدتـــه آءة .

قـــال الشيخ (اي ابن بري) ــ رحمه اللـــه ــ : الصحيح عنـــد اهـــل اللغـــة ان الآء ثمـــر السرح ، وقال ابو زيـــد : هو عنب ابيض ؛ يأكله الناس ، ويتخذون منه ربـــا .

والعـــذر للجوهري في ذلك انهـــم قد يسمون الشجر باسم ثمـــره فيقول احدهم : عندي في بستاني التفاح والسفرجل والمشمش ، وهـــو يريـــد الاشجار فيعبر بالثمرة عن الشجرة ، ومنه قولـــه : « فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونـــا » (٢١) .

اقـــول : ان المصنف اشار الى وجـــه الصواب مع ادب جم في انـــه التمس العذر الوجيه لمـــا قصر فيه الجوهري معتمدا على ما جـــاء فـــي لغـــة التنزيـــل .

وذكـــر المصنف في « تعليقه » :

وذكـــر (اي الجوهري) في هذا الفصل قـــول الشاعـــر :

اصكَّ مصلَّـــم الاذنين اجنـــى لـــه بالسِّـــيِّ تَنَّـــومٌ وآءُ

---

(٢١) الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من : سورة عبس

قـــال الشيخ (اي ابن بري) ـــ رحمه الله ـــ : البيت لزهير بـــن ابي سلمى ، واجنَى في البيـــت فعل ماض ، تقديره ادرك ان يُجْنَـــى ، والتنّوم والآء للظليم ، اي صار لـــه التنوم والآء جَنىً ياكلـــه .

وقيـــل : اجنَى ايضا من صفة الظليم ، والتَنُّوم : شجر اغبـــر ، ويروى : « تَنوّب » وهـــو شجر عظام يُتّخذ منه اجـــود القُطِران .

اقـــول : نسب المصنف الشاهد وشرح ما فيه من الكلـــم شرحـــا مفيدا بذكر هـــذه الاضافات اللغوية النحوية التي تعين على الفهـــم .

وجـــاء في مادة « ب ا ب ا » :

وذكـــر (اي الجوهري) في فصل (بأبأ) البُؤبُؤ : الاصل ، ويقال : العالم ، علـــى مثال السُّرْسُور .

قـــال الشيخ (اي ابن برّي) ـــ رحمه الله ـــ : ذكر ابن خالويـــه البُؤْبُؤ ـــ بلا مدّ ـــ على مثال الفلفل ، فقـــال :

البُؤْبُؤ : بُؤْبُؤ العين .

والبُؤْبُؤ : السيّـــد

والبُؤْبُؤ : الاصـــل .

وانشـــد على « البُؤْبُؤ » بمعنى السيّد قول الراجز في صفة امراة :

قـــد فاقت البُؤْبُؤ والبُؤَيْبِيَـــهْ
والجلد منها غِرْقِئ القُوَيْقِيَـــهْ

قـــال ابن خالويه : البُؤْبُؤ السيّد ، والبُؤَيْبِيَة : السيّدة ، فهـــذا قول ابن خالويه ، اعني البُؤْبُؤ بغير مـــدّ ، وكذا ذكره ابـــن فارس ، وانشـــد لجريـــر :

في بُؤْبُؤِ المجدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

واما التالي فانه انشده :

في ضِئْضِىءِ المجدِ وبُؤْبُوءِ الكَرَمْ

فعلى هذه الرواية يصح ما ذكره الجوهري من كونه على مثال سرسور ، وكأنهما الغتان .

اقول : وهذا نموذج من « تعليقاته » التي تظهر انه لا يتعجل القول بـ « الخطأ » وانه يتحرى العلم مع الحق والعدل والنصفة ، وانه « يكمل » ما فات الجوهري من ذكر المعاني للكلمة التي لم تستوف في « الصحاح » .

وجاء في مادة « ب ك أ » :

وذكر (اي الجوهري) في فصل (بكأ) عجز بيت لسلامة بن جندل شاهدا على « بَكُؤَتْ الناقةُ » بمعنى قلَّ لبنُها ، وهو :

ولو تعادَى ببَكْءٍ كلُّ محلوبِ

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ : صدره :

يقال مَحبِسُها ادنَى لمرتَعِها

وقبله :

وشَدَّ كُورٍ على وجناءَ ناجيةٍ وشدَّ سرجٍ على جَرداءَ سُرْحُوبِ

واراد « محبسها » اي حبس هذه الابل والخيل على الحرب ومقاتلة العدو على الثغر ، ادنى واقرب من أن ترتع وتخصب ويضيع الثغر في ارسالها لترعى وتخصب .

اقـــول : لقد اكمل الشـاهد بذكر صدر البيت مع البيت الذي قبله ، وذكره مفيد ، فقـــد شرح البيت والشرح يتطلب هذه الزيادة المفيـدة .

وجـــاء في مادة « ح و ب » :

وذكـــر (اي الجوهري) في فصل (حوب) بيتـــا شـاهدا علـــى « الحوبة » بمعنى الهـــم والحاجة ، وهو :

فهب لـــي خنيسا واتخذ فيه منسة لحوبة ام ما يسوغ شرابهـــا

قـــال الشيخ ــ رحمه الله ــ : البيت للفرزدق ، وكانت امـــرأة عاذت بقبر ابيـــه غالب ، فقال لها : ما الذي دعاك الى هـــذا ؟ فقالت : ان لي ابنـــا بالسند في اعتقال تميم بن زيد القيني وكـــان في اعتقال خالد القسري على السنـــد فكتب من ساعته اليـــه :

كتبـــتُ وعجّلتُ البريدةَ إنّنـــي اذا حاجةٌ حاولتُ عجّتْ ركابهُـــا

ولـــي ببلادِ السِّندِ عند اميرهـــا هوائجُ جمّتْ ومندي ثوابهُـــا

أتتني فعاذتْ ـ ذاتُ شكوى ـ بغالبٍ وبالحُفرةِ السامي عليها ترابهُـــا

فقلتُ لها إيـــهِ اطلبي كلَّ حاجةٍ لديَّ فخفّتْ حلبـــةٌ وطلابهُـــا

فقالتْ بحُزنٍ حاجتـــي إنَّ واحدي خُنَيْساً بأرضِ السِّنْدِ هَوَّى سَحابهُا

فهبْ لـــي خُنَيْساً واتّخِذْ فيه مِنَّةً لحَوبةِ أُمٍّ مـــا يَسُوغُ شَرابهُـــا

تميمُ بنُ زيـــدٍ لا تكوننَّ حاجتي بظهرٍ ، ولا يَحيَا عليَّ جَوابهُـــا

ولا تَقْلِبَنْ ظَهراً لبَطْـــنٍ صحيفتي فشاهدُها فيهـــا عليك كتابهُـــا

فلمـــا ورد الكتاب على تميم قال لكاتبه : اتعرف الرجل ؟ فقـــال : كيف اعرف من لـــم ينسب الى اب ولا قبيلـــة ؟ ولا تحققت اسمه : اهـــو خنيس ام حبيش ؟ فقـــال : احضر كل من اسمـــه خنيس او حبيش ،

فاحضَرَهم فوجد عدَّتَهم اربعين رجلاً ، فاعطَى كلَّ واحـد ما يتسفَّر بـه ، وقال : اقفلوا الى حضرة ابـي فراس .

اقـول : كان البيت الشاهد الذي نسبه ابن بري الـى الفرزدق حافزا بـل موجبا الى ان يعرض للمناسبة التي قيلت من اجلها المقطوعة .

ان هـذه التعليقة مفيدة فائدة ادبيـة تاريخية ، فهي مثل مـن الامثلة التي تبرز قيمـة الشاعر في المجتمـع القديم الى جانب قيمـة الشعر من الناحية الادبيـة التاريخية ، وهذا يعني ان لمنزلـة الفرزدق ومروءته وخلقه الاثـر الكبير فيما عرض لتلك المـراة من ظلامة ، ولـم يتـم لها قضاء هذه الحاجة لولا هذا الذي اقـدم عليه الفرزدق ، ان هذا الاثر الكبير ليتضح في موقـف تميم بن زيد عامل خالـد القسري على السند ، وكيف كـان اهتمامه بالرسالة ، وانـه اصبح في حرج في كل من اسمه خُنَيْس او حُبَيْش وذلك لانـه هو وكاتبه لم يهتديا الـى المقصود فاضطرا ان يُخليا سبيل كلّ مَـن اسمُه خُنَيْس او حُبَيْش .

ثـم فائدة اخرى فنية تاريخية تتصل برسم الحرف العربـي فـي العصر الاموي الذي عاش فيـه الفرزدق ، وهي ان اعجام الحـرف واهماله كانـا مشكلة تؤدي الى نتائج خاصة ، وعلى هذا الا يحق لنـا ان نقول : كـم حمل هذا الامر من الضيم على الخبر القديـم في الاعلام ، الـم يصحَّف عَيْلان مثلا الى غَيْلان او العكس ؟

ومـاذا نقول في : حبيب وخبيب ، وبسر وبشر ، ان شيئا من ذلـك قد ولـد من الامر المشكل ما حفز اهـل العلم الى ان يصنفوا في بـاب « المشتبه » و « المختلف والمؤتلـف » .

ولا نستبعد ان يكـون شيء من ذلك قد دخل في متن اللغـة واصله ضرب مـن التصحيف !! ومثل هذه « التعليقات » ذات الفائـدة الادبيـة

التاريخية الشيء الكثير مما نستجليه في المواد اللغوية في « كتاب التنبيه ... » .

ولنختم هذا الباب فنعرض لمادة « ط ب ب » فقال :

وذكر (اي الجوهري) في فصل (طبب) بيتا للمرار شاهدا على ان كل حاذق يقال له : طبيب ، وهو :

تدين لمزرور الى جنب حلقة من الشَّبَّه سَوَّاها برِفْقٍ طبيبُها

قال الشيخ ــ رحمه الله ــ : البيت للمرار بن سعيد الفقعسي ، وليس بالمرار بن منقذ الحنظليّ ولا بالمرار بن سلامة العِجْليّ ، ولا بالمرار بن بشير الذُّهليّ ، وسأشير الى شرحه بأوفى من هذا في فصل (زرر). ومعنى « تدين » تطيع ، و « المزرور » الزمام المربوط بالبرة ، وهو معنى قوله : ... حلقة من الشَّبَّه ...

وهو الصفر ، اي تطيع هذه الناقة زمامها المربوط الى برة انفها .

ومثل هذه الفوائد الادبية التاريخية الكثير الذي نجده في اغلب المواد التي عرض لها ابن بري في « تعليقاته » . ولك أن تفيد من المواد : شعب ، وعرقب ، وكرب ، وغوث ، وحوج ، وربح .

قلت : ان طائفة من « التعليقات » تزودنا بفوائد لغوية نحوية وتاريخية ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثال :

جاء في مادة « شي ي ا » :

وذكر في فصل (شيء) : ان الخليل يرى ان اشياء فعلاء جمع على غير واحده كما أن الشعراء جمع على غير واحده .

قال الشيخ ــ رحمه الله ــ : حكايته عن الخليل انها جمع على غير واحده كشاعر وشعراء وهم منه ، بل واحدها شيء ، وليست

اشياء عنـــده بجمـــع مكسر ، وانما هي اسم واحـــد بمنزلة الطرفاء ، والقصباء ، والحلفاء ، ولكنـــه يجعلها بدلا من جمع مكسر بدلالة اضافـــة العدد القليل اليهـــا كقولهم : ثلاثة اشياء .

وامـــا جمعها على غير واحدها فمذهب الاخفش ، لانـــه يرى ان « اشياء » وزنهـــا « افعلاء » واصلها اشييء فحذفت الهمزة تخفيفا ، وكان ابو علي يجيز قـــول ابي الحسن على ان يكـــون واحدها « شيئا » ، ويكون « افعلاء » جمعا لـــ « فعل » في هذا ، كما جمع « فعل » علـــى « فعلاء » نحـــو : سمح وسمحاء ، وهو وهـــم من ابي علي لان « شيئا » اسم ، و « سمحا » صفة بمعنى سميح ، لان اسم الفاعل مـــن « سمح » قياسه سميح ، وسميح يجمع على سمحاء كظريف وظرفـــاء ، ومثله خصم وخصماء لانـــه في معنى خصيم .

والخليل وسيبويه يقولان : اصلها شيئاء ، فقدمت الهمزة التـــي هي لام الى اول الكلمـــة : فصارت اشياء ، فوزنها على هذا لفعاء ، ويدل على صحة هـــذا ان العرب قالت في تصغيرها أُشَيِّاء ، ولـــو كانت جمعا مكسرا كما ذهب اليـــه الاخفش لقيل في تصغيرها شُيَيْئات كما يفعل ذلك في الجموع المكسرة كجِمال وكِعاب وكِلاب ، تقـــول في تصغيرها : جُمَيْلات وكُعَيْبات وكُلَيْبات ، فتردها الى الواحد ، ثم تجمعها بالالف والتاء .

وجـــاء في مادة « و ح د » :

وذكـــر (اي الجوهري) في فصل « وحد » : ان « وَحْدَهُ » فـــي قولك : رايته وحدَهُ ، منصوب عنـــد اهل الكوفة على الظرف ، وعنـــد اهـــل البصرة على المصدر .

قـــال الشيخ ـــ رحمه الله ـــ : اما اهل البصرة فينصبونه على الحال ، وهـــو عندهم اسم واقع موقع المصـــدر المنتصب على الحال ،

مثل : جـــاء زيد ركضا اي راكضا ، ومـــن البصريين من ينصبه علـــى الظرف ، وهو مذهب يونس ، وليس ذلك مختصـــا بالكوفيين كما زعم ...

وهـــذا النمط من التعليقات اللغوية نجده مبثوثا في مـــؤلف كثيرة من « كتاب التنبيه ... » ومنهـــا : سلب وصوب وعتب ونصب وملح ونبح ونصـــح وأمس ...

علـــى ان في « التعليقات » ما يشير الى صواب نسبة شاهد كمـــا في مـــادة « وجد يجد » ، بضم الجيم في المضـــارع ، والشاهد هو قـــول لبيـــد كما زعم الجوهري في « الصحاح » :

لـــو شِئتِ قد نَقَعَ الفؤادُ بشَربةٍ تَدَعُ الصَّوادي لا يُجِـــدْنَ غليـــلا

قـــال الشيخ ـــ رحمه الله ـــ : البيت لجرير وليس للبيـــد كمـــا زعـــم ، وبعـــده :

بالعذب في رَضْفِ القِلات مَقيلُـــه قَضَّ الاباطـــحِ لا يزال ظليـــلا

قولـــه : نقع الفؤاد أي روى ...

عـــود الى « الكتاب » ومقدمة المحقـــق .

اقـــول : لقد بذل الاستاذ المحقق من الجهد الصادق والعمل المتقن ما هيأ لهذا العلق النفيس ان يأتي على خـــير صورة من الضبط فـــي النص بالافادة مـــن الاصول المخطوطة ولسان العرب ، وبما زين النص بالفوائـــد السنية التي ظهرت في حواشي المحقق . ولا بـــد لي أن أقف على اشياء يسيرة لا تنال من هـــذه الديباجة المشرقة شيئا مـــا .

اقـــول : وقفت وقفات لا بـــد من بسطها في هذا الموجز :

جـــاء في كلمة صاحب التصدير الاستاذ علي الخاقاني محمـــد ـــ رحمـــه اللـــه ـــ :

فهـــل يرجى ان تتولى الجمع بينهما (اي الصحاح وحواشيـــه) على هذه الصورة دار مـــن دور النشر العتيدة ، تحفزها رغبة خالصة في استحيـــاء التـــراث !!

اقـــول : حرت والله في ادراك معنى « العتيدة » ، ما المراد منها ؟ الذي اعرفه ان « العتيد هو المعـــد الحاضر ، ومنه ما جاء في لغـــــة التنزيل : « هذا ما لدي عتيـــد » ٣ ، سورة (ق) . كأنه يعني : ما كتبه من عملـــه حاضر عندي .

فهـــل تكون دور النشر حاضرة معدة ، اذا كـــان هذا هو المراد فليس للصفة فائـــدة ذلك ان دور النشر معنية بالنشر للكتـــب !!

اقـــول : لعل هذه الكلمة التي ران عليها ضباب الشيوع قد غـــام شيء من حقيقتهـــا !

ثـــم اني وقفت ثانية على « استحياء التراث » !

اقـــول : الذي اعرفه من هذه الكلمة مـــا جاء في قوله تعالـــى : « ... ويستحيون نساءكم » ٤٩ سورة البقـــرة . اي يستبقونهن ، واستحياه : استبقاه حيـــا .

ولـــم اقف على ما يريده الاستاذ الجليل ــ رحمه اللـــه ــ فـــي قوله « استحياء التراث » بمعنى احيـــاء التراث !

اذا كان هذا هو المراد فلم عدل عـــن « الاحياء » الى « الاستحياء » التي افادت ما صرحت بـــه الآية الكريمة ؟

ولنأت الآن الى « المقدمـــة » لنجد المحقق الفاضل في الحاشية (١) من الصفحة الخامسة يقـــول :

١ ــ تضبط الصاد من كلمــة « الصحاح » بالكسر على انــه جمع صحيح مثل كريم وكرام ، وبالفتح صفة بمعنى صحيح مثــل شحيح وشحاح وبجيل وبجال ، وهو من الامثلة التي عدها ابن السكيت ممــا جــاء على فعيل وفعال بمعنى ، وانظر اصلاح المنطــق ١٠٧ ، ١٠٨ .

اقــول : هذه الحاشية صحيحة وان ما في « اصلاح المنطق » مــن فصيح العربية ، ولكنــي اتساءل فأقول : هل جاء في الخبر ان كتــاب الجوهري قــد ورد بفتح الصاد « الصحاح » وان احــدا من المتقدمين قد نص على هذا الوجــه ؟

اذا كــان شيء من هذا فكان على المعنيين بــ « الصحاح » ذكره .

غــير اني لم اقف على شيء من ذلك ، ثــم أتساءل فأقول : اذا كان الجوهري اراد المفرد بفتح الصاد فلم لــم يجعله « الصحيح » انسوة بــ « صحيح » البخاري و « صحيح » مسلم وغيرهما ؟ هــذا مجــرد تســاؤل .

٢ ــ وجــاء في الصفحة السادسة من « المقدمة » قــول الاستاذ المحقق في الكلام على النظام الذي اتبعــه الجوهري في « الصحاح » :

... فقــد رتبت الجذور اللغوية على الحرف الاخير منهــا ...

اقــول : من غير شك ان المحقق قد اراد بــ « الجذور اللغوية » ما سماه ابن بري « فصولا » ومــا نسميه في عصرنا بــ « المواد اللغوية » وما سمي قديمــا ايضا « الاصول اللغويــة » .

ولا ارى حاجــة ان نستعمل « الجذور » فهي دخيلة منقولــة بالترجمة عن الفرنسية Les racines او عن الانكليزية The roots

اقــول : اذا كنا نملك الكلمة العربية الفصيحة مصطلحا دقيقــا جرى عليه المتقدمون ومن خلــف من بعدهم فهلا نركب شططا اذا صرنــا الى جديد وافــد علينا !!

٣ ــ وجـــاء في الصفحة الخامسة عشرة قول الاستاذ المحقق :

ترى بعد هـــذا الذي اسلفناه ــ وبناء عليه ــ هل يسوغ لنـــا ان نكمل حواشي ابن بري من روايـــة ابن منظور لهـــا في « لسان العرب » ؟

اقـــول : ايحق لنا ان نستبعد عبارة : « وبناء عليه » من هـــذه المقدمة الجميلة المفيـــدة لانها لا تليق بها فهي عبارة من العبارات الدارجة في لغـــة الدواوين ، فما احرانا باستبعادها .

٤ ــ وجـــاء في الصفحة نفسها قول المحقـــق :

اننـــا نستطيع ان نستقرىء (كذا) نقول ابن منظور عن ابن بري . . .

اقـــول اراد بقوله : « نستقرىء » نتتبع ، والصواب : نستقري بالياء ، ولـــم يعرض هذا الوهم للكتاب الا بتوهـــم اصالة الهمزة التي وجدوها في المصـــدر « استقراء » ، وحقيقة الهمزة في « الاستقراء » انهـــا من الياء كالهمزة في « بنـــاء » و « استحياء » .

ومـــن يدري فلعلنا في يـــوم ما سنصير الى الفعـــل « استبقأ » نأخذه على توهـــم اصالة الهمزة في « استبقـــاء » .

اقـــول : اذا جاز ان نقول « نستقرىء » خطأ فلا بـــد ان نصير الى خطأ مثله آخـــر !

٥ ــ وجـــاء في الصفحة التاسعة والثلاثين مـــن « المقدمـــة » استعمال المحقق كلمـــة « حياة » لتعني « سيرة » المؤلـــف .

اقول : و « الحياة » وافدة علينا من ترجمة الكلمة الفرنسية La vie

او مـــن الكلمة الانكليزية The life . واذا كان المتقدمون قـــد استعملوا « السيرة » و « السير » لمـــا نستعمله الآن من لفظـــة « الحياة » فلم نلجأ للكلمة الجديدة التي تقابل هذه الكلمـــة الاصيلة .

٦ ــ وجـــاء في الصفحة الثامنة والاربعين مـــن « المقدمـــة » قـــول القنطـــي :

لمـــا دخلت نسخة « الصحاح » الى مصر نظرها الناس فاستجودوا قرب مأخذها . وقد علق المحقق فقـــال : استجود جاء بالواو على اصله كما جـــاء استروح واستصوب واستحوذ .

اقـــول : ليس في العربية « استجود » والذي جـــاء على مثاله استحوذ واستصوب واستصاب واستجوب واستجاب . ومـــن يدري فلعله لغـــة سائرة في زمان القنطي ، وقد جدت قياسا على نظائرها .

٧ ــ وجـــاء في الصفحة الرابعة من الكتاب في مـــادة (اوا) :

قـــال الشيخ ــ رحمه اللـــه ــ ...

وقـــال ابو زياد : ...

وقد علق المحقق في حاشيته : في « اللسان » و « التاج » : ابو زيد :

اقـــول : والصواب ما في « اللسان » و « التاج » ، وكان الاولـــى بالمحقق ان يثبتـــه ويشير الى ما جـــاء في الاصول المخطوطة في الحاشية ، وذلك لان « ابا زيد » يكون في هذا النص ، وان « ابا زياد » نكرة لا نعرف من امره شيئا بين اللغويين والنحـــاة .

٢ ــ كتـــاب « التكملة والذيل والصلة » لكتاب « تاج اللغـــة وصحاح العربيـــة » للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (٢٢) .

---

(٢٢) شارك في تحقيق هذا المعجم ثلاثة من الاساتذة فكان الجزءان الاول والرابع بتحقـــيق عبد العليم الطحاوي ومراجعة الاستاذ عبد الحميد حسن عضو المجمع ، والجزءان الثاني والخامس بتحقيق ابرهيم الابياري ومراجعة الاستاذ محمد خلف الله ،والجزءان الثالث والسادس بتحقيق ابي الفضل ابرهيم ومراجعة الدكتور مهدي علام .

بـــدا **المحقق** الاول بكلمة « تصدير » بقلم الدكتور ابرهيـــم مدكـــور الامين العام لمجمـــع اللغة العربية تكلم فيه على التراث اللغوي وجهـــد « المجمـــع » في نشره واحيائه وان من هذا الجهد اعتزامه نشر طائفـــة من معجمات العربيـــة ، فكان احدها كتاب « التكملة هذا ، وعهد الـــى نخبة من اهـــل التحقيق للقيام بهذا العمل . واستهلك هذا التصديـــر صفحتيـــــن .

ثـــم كان « التقديم » بقلم الاستاذ عبد الحميد حسن عضو المجمـــع فتكلم في صفحتين عـــن (ذخائر الثقافة العربية الحافلة بـــ « قيـــم » المؤلفات في اللغـــة والعلم والادب وشتى فروع المعرفة التي كانـــت ولا تزال هاديـــا للباحثين ...

وقـــد ظلت هذه الذخائر عبر الاجيال ترسل اشعتها ثاقبة تـــارة وخافتة تارة اخرى ... حتى اتاح اللـــه لبعضها من عرف قدرها فبـــذل جانبا من الرعاية والعنايـــة واخرجها ...) (٢٣) .

ثـــم تكلم على جهد المجمع في حفظ اللغة العربية لغـــة القرآن ... لقـــد استوعبت هذه الديباجة الصفحة الاولى مـــن « التقديم » فانتقـــل في الصفحة الثانية الى الكلام عن مؤلـــف الكتاب وهو الصغاني فكانـــت ترجمة موجزة لسيرته وبيـــان طائفة من « مصنفاته » .

امـــا الكلام على « الكتاب » اي « التكملة » فقد استمار صاحـــب التقديم ما كتبه الصغاني نفسه في آخـــر « التكملة » وقد استوفى اكثر من صفحة ونصف صفحـــة .

وبعـــد هذا كله جاء « منهج التحقيق » وهو الكلام على النســـخ المخطوطة الاربع فكان لهـــذا القسم ثلاث صفحات .

---

(٢٣) تقديـــم « التكملة » ص٧

اقـــول : لم يجد المؤلف ان الضرورة تدعـــو الى دراسة الكتاب والوقوف على منهج صاحبه وكيف كان عمله . ثم الكلام على علاقة هـــذا العمل الكبير بالاعمال المماثلـــة التي سبقته .

لـــم يكن شيء من هذا ولنبدأ العمل على بركة الله ـــ سبحانه ـــ فنعرض للكلمة التي ذيل بهـــا الصاغاني « تكملته » وهذا شيء منهـــا :

« قـــال الملتجىء الى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني تجاوز الله عنه ، هذا آخـــر ما أملاه الحفظ وأمله الخاطر مـــن اللغات التي وصلت الـــي ، وغرائب الالفاظ التي انثالت علي ، وهذا بعد أن علتني كبرة وأحطت بما جمع مـــن كتب اللغة خبرا وخبرة ، ولـــم آل جهدا في التقرير والتحرير والتحقيق وايراد ما هو بـــه حقيق ، واخراج ما لا تدعو الضرورة الى ذكره ، حذرا من اضجار متأمليـــه ، وتخفيفـــا على قارئيه ، وان كان ما من الله تعالى بـــه من التوسعة ومنحه الاقتدار على البسط وزيـــادة الشواهد من فصيح الاشعار وشوارد الالفـــاظ الى غير ذلك ممـــا أعجز عن أداء شكره ليكون للمتأدبين معينا ، ولهـــم على معرفة لغات الكلام الالهي واللفظ النبوي معينا ، فمن رابـــه شيء في هذا الكتاب فـــلا يتسارع الى القدح والتزييف ، والنسبة الى التصحيـــف والتحريف ، حتى يعاود الاصـــول التي استخرجت منها ، والمآخذ التـــي اخذت على تلـــك الاصول ، وانها تربي على الف مصدر من كتب الحديث : كغريب أبي عبيدة وأبي عبيد والقتبي والخطابي والحربي ، والفائـــق للزمخشري ، والملخص للباقرجي والغريـــب للسمعاني وجمل الغرائـــب للنيسابوري ، ومن كتب اللغـــة والنحو ودووابن الشعراء واراجيـــز الرجاز وكتـــب الابنية وتصانيف محمد بن حبيب كالمنمـــق والمؤتلف ، وما جـــاء اسمين أحدهما اشهر من صاحبه ، وكتـــاب الطير وكتاب النخلة وجمهرة النسب لابـــن الكلبي ...

وهكـــذا يستمر المصنف فيذكر من اسامي الكتب التي افـــاد منهـــا ما استوعب اكثر من صفحة من الكتـــاب .

وهـــذا كل ما جاء في مقدمة صاحب « التقديم » لهذا الكتاب الذي يخرج محققا اول مـــرة ، وكنت اطمع في زيادة توضح وتشرح وتبين مـــا يتصل بالنهج الذي سار عليـــه المؤلف مثلا ، وفي اشياء اخرى تتصـــل بأصول الكتاب الخطيـــة .

ولنعـــد الى مقدمة الصغاني نفسه لنرى ما عرض فيهـــا :

قـــال الملتجىء الى حرم الله تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني اعاذه اللـــه من ان يهوي الى هوى قلبـــه ، او يعتقد منعمـــا سوى ربـــه .

هـــذا كتاب جمعت فيه ما اهمله ابـــو نصر اسماعيل بن حمـــاد الجوهري ـــ رحمه اللـــه ـــ في « كتابه » وذيلت عليـــه وسميته كتاب « التكملة والذيل والصلة » غير مدع استيفاء ما اهملـــه ، واستيعاء مـــا اغفله ، ولا يكلف اللـــه نفسا الا وسعها ، وفوق كل ذي علـــم عليـــم وكـــم ترك الاول للآخر ...

ولنعـــد الى « الكتاب » فنتحرى ما اوجزه المصنف في « مقدمته » :

١ ـــ ان الكتـــاب اشتمل على قدر كبير من المـــواد التي اهملها الجوهري ، وكنت قـــد اقتصرت في مبحثي هذا على الجـــزء الاول من الكتاب فكان هـــذا شيئا من ربع مـــواد الجزء .

اقـــول : ان ذكر « المهمل » هذا يجعل صنيع الصاغاني « تكملة وذيلا وصلة » بحق ، وسآتي على هذا القدر مما اهملـــه الجوهري في هذا الجزء لاقول فيـــه بعض الفوائد .

٢ — ومن فوائد الكتاب الاخرى المعاني والابنية التي لم يذكرها الجوهري حين اورد موادها وهذا قدر كبير ، وهو يعني ان الجوهري اجتزأ بشيء من المعاني والابنية واهمل ما سوى ذلك وانت تقف على هذا في اغلب ما اشتمل عليه كتاب « التكملة ... » .

ودونك مادة (جيأ) :

شمر : جَيَّأْتُ القِرْبَةَ : خِطْتُها . وانشد للجُمَيْح :

تَخَرَّقَ ثُفْرُها ايّامَ خُلَّتْ على عَجَلٍ فجيبَ بها اديمُ
فَجَيَّأَها النساءُ فخانَ منها كَبَعْثاةٌ ورادعةٌ رَدُوم

الرادعة : الاست . والردوم : الضروط .

وقال ابن الاعرابي : جايأني الرجل من قرب اي قابلني : ومَرَّ بي مُجاياةً اي مُقابلَةً .

وقال ابو زيد : جَايَأْتُ فلانا اي وافقت مجيئه ...

والجَيْأَة بالفتح : الموضع الذي يجتمع فيه الماء ، وكذلك الجِئة مثال الجِعة ، والثانية محذوفة على وزن عِدة ، قال الكميت :

والجيأة موضع أو منهل ، وانشد شمر :

وفي كتاب الحروف لابي عمرو الشيباني :

الجِيئة : الدم والقَيْح . وانشد البيت : فجيَّأَها النساء ...

أقول : انك ترى المصنف يذكر المعنى مسندا الى احد المتقدمين من اللغويين ويأتي بالشاهد فيعرض لمواده اللغوية بالشرح والفوائد الاخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ وهــو حين يذكر ما تركه الجوهري من ... م والمعاني نجــده في اغلب الاحيان ناقــدا مصححا .

٣ ــ قلــت ان الصاغاني في مــواد كثيرة ناقد مصحح ، يشير الى موطن الخطأ فيذكر الصواب كما يشير الى سوء وضع الكلمة لانهــا وردت مهموزة وهي معتلــة او العكس مثلا ، ولنعرض لشيء من ذلــك :

جــاء في مادة (جيأ) :

وقــول الجوهري : جاءاني على « فاعَلَني » غلط والصواب جايَانِي لانــه معتل العين مهموز اللام لا علــى العكس .

ومثل هذا ما جــاء في مادة (تأب) قول المصنف :

ذكــر الجوهري التَّوْأَبانيّين في هــذا الفصل ، والتاء في التَّوْأَبانيِّين غير اصلية وموضعها فصــل الواو .

٤ ــ وهــو ينسب الشاهد الى الشاعر ان لــم يكن منسوبا ، وقد يصحح او يكمل في روايــة البيت ، وقد يكون الشاهد شطرا مــن بيت فيأتي بمــا يكمله . ويذكر رواية للبيت ان كانت لــه رواية معروفــة شائعة ، وقــد يصحح في لفظه ويشرح معنــاه وشيئا من كلمه ، كما يأتي احيانا على ذكــر المناسبة التي قيل فيها البيت او المقطوعة مثلا ، ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثــال :

ذكــر في مادة (بأبأ) :

قــال الجوهري : بَأْبَأْتُ الصبيَّ : اذا قلت لــه : بابي انتَ وأُمِّي ، قــال الراجــز :

وصاحبٍ ذي غُمْرَةٍ داجَيْتُهُ
بَأْبَأْتُــه وإنْ ابَــى فَدَيْتُهُ

حتّى أتَى الحيَّ وما آذَيْتُهُ

قال الصغاني : وبين قوله : « داجَيْتُهُ » وقوله : « بَأْبَأْتُهُ » مشطور وهو :

زَجَّيْتُهُ بالقول وازدَجَيْتُهُ

وجاء في مادة (بدأ) :

وانشد الجوهري للكميت في هذا التركيب :

فكأنما بُدِئَتْ ظواهر جِلْدِهِ مما يُصافِحُ من لهيبِ سِهامِها

قال الصغاني : وليس للكميت على هذا الروي شيء .

وجاء في مادة (بكأ) :

فليأزِلَنَّ وتبكُؤُنَّ لقاحُهُ ويُعَلِّلَنَّ صبيَّهُ بسَمارِ

والرواية : وليَأْزِلَنَّ بالواو منسوقا على ما قبله وهو :

فليضرِبَنَّ المرءَ مفرِقَ خالِهِ ضربَ الفِقارِ بمِعْوَلِ الجَزّارِ

والبيتان لابي مُكعِث الاسديّ .

وجاء في مادة (حلأ) :

وانشد الجوهري لامرىء القيس في هذا التركيب :

كمَشْيِ أتانٍ حُلِّئَتْ عن مَناهِلِ

والرواية : كمَشْيِ الاتانِ حُلِّئَتْ بالمَناهِلِ .

وصدره : واعجَبَني مشيُ الحِزِقَّةِ خالدٍ .

وروى ابو عبيدة : ويا عَجَبي يمشي الحِزِقَّةَ خالدٌ .

وجاء في مادة (زأزأ) :

تـــدر زُؤَزِئَةٌ وزُوازِئَةٌ ، بالهمز ، العظيمة الواسعة ، وذكرهـــا الجوهري في المعتل ، وهي مهموزة من الزَّأْزَأَة ، وهي الضَّمّ ، قال ابو حزام غالب بن الحارث العكلـــي :

وعنـــدي زُؤازِئَةٌ وَأْبَـــةٌ تُزازِئُ بالدَّأْثِ مـــا تَهْجُؤُهْ

اي تُضَـــمُّ .

وجـــاء في مادة (نسا) :

وقـــال الجوهري : قال عروة بن الورد العبسيّ :

سَقَوني النَّسْءَ ثـــمَّ تَكَنَّفُوني عُداةَ اللّـــهِ من كَـــذِبٍ وزُورِ

والروايـــة : النِّسْيَ ، بالكسر غير مهموز ، اي مُسْكِرا انساه العقل ، ويقال لكل مسكر : نِسْيٌ ، وذلك انهـــم سَقَوْه الخمرَ وطلبوا اليه ان يفتدوا منه امراته ام وهب لانـــه كان سباها ، فلما سكر اجابهم الى ذلـــك .

وجـــاء في مادة (حبب) :

وقـــال الجوهري : قال هُدْبَة بن الخَشْرَم :

فما وَجَدَتْ وَجْدي بها أُمُّ واحـــدٍ ولا وَجْـــدَ حُبَّىَ بابنِ أُمِّ كِـــلابِ

قـــال الصغاني : وليس البيت لهدبـــة .

وجـــاء في مادة (حسب) :

وقـــال الجوهري : قـــال الشاعر :

ونُقفي وليدَ الحيِّ إنْ كان جائعـــاً ونُحسبُه ان كـــان ليس بجائـــع

والصواب : قالت امراة ، فان البيت لامراة من قيس يقال لهـــا امّ العبّاس .

وجـــاء في مادة (شيب) :

قـــال الجوهري : قال ابن السكيت في قول عدي :

والرأسُ قـــد شابَهُ المشيبُ

وليس الشعر لعدي بن زيد ولا لعديّ بـــن الرقاع .

اقـــول : وفي « كتاب التنبيه والايضاح ... » لابن بري الذي تحدثنا منه في هذا المبحث ، ان البيت لعبيد بن الابرص ، وصـــدره :

« تصبو وانى لك التصابي » وانظر ج ١ ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

وجـــاء في مادة (طبب) :

وقـــال الجوهري : قال الكميت :

ومـــا إنْ طِبُّنا جُبْـــنٌ ولكـــنْ مَنايانـــا ودُولـــةُ آخَرينـــا

قـــال الصغانيّ : وليس البيت للكميت ، وانما هو لفروة بـــن مُسَيْك ، وللكميت قصيدة على هـــذا الوزن والروي اولهـــا :

الا حُيِّيتِ عنّا يـــا مَدينا

وجـــاء في مادة (عرب) :

قـــال الجوهري : والعَرُبة النفس ، قال الشاعر :

لمـــا اتيتُكَ ارجُو فضلَ نائلِكـــم نَفَّحتَني نَفْحةً طابتْ بها العَرَبُ

قـــال الصغانيّ : والبيت مُغَيِّر ، وهو لابن مَيّادة يمدح الوليد بـــن يزيـــد ، والروايـــة :

لمـــا اتيتُكَ من نجْـــدٍ وساكنِه نَفَّحْتَ لي نَفْحةً طارَتْ لها العَرَبُ

وجـــاء ايضا في هذه المـــادة :

وقـــال الجوهري : وعرابة ، بالفتح ، اسم رجـــل من الانصار من الاوس ، قـــال الحطيئة :

اذا مـــا رايةٌ رُفِعَتْ لمجـــدٍ تلقاهـــا عُرابـــةُ باليميـــنِ

قـــال الصغاني : وليس البيت للحطيئة وانما هو للشمّاخ .

وذكـــر المبرد وابن قتيبة ومحمد بن سعد : ان الشماخ خرج يريد المدينة فلقيـــه عُرابةُ بنُ اوس فسأله عما اقدمـــه المدينة فقال : اردت ان امتار لاهلي ، وكان معه بعيران ، فاوقرهما عرابة تمرا وبرا وكساه واكرمه ، فخرج مـــن المدينة وامتدحه بالقصيدة التي يقول فيهـــا :

رايـــتُ عُرابةَ الاوسيَّ يسمُـــو الى الخيراتِ منقطعَ القرَيـــنِ

اذا ما رايـــة ...

واختـــم هذه الفوائد بما جـــاء في مادة (حتت) :

قـــال الجوهري : واما قول الفرزدق :

فانكَ واجـــدٌ دوني ضُعـــودا جراثيمَ الاقارعِ والحُتـــاتِ

فيعني بـــه حُتاتَ بنَ زيد المجاشعيّ . وانما هو حُتاتُ بنُ يزيـــد ، وحُتاتٌ لقـــب ، واسمه بِشْر .

٥ ــ وقـــد يذكر الحديث فيعلق عليه وقـــد يصححه كما ورد في مـــادة (خلأ) :

وقـــال الجوهريّ : وفي حديث سُراقة : « ما خَلأتْ ولا حَرنَتْ ولكن حبسها حابس الفيـــل .

قـــال الصغاني : ونسبة الحديث الى سُراقة سهو ، وانما هـــو حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قاله عـــام الحُدَيْبية رواه المِسْوَرُ ابن مَخْرَمة ومروان بن الحكـــم .

ولنعـــد الى ما اهمله الجوهري وذكره الصغاني فنقول : انـــــه اشتمل على مـــواد ثلاثية واخرى رباعية فاما الثلاثية فهي طائفة كبـــيرة . وكان الجوهري اراد ان يستبعد مـــن « الصحاح » الغريب الذي يندرج في باب « النوادر » . وسنعرض لهذه المـــواد التي اهملها ووردت فـــي الجزء الاول من كتـــاب « التكملة ... » فقط لنتبين هـــذا الغريـــب « النادر » . وقـــد اورد الصاغاني هذا « المهمـــل »، وهو حين يذكره بقوله : « اهمله الجوهري » يعقبه بقول لاحـــد المتقدمين من اللغويين فيه كان يقول في « جلأ » واهملـــه الجوهري ، وقال ابو زيد : جلأت بـــــه الارض اي ضربـــت ...

ودونك المـــواد الثلاثية التي اهملها الجوهري ووردت في الجـــزء الاول مـــن « التكملة » :

تفـــأ : اهمله الجوهري ، يقال : تَفِئَ بالكسر تَفَأً اذا احتَدَّ وغَضِبَ .

جـــلأ : اهمله الجوهري ، وقال ابو زيـــد ...

جمـــأ : « « ، وقال ابـــو عمرو : التَجمُّؤ ...

خنـــأ : « « ، وقال الليـــث ...

دبـــأ : « « ، وقال ابو زيـــد ...

رتـــأ : « « ، وقال ابن دريـــد ...

زوأ : « « ، وقال ابو عبيـــد ...

ستـــأ : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

سدأ : « « ، وقال الكسائـــي ...

سعطأ : « « ، وقال ابن بزرج ...

شسأ : « « ، وقال الازهري ...

شكـــأ : « « ، وقال الفـــراء ...

شوأ : « « ، وقات الليـــث ...

ضرا : اهمله الجوهري ، وقال ابـــو عمـــرو ...

ضيأ : « « ، يقال : ضيئت المـــراة : كثر ولدهـــا ،

وهـــو تصحيف ضئلت .

اقول : اذا كان هذا تصحيفا فلم أدرِجْ في باب « المهمل » ؟ ولـــم أُدرِجْ في المعجمـــات الاخرى ؟

طشأ : اهمله الجوهري ، وقال الفـــراء ...

ظـــوأ : « « ، وقال ابـــن الاعرابي ...

ظيـــأ : « « ، وقال ابـــن الاعرابي ...

عـــدأ : « « ، ويقـــال ...

غبـــأ : « « ، ...

فبـــأ : « « ، والفباة المطرة السريعة ساعة ثم تسكن..

فضـأ : « « ، وقال الاصمعي ...

فـــلأ : « « ، ...

فنـــأ : « « ، وقال ابـــن الاعرابي ...

قـــدأ : « « ، وقال شمـــر ...

لثـــأ : « « ، وقال الفـــراء ...

مطـــأ : « « ، وقال ابـــن الفرج ...

أثـــب : « « ، وقال الليـــث ...

تجب : « « ، وقال الليـــث

تنـــب : « « ، وقال الدينوري

ثطب : « « ، وقال ابـــن الاعرابي ...

جزب : « « ، وقال ابـــن الاعرابي ...

جغب : « « ، وقال ابـــن دريد ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دجب : اهمله الجوهري ، وقال ابـــن الاعرابي ...

دحب : « « ، وقال ابـــن دريد ...

ددب : « « ، وقال الازهري : الديدُبـــان ...

وذكـــر الجوهري الديديون بمعنى اللهـــو في باب النون والصواب ذكره في هـــذا الموضـــع .

دكب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ذعب : « « ، وقال الاصمعي ...

رشب : « « ، وقال ابو عمـــرو ...

زحب : « « ، وقال ابن دريـــد ...

زخب : « « ، وقابل ابن الاعرابي ...

زكب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

زلـــب : « « ، ...

زنـــب : « « ، وقال ابو عمرو ...

زوب : « « ، وقال الفـــراء ...

زهب : « « ، وقال ابو تراب ...

سدب : « « ، ...

سذب : « « ، ...

سسب : « « ، وقال الدينوري : السِّيسَبان شجر .

سطب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ضأب : « « ، وقال ابو زيـــد ...

طسب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

طعب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

عظب : « « ، وقال الليـــث ...

غدب : اهمله الجوهري ، وقال ابن دريـد ...

غرب : « « ، وغراب مثل سحاب قرية في سفح جبل على ثمانية فراسخ من سُمَرْقَنْد (٢٤) .

قثب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

قزب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

كحب : « « ، وقال ابن دريد ...

كدب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

كزب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

كشب : « « ، وقال الليث ...

كظب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

لخب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

لشب : « « ، اللولاشب الذئـب .

لكـب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

نطب : « « ، وقال ابن دريـد ...

وبب : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

وتـب : « « ، وقال ابن دريد ...

هكب : « « ، الهكب الاستهزاء .

يـوب : « « ، وشعيب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ابـن يوبب (٢٥) .

ارت : « « ، وقال ابو عمـرو ...

انـت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

---

(٢٤) لقد اكثر الصغاني من « المهمل » الذي اخذه على الجوهري لحشر فيه الكلم الاعجمي الدال على المدن والمواضع كما سنرى .

(٢٥) ومما تكثر فيـه حشره الاسماء الاعجمية من اعلام الاناسي .

بست : اهمله الجوهري ، بُسْت بلـد من اعمال سِجِسْتان (٢٦) .

بنـت : « « وقال أبو عمرو ...

تبـت : « « ، تُبَّت أرض ينسب اليها المسك الذكي (٢٧) .

تحت : « « ، نقيض فـوق .

تـرت : « « ، وقال أبو عمرو ...

تمـت : « « ، وقال ابن دريـد ...

تنـت : « « ، وقال أبو عمرو ...

ثتـت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ثرت : « « ، وقال أبو عمرو ...

ثمـت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ثوث : « « ، وأبو خزيمة ابرهيم بن زيد الثاتي منسوب الى جـده الثاني عشر ، من العبـاد الزهـاد (٢٨) .

ثهـت : « « ، وقال ابن بزرج ...

جتت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

جرت : « « ، وجرت من قرى صنعاء في اليمن (٢٩) .

جفت : « « ، وفي « النوادر » (٣٠) : اجتَفَتُ المـال واكتَفَتُه اذا اجتَرَفَه واستَحَبَّه اجمع .

جلت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

---

(٢٦) اليس من التزيد أن يقال : ان « بست » مما اهمله الجوهري !

(٢٧) وتبت مثل « بست » في ارادة التزيد من « المهمل » .

(٢٨) ولعل من التزيد الذي يتجاوز الحد أن يؤخذ على الجوهري اهمال « ثوت » لانهـا وردت في نسبة ابو خزيمة ابرهيم بن يزيد الثاتي (كذا) .

(٢٩) وهذا يضاف الى « المهمل » المزعوم وهو اسم مدينة يبدو عليه العجمة .

(٣٠) لم نهتد اي « النوادر » اراد فلدينا جملة كتب من « النوادر » معروفة.

حبت : اهمله الجوهري ، وحُبْتة ام سعد بن بَحير بن معاوية (٣١) .

خمت : « « ، وقال الليث ...

خنت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

زنت : « « ، وزناته من قبائل المغـــرب (٣٢) .

شبت : « « ، الشَّبْت البقلـــة المعروفة ، وترد فـــي « سبت » وفي الثاء المثلثة (٣٣) .

صحت : « « ، وقال الاصمعي ...

صعت : « « ، وقال ابن شُمَيْل ...

ضغت : « « ، وقال الخليل : الضغت بالفتح اللوك .

ضوت : « « ، وقال ابن دريد : ضوت موضع (٣٤) .

ضهت : « « ، وقال ابن دريد ...

طلت : « « ، طالوت اسم اعجمي .

عهت : « « ، قال ابو الوازع ... (٣٥) .

كست : « « ، والكَسْت لغـــة في القِسْط .

كلـــت : « « ، وقال ابن فارس ...

كنـــت : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

كوت : « « ، ومنه ابو عبيدة الكوتي ...

لحت : « « ، وقال ابن الفرج ...

لخت : « « ، وقال الليـــث ...

---

(٣٢) وكذلك « زناتة » البربرية !!

(٣٣) وهذا من اسماء البقول وهي من الاعجمية التي عربت ، وقد مر بنا منها السـداب والسذاب.

(٣٤) مثال آخـر للتزيد .

(٣٥) قالوا : كأنـــه مقلوب متعتـــه .

لـــوت : اهمله الجوهري ، وقال خالد بن جَنبَة ...

مصت : « « ، وقال الليث : المَصْت لغـــة في المَسْط .

مكت : « « ، وقال ابن دريد بمُكْتٌ بالمكان اي اقام (٣٦).

نتـــت : « « ، وقال ابو تراب ...

نخت : « « ، وفي « النوادر » ؟ ...

دتـــت : « « ، وقال ابو عمرو ...

دلـــت : « « ، وقال ابو زيد ...

بنـــث : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

حبث : « « ، وقال الاصمعي ...

شحث : « « ، وقال الليث ...

شرث : « « ، وقال الليث ...

شفت : « « ، وشَفاثَى قرية من سواد العراق (٣٧) .

ثكث : « « ، وقال الدينوري ...

شوث : « « ، والشويثي نوع من التمـــر (٣٨) .

صبث : « « ، وقال الفـــراء ...

طلث : « « ، وقال ثعلـــب ...

طهث : « « ، وقال ابو عمرو ...

عدث : « « ، وقال ابن دريـــد ...

عرث : « « ، وقال ابن دريد ...

عنث : « « ، وقال الليث ...

عوث : « « ، وفي « نوادر » الاعراب يقال : عَوثَني

---

(٣٦) هو من باب الابدال ، من غير شك ، بين التاء والثاء .

(٣٧) مازالت هذه القرية معروفة من اعمال حاضرة كربلاء ، ولعلها آرامية التسمية .

(٣٨) ضرب من التمر ذكره الجاحظ وذكره المقدسي في احسن التقاسيم ، ومازال الاسم معروفـــا .

فلان عن امـــر كذا اي نَبَّطَنِي عنـــه .

غنث : اهمله الجوهري ، وقال الليـــث ...

قبث : « « ، وقباث بن اشيم من الصحابـــة .

قيث : « « ، وقال ابو عمرو ...

كحث : « « ، وقال الليث ...

كلث : « « ، وانكَلَثَ اذا تَقَـــدَّم .

كنث : « « ، وقال الليث : الكنثة ، بالضم ، النُّوَرْدَجة تتخذ من آس واغصان خلاف تبســـط وتنضـــد عليها الرياحين ثـــم تطوى ، واعرابـــه كنثجة ؛ والنبطية كنثا (٣٩) .

كدث : « « ، وقال النضر ...

لطث : « « ، وقال ابن دريد ...

لمث : « « ، وقال الازهري ...

لغث : « « ، وقال ابو عمرو ...

لغث : « « ، والألغَثُ الاحمـــق .

لكث : « « ، وقال الفـــراء ...

متث : « « ، ومُتُوث قلعة بين الاهواز وواسط .

نأث : « « ، يقال : نَأَثَ عني اذا بَعُـــدَ .

نغث : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

وكث : « « ، وقال الليث ...

وهث : « « ، وقال الليث ...

هلث : « « ، وقال الليث ...

يغث : « « ، ويانَث اخو سام وحام ...

اذج : « « ، وقال ابو عمرو ...

---

(٣٩) وهذا من النماذج التي زيد فيها « المهمل »

اثـج : اهمله الجوهري ، وقال الليث ...

اوج : « « ، الأوْج ضد الهبوط ، من اصطلاحـات المنجميـن (٤٠) .

ببج : « « ، ومحمد بن الحسن بن علي بن نضر بن باباج من اصحاب الحديـث .

بدج : « « ، وابدوج السرج اعجميـة .

بزج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

بسج : « « ، بُوسَنْج من اعمال هَراة .

بنج : « « ، وقال الاصمعي ...

تلج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ثحج : « « ، وقال الازهري ...

ثمج : « « ، وقال الليث ...

ثنج : « « ، وقال ابو عمرو ...

ثوج : « « ، وقال ابن دريد ...

جاج : « « ، وقال ابو عمرو ...

جيج : « « ، وقال الاصمعي ...

حنج : « « ، وقال ابن دريد ...

حيج : « « ، وقال الكسائي ...

خزج : « « ، وقال الليث ...

خنج : « « ، وقال الازهري ...

دحج : « « ، وقال ابو عمرو ...

دزج : « « ، الديزَج من الخيل معرب دِيزَه .

دسج : « « ، المِدسَج دويبة تنسج كالعنكبوت .

---

(٤٠) و « الاوج » من المقامات البغدادية في الغناء في عصرنا ، والاسم من المعربات.

دنج : اهمله الجوهري ، وقال ابن الاعرابي : الدنج المقلاء من الرجال .

دوج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ديج : « « ، داج يَديج دَيْجاً ودَيَجاناً اذا مشى .

ذجج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

ذحح : « « ، وقال ابن دريد : ذَحَجَهُ وسَحَجَهُ بمعنى .

دعج : « « ، وقال ابن دريد ...

ذلج : « « ، وذَلَجَ الماء في حلقه اذا جَرَعَهُ .

رذج : « « ، وقال شمر : الرِّيذجان الابل تحمل حمولة التجارة .

رمج : « « ، وقال الليث ...

رمج : « « ، الرامِج الملواح الذي تصاد به الطيور(٤١).

زاج : « « ، وقال شمر ...

زبج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

زرج : « « ، وقال ابن دريد ...

سنج : « « ، وقال الليث ...

سنج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

سيج : « « ، وقال الليث ، يقال : سيَّجَ الحائط اي حظر كرمه بالشوك لئلا يُتَسَوَّر (٤٢) .

صجج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

صوج : « « ، وقال الليث ...

صهج : « « ، وقال الاصمعي ...

ضمج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

---

(٤١) لعله من المعربات كالمالج والطازج وغيرهما ذلك .

(٤٢) قد يكون هذا من الثلاثي غير الغريب في جمهرة هذه « النوادر » الغريبة .

ضيج : اهمله الجوهري ، وقال ابن الاعرابي : ضاج : مال وعدل .

طبج : « « ، وقال ابو عمرو ...

طزج : « ، الطازَج معرب تازه .

طنج : « « ، وطُنْجَة بلـد على ساحل بحر المغرب .

ظجج : « « ، وقال ابن الاعرابي : ظج في الحرب : صاح صياح المستغيث (٤٣) .

عبج : « « ، وقال الازهري ...

عذج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

عزج : « « ، وقال ابن دريد ...

فخج : « « ، وقال ابو عمرو ...

فدج : « « ، وقال ابو عمرو واللحياني ...

فنج : « « ، وقال ابن الاعرابي : الفُنُج الثقلاء من الناس .

قجج : « « ، وقال ابن الاعرابي : القُجُقُجَة لعبة لهم .

قطح : « « ، وقال ابو عمرو : القُطاح قُلْس السفينة .

قنج : « « ، وقال الازهري ...

قوج : « « ، وأحمد بن قاج من أصحاب الحديث .

كأج : « « ، وقال ابن الاعرابي : كَأَجُ الرجل ازداد حُمْقُه .

---

(٤٣) وقال الازهري : الاصل ضج ، اقول : وهذا يعني ان هذا مما ورد بالضاد والظاء.

كجج : اهمله الجوهري ، وقال الليث : الكُجَّة لعبة لهـم .

كدج : « « ، وقال ابو عمرو : كَدَجَ الرجل اذا شرب كفايتـه .

كذج : « « ، وقال الازهري : الكَذَج الماوى معرب كَذَه.

كمج : « « ، وقال الازهري ...

لذج : « « ، وقال ابن دريد ...

لوج : « « ، وقال ابن الاعرابي ...

متج : « « ، وقال ابو تراب ...

مثج : « « ، وقال الاصمعي ...

حج : « « ، وقال الليث ...

مغج : « « ، وقال ابو عمرو : مَغَجَ اذا عدا .

مغج : « « ، وقال الفـراء ...

ميج : « « ، وقال ابن الاعرابي : المَيْج الاختلاط .

نثج : « « ، ...

نرج : « « ، النَّوْرَج سكة المحراث وكذلك النَّيْرَج .

نزج : « « ، قال ابن الاعرابي ...

نلج : « « ، والنِّيلَج دخـان الشحم .

نوج : « « ، قال ابن الاعرابي ...

واج : « « ، الواج الجوع الشديـد .

وحج : « « ، قال شمر الوَحَج الملجـأ .

ونج : « « ، الونج ضرب من الاوتـار .

ويج : : « ، قال الليث : الوَيْج خشبة الغدان بلغـة عمـان .

يرج : « « ، اليارَج القلب والسوار ، فارسي معرب يـاره .

اقـــول : انتهى الثلاثي الذي اهمله الجوهري فاستدركـــه عليـــه الصغاني ولـــو رجع الدارس الى هذه المـــواد في كتاب « التكملـــة » لوجدها في الاغلب الاعـــم مؤيدة في انها اقوال اللغويين المتقدمين ، غـــير انـــه لا يجد في هذه المـــواد ما يؤيدها من شاهد على نحو ما هو معروف في المـــواد اللغوية في كتب العربية ، انـــه لا يجد شيئا منها في لغـــة التنزيل العزيز ، ولا في حديث شريف من حديـــث الرسول ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ وحديث اصحابه ــ رضوان اللـــه عليهم ــ ، ولا في مثل من امثال العرب ، ولا في قـــول مأثور من اقوالهم في الجاهلية والاسلام ، ولا في شعر شاعر معروف ، ولا في نثر الكتاب من اهـــل اللسن والبلاغة . وعلى هذا فهي اوابـــد وغرائب ونوادر ، ومن يدري فلعل شيئا منها قـــد ارتجله الاعراب فسمعه اللغويون منهـــم من دون ان يكون لـــه استعمال بينهـــــم .

وقـــد استقريت هذه المـــواد في الجزء الاول من « التكملة » دون ان استبعد شيئا منهـــا لاشير الى الدارس ان هذه المـــواد قد استبعدها الجوهري وهو عارف بحقيقتها ، وانـــه ربما عدها من غير « الصحيح » الذي حبس عليـــه « معجمه » .

ولنأت الآن الى الرباعي في هذا الـــجزء ، ولن اذكر هذا الرباعي برمته ، ولكني سأقف عليـــه وقفات تقصر او تطول .

ان هذه المـــواد الرباعية من « النوادر » ايضا ، ولعلها اغرب من نظائرها الثلاثية التي مرت بنـــا . ثم ان جمهرتها تدل على دلالات حسية لا ندرك لهـــا حداً لاننا لا نجدها في شواهد توضح الضروري من معانيها ، فمن ذلك ان منها قدرا يدل على « الصلب الشديد » احيوان هو ام انسان ام شيء آخـــر ، اصفة ام اسم . ومثله الطويل الرخـــو ، او القصير او

المتقبض ! كما ان منهـــا قدرا آخر يدل على ضرب من المشي او العـــدو او الحركة ، على اننـــا نقف فيها على اشتات اخرى لا ندرك من حدودهـــا شيئا كثيرا ، ومن المفيـــد ان نستدرك فنقول : قد نجد منهـــا شـــواذ تنصرف الى دلالة محـــددة . واليك شيئا من ذلك على سبيل التمثيل :

حفسأ : اهمله الجوهري ، وقال ابن السكيت : رجل حَفَيْسًا اذا كان قصيرا لئيـــم الخِلْقة .

دربأ : اهمله الجوهري ، ويقال : تَدَرْبَأَ الشيء : تَدَهْدَأَ .

طفشأ : « « ، وقال الاموي : الطَّفَنْشَأُ : الضعيف مـــن الرجـــال .

طلسأ : « « ، وقال ابن بزرج : اطْلَنْسَأَتْ : تحولت من منزل الى منـــزل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جحرب : « « ، وقال ابن دريد : فرس جَحْرَبٌ وجُحارِب وهـــو العظيم الخَلْق .

اقول : وفي قوله : انه « فرس » فائدة .

جرعب : « « ، وقال ابن دريد : الجَرْعَبُ الجافـــي ، وجُرْعُب ايضا من الاعلام، وجَرْعَبٌ: صُرِع.

جعتب : « « ، وقال ابن دريد : جُعْتُب بالضم ، اســـم مأخوذ من فعل ممـــات .
والجَعْتَبَة : الحرص والشره !

جعشب: « « ، وقال ابن دريد :الجَعْشَبُ الطويل الغليظ.

جعنب : « « ، وقال ابن دريد : الجَعْنَبُ القصير .

جنحب : اهمله الجوهري ، وقال ابن الاعرابي : الجِنْحاب القصير المُلَزَّز .

حترب : « « ، وقال ابن دريد : الحَتْرَب على وزن جعفر : القصير ، قال : واحسبه مقلوبا من « حَبْتَر » .

اقول : وليس من شك انه مقلوب ولكنه غير مسموع في كلامهم .

حطرب : « « ، وقال ابن دريد : الحَطْرَبة : الضيق .

حظلب : « « ، وقال ابن دريد : الحَظْلَبة : السرعة في العدو .

حظرب : « « ، والمِحْظِرب الضيق الخُلُق !

حنجب : « « ، وقال ابن دريد : الحُنْجُب : اليابس من كل شيء .

خدرب : « « ، وقال ابن دريد : خَدْرَب اسم على جعفر !

خذعرب: « « ، وهو من الخماسي ، قال ابن دريد : اسم زعموا ، ولا ادري ما صحته !

خزرب : « « ، وقال ابن دريد : الخَزْرَبة اختلاط الكلام وخطله .

اقول : وهذا معنى نجد فيه الخطلبة والهذرمة والهذربة .

خضعب: اهمله الجوهري ، وقال ابن دريد : الخُضْعُبة : الضعف .
وقال غيره : الخُضْعُبة : المراة السمينة .
اقول : الا يؤذن هذا ان نقول ان هذه الدلالات تفتقر الى شيء يقويهـــا ؟.

دحقب : « « ، وقال ابن دريد : دَحْقَبَهُ اذا دفعه مـــن ورائه دفعـــا عنيفا .

دعرب : « « ، وقال ابن دريد : الدُعْرُبة : العُرامـــة .
اقول : وما زال شيء من هـــذا في العامية الجنوبية في العراق ، يقال : فـــلان مُعذْرِب ، بالذال ، اي شِرِّير .

دعسب : « « ، وقال ابن دريد : الدُعْسُبة ضرب مـــن العـــدو !!

زلدب : « « ، وقال ابن دريد : زَلْدَبَت اللقمـــة اذا ابتلعتها ، وليس بثبت !

زلهب : « « ، وقال ابن دريد : زَلْهَب ــ زعمـــوا ــ : خفيف اللحية ، ولا أحقـــه .

سحتب : « « ، وقال ابن دريد : سَحْتَب ، هو الجريء المقـــدم .

سرندب : « « ، مـــن الخماسي ، ومنه سِرَنْديب بلـــد بناحية الهنـــد معروف .

سنطب : « « ، وقال ابن دريد : السنطبة طول مضطرب .

شخزب: « « ، وقال ابن دريد : الشخزب والشخازِب : الغليظ الشديد .

صرخب : اهمله الجوهري ، وقال ابن دريد : الصَّرْخَبَة والصَّرْبَخَة : الخفة والنزق .

طرعب : « « ، وقال ابن دريد : الطَّرْعَب : الطويل القبيح الطويل .

طعسب: « « ، وقال ابن دريد : الطَّعْسَبَة : عدوٌ في تعسف .

عرزب : « « ، وقال ابن دريد: العَرْزَب : الصلب الشديد.

قصلب : « « ، القُصْلُب : الشديد الصلب .

كرشب : « « ، وقال ابن دريد : الكِرْشَب والقِرْشَب واحد وهو المسن .

هزرب : « « ، وقال ابن دريد : الهِزْرِبَة الخفة والسرعة.

دلث : « « ، وقال ابن دريد : الدَّلْث والدِّلاث : السريع.

دهكث : « « ، وقال ابن دريد : الدَّهْكَث : القصير .

كنبث : « « ، وقال ابن دريد : الكَنْبَث والكِنابِث : المتقبض البخيل .

ثخبج : « « ، والمِثْخَبِج : الرهل اللحم .

عدرج : « « ، وقال ابن دريد : عدرج : هو الخفيف السريع .

لمهج : « « ، وقال الفراء : يقال لبن سَمْهَج لَمْهَج اذا كان حلوا دسما .

هردج : « « ، وقال ابن دريد : الهَرْدَجَة : سرعة المشي.

اقـــول : كنت قد وقفت على المـــواد الثلاثية واستقريت جملة مـــا ورد فيها في الجزء الاول من كتاب « التكملة ... » ، وذلك لاشير الـــى ان تلك المـــواد عامة تدخل في باب « الغريب » . وهي من « النوادر » . غير انـــي عمدت الىاختيار مـــواد معينة من المـــواد الرباعية ، تلك التي انصرفت الى دلالات معينـــة اشرت اليها قبل ذكر المـــواد وذلـــك لادل على ان هـــذه الطائفة من المـــواد تفتقر الى ما يثبت ورودها فـــي العربية فليس من شاهد يـــدل على صحتها وصوابها بل هـــي مجـــرد اقوال . ومن المفيـــد ان نلحظ ان اغلب ما اتيت على اثباته كان من اقوال ابـــن دريد ، وهذا يذكر بما قيل عن « مناكير » هذا العالم اللغـــوي . على ان في الكلمـــات الرباعية من المـــواد المفيدة المؤيدة بما يصح مـــن الشواهد ، ومع كل هذا فقـــد اهملها الجوهري (٤٤) .

خاتمـــــة :

هـــذا ما بدا لي ان اقول في معجم « الصحاح وتاج العربيـــة » وما كان لـــه من اثر في الدراسات اللغوية القديمة ، ذلك ان هذا المصـــدر قـــد حفز غير واحد الى ان يكتب فيه على نحو ما كما اشرنا الى ذلك ، فكان من ذلـــك ثمرات يانعات اعانت على درس المعجم القديـــم كمـــا قدمت فوائـــد سنية لمن يتصدى لتاريخ هذه اللغـــة الكريمة .

---

(٤٤) استطيع ان اقول : ان استقرائي للجزء الاول من كتاب « التكملة .... » يصح ان يدفعني الى القول الى ان ما في الاجزاء الاخرى من غريب الثلاثي الذي اهمله الجوهري وغريب الرباعي الذي عمدت ان يكون من صفة خاصة ، غير بعيد عن الجزء الاول من حيث كون المواد الثلاثية « المهملة » غريبة من « النوادر » وان ما فيها من الرباعي « المهمل » مشتمل على ما اردت من صفات تحققت في استقرائي للجزء الاول .

علي بن هذيل الأندلسي وكتابه :
(تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس)

لله كتور خليل أبو رحمه

اذا كانت الاندلس المسلمة قد بلغت من القوة ايام الدولة الاموية بحيث هابها الاعداء ، فانها انحدرت ـ فيما بعد ـ الى حالة سياسية سيئة، حيث تقاسمها ملوك الطوائف ، ولم يرعُ بعضهم عن طلب العون من ملوك النصارى ضد أبناء دينه ؛ فأخذت قواعد الاندلس تتساقط تباعا في أيدي النصارى ، رغم ما بذله المرابطون، ومن بُعدِهم الموحدون من جهود في المحافظة على ما تبقى من قواعد بأيدي المسلمين .

وفي ثنايا الفتن والمنازعات والدسائس ، تقوم مملكة غرناطة (٦٣٥ هـ)، بزعامة محمد بن يوسف النصري الخزرجي المعروف بابن الاحمر . وتتحمل هذه الدولة الصغيرة مسؤولية الجهاد منذ نشأتها . وتستطيع ان تصمد في وجه حرب الاسترداد التي اتخذت طابعا قوميا ودينيا . ويشاء الله لهذه المملكة الصغيرة ان تعمر ما يقرب من قرنين ونصف قبل ان تلفظ انفاسها الاخيرة ، وتستسلم الى اولئك الذين تمت على أيديهم مأساة من افظع مآسي التاريخ .

ولا يخفى على الدارس ان مملكة غرناطة قد بلغت قمة مجدها السياسي والعلمي ايام السلطان ابي الحجاج يوسف الاول (٧٣٣ ـ

٧٥٥ هـ) ، وابنـــه السلطان محمد الخامس . المعروف بالغني باللـــه ، الذي توفي سنة ٧٩٣ هـ . فكان الملكـــان ــ فوق فروسيتهما ــ عالميـــن يشجعان العلم ويرعيانه : ففي زمن ابـــي الحجاج شيدت « المدرســـة اليوسفية » المشهورة . كما تـــم بنـــاء المارستان الاعظم في غرناطـــة زمـــن الغني بالله . ونبغ في هذه الفترة طائفة من اهـــل العلم والادب ، وعلى راسهم ابن الخطيب ، وابن الجياب ، وابن زمرك ... وبين اولئـــك عاش صاحبنا ابن هذيل ، واسهم بتآليفـــه في هذه الحركة العلميـــة الناشطة . وكان اديبـــا ملتزما بقضية امتـــه المهمة ، كما يظهر ذلك من كتابه « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » ، وهو يقع في جزايـــن : الاول في الجهاد عامـــة ، والثاني في الخيل والسلاح . فالرجل قـــد استجاب لظروف العصر ، واصاخ لدواعي النصر ؛ وبذلك كان اديبـــا واقعيا عمليا لا خياليـــا ، حيث اتخذ من الادب دعوة للجهاد في سبيل اللـــه . وهو قد انس بفيء القرآن الكريم ، وبسنّة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وبالتاريخ الاسلامي والعربي في تاليـــف كتابه المذكور . وهذا الكتاب من الكتـــب التي تفصح عن الروح الاسلامية وهمومهـــا آنذاك اكثر مما تفصح كتـــب التاريخ . فالرجل قد اكتوى بنـــار التجربة ، فعبّر باحساسه الخاص عـــن احساس عـــام ، ولا سيما في الجزء الاول مـــن كتابـــه .

وابـــن هذيل هو ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي الغرناطي (١) ؛ ينتسب الى قبيلة فزارة . كما يفهم من قولـــه : « وقـــال بشر بن هذيل وهو احـــد قومنا (٢) ... » . ذكر محقق « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ما نصه : « وعلـــى كثرة التراجم التي اوردهـــا صاحبا نفح الطيب والاحاطة ، لـــم تقع العين على اسم هذا المؤلـــف، الذي يشترك في بعض الاسم مع الحكيـــم الاندلسي ابي زكريا يحيى بن

هذيل ، الذي كان من اشهر علماء الاندلس في القرن الثامن من الهجرة . وقد تعاصر مؤلفنا ويحيى بن هذيل ، وعاشا في مدينة غرناطة ، عاصمة دولة بني نصر، او بني الاحمر (٣) . ويقول لويس مرسييه : « اما ابن هذيل فلم اقف على ترجمته في كتب التراجم والمعاجم (٤) . ويبدو لي ان قول مرسييه اكثر حيطة من القول السابق لمحقق الحلية . وقد بحثت ما وسعني البحث فلم اقف على ترجمته في الكتب التي رجعت اليها ، ولكنني وقعت على ما اعتقد انه اشارة اليه . فقد جاء في « النفح » (٥) ما يلي : « وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله ، سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس يا مولاي لي من جابر اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا

غير صك احمر تكتب لي فيه يمناك اعتناء : صحّ هذا

والارجح عندي ان هذه الاشارة هي اشارة الى مؤلفنا ، ولي في ذلك ادلة استند اليها : فابو زكريا يحيى بن هذيل توفي سنة ٧٥٣ هـ . اي قبل ان يصبح الغني بالله سلطانا بسنتين . وقد بحثت عمن يكنى بابن هذيل في هذه الفترة فلم اجد واحدا يمكن ان ينسب البيتان اليه . وصاحبنا كان يُعرَف بالفزاري ، فهو ينتسب الى « فزارة » كما يؤخذ من كتابه « عين الادب والسياسة » (٦) . كما بحثت عن ابن هذيل الفزاري في الكتب القديمة فلم اجد له ذكرا . وفوق ذلك فابن هذيل قد رفع الجزء الاول من كتابه « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » الى السلطان الغني بالله ، كما سيجيء . وهذه الاشارة ، ان صحت ، هي ذات دلالة على ان الرجل كان مقربا من الغني بالله ، فهو يكاتبه . كما تدل على ان الرجل كان ينظم الشعر ، وان لم يكن شاعرا . وانا لم اجد له شعرا في كتابه « التحفة » .

يذكر مرسيه انـــه بحث عمن يحتمل ان يكون جـــدا من أجداد علي بن هذيل ، فلم يجد مـــن يحتمل ان يكون ذلك الا شيخا زاهـــدا اسمه ابـــو الحسن بن هذيل ؛ فانه لم يزل بقيـــد الحياة في اواخـــر القرن السادس الهجري ؛ وهو بلنسي الاصل ، كـــان صاحب الصلاة والخطبة بمسجد لُوْرقـــة ، واجاز لعدة من مشاهير علماء ذلك القرن ، منهـــم القاضي عياض (٧) . ويذكر مرسيه ان ابـــا البقاء خالد بـــن عيسى بن احمد البلعي قد ذكـــر في رحلته « تاج المفرق في تحلية علمـــاء المشرق » الشيخ ابـــا الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلُنسي . ويخلص مرسيه الى القـــول : « فيحتمل ان حفدة الشيخ ابن هذيـــل هذا كانوا من جملـــة المسلمين الذين اخرجهم ملـــك الاسبان،دون خايمه، من بلنسيا سنـــة ٧٥٠ هـ ، والتجأوا غالبا الى ايالـــة غرناطة ، حتـــى ازداد منهم مؤلـــف التحفة » (٨) . وقد بحثت عن الشيخ ابي الحســـن المذكور فوجدت ابن الأبّار يذكره في كتابه « المعجم في اصحاب القاضـــي ابي علي الصدفي » (٩) ، ووجدت انـــه توفي سنة ٥٦٤ هـ ، ولم يعمر حتى نهايـــة القرن السادس الهجري ، كما ذكـــر مرسيه . ولا يعقل ان يكون علي بن هذيل قـــد ازداد من حفدة الشيخ المذكور سنة ٧٥٠ هـ او بعدها ، لانـــه رفع الجزء الاول من « التحفة » سنة ٧٦٣ هـ الـــى الغني باللـــه ؛ فالاصح انه ولـــد قبل سنة ٧٥٠ هـ. وهكذا فاحتمـــال مرسيه ضعيف،ولا سيما ان الرجلين يلتقيـــان في الاسم « محمـــد »،وهو والـــد الشيخ،والجد الثاني لعلي بن هذيل ؛ ولكن المـــدة الزمنية بين ابي الحســـن علي بـــن محمد ، وعلي بن عبد الرحمن ، تقرب مـــن مئتيـــن وخمسين عامـــا . والارجح عندي ان بين الاثنين عمومة بعيدة،او خؤولة بعيـــدة .

شيخ من شيوخ علي بن هذيـــل :

امـــا شيوخ ابن هذيل ، فلم اعرف منهـــم الا واحدا ، ذكره ابـــن هذيل في الجـــزء الثاني من كتاب التحفة (١٠) ؛ فقد جـــاء في الكتـــاب المذكور ما نصـــه : « ومن أبدع ما قيل فيـــه ـــ يعني الرمح ـــ قـــول شيخنا القاضي الشريف ابـــي القاسم الحسني ، رحمه اللـــه :

واصمّ ممطول الكعوب اذا اقتضى ... مهـــج الكماة فدينه لا يمطـــلُ

متوقـــد حتى اقول : اذابـــل ... بِيَدَيَّ منه ام ذبـــالٍ مشعـــلُ

لولا التهاب النصل أيفع عـــوده ... ممـــا يُعَلُّ من الدماء وينهـــلُ

فاعجب لـــه ان النجيع بطرفـــه ... رمـــد ولا يخفى عليه مقتـــلُ (١١)

وابـــو القاسم الحسني « هو محمد بن أحمد الحسني السبتي القاضي، الملقب بالشريف ؛ آيـــة الله في العربية ؛ شرح الخزرجية ، لم يسبقـــه احـــد الى ذلك . قال ابن الخطيب القسنطيني في وفياته : لـــه شعـــر مدوّن سماه « جهد المُقِـــلّ » . كان إماما في الحديث والفقه والنحـــو ؛ وهو ممن يحصل الفخر بلقائه » (١٢) . وقال لسان الدين بن الخطيـــب عن ابي العباس بن الشريف ابـــي القاسم : « بارق ينتمي الى راعـــدة ، وبنـــاء على قاعدة . فأبوه الطود الاشم ... » (١٣) ومن تلاميذ ابـــي القاسم الامام ابـــو اسحق الشاطبي ، وعبد الله بن زمرك ، ولســـان الدين بن الخطيب ؛ وبمثل هؤلاء تفتخر غرناطة . وبينهم ظهر صاحبنـــا علي بن هذيل . فهـــو قد عاش في جـــو حافل بالعلم والادب ، وهو قـــد ساهم في هذه الحركة العلمية النشطة حيث الـــف عدة كتب . ولا يعقل أن ينسي ابن هذيل،وانما اقـــول : ان الكشف عن الكتب التي ترجمـــت لتلك الفترة قـــد يزيل السدف عن حياة الرجل ؛ فكتاب الاحاطة لـــم يصل الينا كاملا ، ووفيات ابن الخطيب ما زال مخطوطا ، وغيرهما كثير .

آثـــار ابـــن هذيـــل :

الـــف علي بن هذيل عدة كتب ؛ وقد وجدت مخطوطات منهـــا ، كما طبع بعضها . ومن مطالعة كتبـــه التي عثر عليها نعرف ان من تآليفه :

١ ــ كمـــال البغية والنيـــل .

٢ ــ تذكرة من اتقـــى .

٣ ــ مقالات الادبـــاء ومناظرات النجباء .

٤ ــ الفوائـــد المسطرة في علـــم البيطرة .

٥ ــ عين الادب والسياسة وزيـــن الحسب والرياسة .

٦ ــ تحفـــة الانفس وشعار سكان الاندلس . ويقع في جزايـــن : الاول في الجهاد ، والثاني في الخيـــل والسلاح ؛ وهو الجزء الذي اطلق عليه فيما بعـــد : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » .

ARCHIVE

أمـــا كتاب « كمال البغية والنيل » فقد ذكـــر المؤلف اسمه فـــي كتابه « عين الادب والسياسة » (١٤)، وذلك قولـــه « ومن المنقول فـــي تاليفنا كمال البغية والنيل » . ولـــم اعثر على خبر يفيد ان احـــدا عثـــر على مخطوط منـــه . وكذلك شأن كتابه « تذكرة من اتقى » ، فقـــد اشار المؤلف اليه في كتـــاب « عين الادب والسياسة » (١٥)، كقوله : « ومـــن المنقول في تاليفنـــا تذكرة من اتقى ... » . وكتابه « مقالات الادبـــاء » ذكره غير مرة في كتابـــه « عين الادب والسياسة » (١٦) كقولـــه : « ومن المنقول في تاليفنا مقالات الادباء » . امـــا كتاب « الفوائد المسطرة في علـــم البيطرة » فقد عثر عليه م. كولان في مكتبة الآثـــار التاريخية بمدريد (١٧) ، وطبع هذا الكتاب في مدريـــد سنة ١٩٣٥ (١٨) .

امـــا « عين الادب والسياسة » فمنه نسخة لدى السيد العربـــي القصيري ، رئيس مجلس الجنايات بدار المخزن ، واخرى مخطوطـــة بمكتبة الرباط العمومية ، وثالثة بمكتبة الاسكوريال (١٩) . وقد طبـــع هـــذا الكتاب لاول مرة في مصر سنـــة ١٣٠٣هـ ، ١٨٨٥م بمطبعـــة الاعتماد (٢٠) . ويذكر محمد عبد الغني حسن انـــه « لا يدري على ايـــة مخطوطة اعتمدت هـــذه الطبعة الاولى للكتاب » (٢١) ولكـــن مرسييه يذكر انهـــا اعتمدت على « نسخة السيد العربـــي القصيري » (٢٢) . وطبع الكتاب مـــرة ثانية على هامش كتاب « غرر الخصائص الواضحة » للأديب المصري جمال الدين « الوطواط » ، وهذه الطبعة في المطبعـــة الادبيـــة المصرية سنـــة ١٣١٨هـ ، ١٩٠٠م. واخـــر طبعة لهذا الكتاب هي التي ظهرت في سنـــة ١٩٣٨م بمطبعة مصطفى البابي الحلبـــي . « وهذه الطبعات في مجموعها مملوءة بالاخطاء والتحريف والتصحيـــف ، وينقصها كثير من التحقيق والنشر العلمي الصحيح (٢٣) . ويبدا هـــذا الكتاب بـــ « الحمد لله الذي وهب لنـــا العقول والاذهان ... » . ورتبه ابـــن هذيل على اربعة اقسام :

١ ـــ في نبـــذ من الاحاديث والحكم والامثال ، التي يقوى الشاهد بهـــا ويَعْظُـــم الاستدلال .

٢ ـــ في السؤدد والمروءة ومكـــارم الاخلاق ، ومداراة الناس والتادب معهم في حالتي الغنى والامـــلاق .

٣ ـــ في طُـــرف من الحكايات والآداب الصادرة عن اولـــي الالبـــاب والاحســـاب .

٤ ـــ في جمـــل من الوصايا والمواعظ الحسان ، العظيمة الفائدة والمنفعة لكـــل انســـان .

أمـــا عن كتاب « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » فهو يقـــع في جزاين . وقـــد وقعت بين يدي صورة عن مخطوط الجـــزء الاول ، أمـــا الجزء الثاني فقد طبـــع .

وعـــن مخطوطات الكتاب ذكر لويس مرسييه ان السيد نهليـــل، المحامي في الدار البيضاء،قد وقـــع على مخطوطة منه وقدمها اليـــه (٢٤) . وقد لجأ مرسييه الى تصوير الجـــزء الثاني سنة ١٩٢٢ ، وتصويـــر الجزء الاول سنة ١٩٣٢.وذكر انـــه لم يستطع مقابلة الجـــزء الاول بنسخة الاسكوريال . ثم دلّـــه م. كولان على مخطوطتين اشترتهمـــا المكتبة العمومية بحاضرة ربـــاط ،احداهما متن تحفـــة الانفس بعينه ورقمها « D ــ ٩٠٤ ــ » ، وهـــذه النسخة تنقصها الورقة الثانية ، وورقة من الفصل الاخـــير للجزء الثاني . كما لحق بهـــا تشويه كبـــير يعزى للعـــث والحشرات،ولا سيما بيـــن ٥ ــ ٧ اسطر في اعلـــى السبع عشرة ورقـــة الاولى . أما المخطوطة الثانية فقد ذكر ناسخها انـــه كتبها من نسخة مختصرة من كتاب ابـــن هذيل . ورقم هذه المخطوطـــة D ــ ١١٠٨ ــ . « واتضح مـــن مطالعتهـــا ان المختصر لها اقتصر على قطع اواخـــر الابواب الاربعين،من غير مراعاة لاتمام المعنى مـــع الايجاز،كما هـــو الواجب في مثل ذلك . وقد تـــم نسخها صباح الاثنين ١٥ ربيع الثاني سنـــة ٩٦٤ هـ في آسفي بني مجير . ثـــم ان السيـــد عبد الله الكتاني اعطـــى مرسييه نسخة اخرى كاملـــة كانت في مكتبة جامعة القيروان ، وبفضل هـــذه المخطوطة استطاع ان يصحح جـــزءا كبيرا من اخطـــاء النسخة الكاملة لنهليل (٢٥) » . وذكـــر بروكلمـــان مخطوطة احمـــد تيمور،ورقمها ٩٩ فروسيه . وذكر مرسييه انـــه حصل من المسيو « م. س. بيارني »،مديـــر مصلحة التلغراف الشريفية بالمغرب، على مخطوطة بعنوان « حليـــة الفرسان وشعار الشجعان »،ولم يذكـــر

عليها اسم مؤلفهـــا . وهكذا نكون قد عرفنا ست مخطوطات من الكتاب : اربعـــا منها من الكتاب بجزايه ، وواحدة مختصرة . والاخـــيرة هـــي مخطوطة الجـــزء الثاني من الكتاب .

وصف مخطوطة الجـــزء الاول المصورة :

لا يذكـــر مرسييه متى كتبت المخطوطة ، كما لا يذكر اسم ناسخها ، وهو يذكر انـــه لجأ الى تصوير المخطوط الذي قدمه اليـــه نهليل . وقد تـــم التصوير سنة ١٩٣٢م. واكتفى مرسييه بالتصوير ووضع جـــدولا صحح فيـــه بعض الكلمات ، وذكر انـــه سيحتفظ بنشر ملاحظاتـــه واشاراته في ترجمته لـــه (٢٦) .

كتبـــت المخطوطة بالخط المغربي في سبع وثمانين صفحة مـــن القطـــع المتوسط . وفي كل صفحة خمسة وعشرون سطرا،ومتوسط مـــا في السطر اربـــع عشرة كلمة . وليس في النسخة بياض ، ولا يوجـــد فيها غموض،الا ما وقـــع في الصفحة الثانية بين السطرين الثاني والخامس، حيـــث تختفي بعض الكلمـــات . وقد صحّحها مرسييه بالنظـــر الـــى مـــا يقابلها في الجـــزء الثاني،حيث تتّفـــق المقدمتـــان في كثير من الكلمات والجمل ، او انـــه رجع الى نسخة اخرى . وقـــد وقـــع ناسخ المخطوطة في كثير من الاخطـــاء ؛ وعندما حاول مرسييـــه تصحيحها وقـــع في اخطاء كثيرة ، بل انـــه كثيرا ما خطّأ الصـــواب : « فكلمـــة » استحلت في قول المؤلـــف « استحلت الغنائم » (٢٧) يجعلهـــا مرسييه « استحيلت »،وكلمة « مخيفي » في قول المؤلـــف « مخيفـــي سبيل (٢٨) يجعلها مرسييه « مخيعي » . والمؤلف يكتب كلمة « سراة » هكذا « سرات »،ويبـــدو ان كتابة التاء المربوطة مفتوحة كانت شائعة . ولكـــن مرسييه بدلا من تصحيحها يستبدل بهـــا كلمة « سادة » دون ان ينتبـــه

الى ان الكلمـــة وردت في الشطر الاول من بيـــت للفرزدق وهو « كـــذا دابي وداب سراة قومي » (٣٩) . وواضح ان استبدال كلمـــة « سادة » بكلمـــة « سراة » يخرج البيت عن موسيقاه . وغـــير ذلك كثير مـــن الاخطاء التي وقـــع فيها مرسييه .

كمـــا ان مرسييه اغفل كثيرا من الكلمات دون تصحيح ؛ فقـــد ورد في الكتاب ما يلـــي : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم : « سيقطع الجهاد والربـــاط الا بجيزة يقال لهـــا الاندلس ... » وواضح ان كلمـــة « جيزة » خطأ . والصواب « جزيرة »،بدليل ما ورد مـــن احاديث اخرى فـــي الكتاب منسوبة للرسول،صلى الله عليه وسلـــم، ولكنها تذكر كلمـــة «جزيرة » . كما ان كلمـــة « جيزة » لا تؤدي المعنـــى المطلوب في الحديث السابـــق ... وينقل المؤلف ابياتـــا لحسّان بـــن ثابت في مدح الانصـــار ، وهي من البحر البسيط،ومنها هذا البيت كمـــا اثبتـــه الناســـخ :

ومـــا هـــز جنات الحرب نادينـــا ونحن حين تلظى نارها سـعر (٤١)

وواضح مـــا في الشطر الاول من اضطراب في موسيقاه وفي معنـــاه . والصحيـــح هـــو :

ولا يهـــزّ جناب الحرب مجلسنـــا ونحن حين تلظى نارها سـعرُ (٤٢)

ويبـــدو أن مرسييه لا يعرف جيدا اساليب العرب في القول ، ولذا وقـــع في بعض الاخطاء حين حاول ان يصحح . فالمؤلـــف في تفسيره كلمة « اولي الامـــر » في قوله تعالى : « واطيعوا اللـــه واطيعوا الرسول واولي الامر منكـــم » يقول : « فقيل في اولي الامر انهـــم الولاة الامر . قالـــه ابو هريرة وابن عباس وغيرهما . وقيل هـــم اصحاب السرايا ، وقـــال جابر بن عبد الله هـــم اهل العلم والفقـــه ؛ والاكثر على انهـــم

الامراء والسلاطين » (٣٣) . وواضح ان كلمة « والاكثر على انهم » تفيد معنى الاتفاق ؛ ولا داعي لذكر كلمة « واتفق »،كما فعل مرسييه حيث راى اضافة كلمة « واتفق » قبل كلمة « الاكثر » . ورغم اخطاء مرسييه الا انه يبقى له الفضل في تعريفنا الى هذه المخطوطة . وهو قد حاول فاصاب في شيء واخطا في آخر ، ويبقى له فضل السبق، وتبقى له محاولة الاجتهاد؛والعصمة لله وحده . وهكذا فالنسخة المصورة عن مخطوطة نهليل لا تحقق الفائدة الكاملة المرجوّة،ان اعتُمِد عليها . والواقع انها تنتظر يدا مخلصة لوجه الله تعالى تنقذها مما بها من تحريف وتصحيف واخطاء .

وصف مخطوطة الجزء الثاني المصورة (٣٤) :

تم نسخ هذه المخطوطة التي نشرها مرسييه بطريقة الفوتوتيب في سنة ١١١٠هـ ، على يد احمد بن احمد بن جلون . وهي مكتوبة بالخط المغربي الدقيق،في ثمانين صفحة من القطع المتوسط . وفي الصفحة خمسة وعشرون سطرا ، ومتوسط ما في السطر اربع عشرة كلمة؛وليس في النسخة بياض الا في الصفحتين الاخيرتين . وقد اضاف مرسييه اليها ست عشرة صفحة من التصويبات التي وجدها في نسخة الاسكوريال . وصَوَّر مرسييه نسخته هذه عن النسخة التي عثر عليها المسيو م. س. بيارني،مدير مصلحة التلغراف الشريفية بالغرب .

ويظهر أن ناسخها ــ غفر الله له ــ كان خالي المعرفة بالادب والتاريخ واللغة والشعر واسماء الرجال ... فقد وضع فيها من التحريف والتصحيف والمسح والتشويه ما كثر معه العناء في التصحيح . ويستطيع القارىء أن يدرك ذلك بأدنى نظر الى الهوامش الكثيرة التي ازدحمت بها طبعة الكتاب ، التي تُعَدّ اول طبعة عربية له .

وعلـــى الرغم من جداول التصويب التي اضافهـــا الناشر المستشرق الفرنسي الى النسخة المصورة،لم يكـــد يَسْلَم سطر واحد من الخطـــأ والتحريف ؛ بل كثيرا مـــا كان يعمد الى الكلمة الصحيحة فيتوهم انـــه يصحّحها ... ولكن بخطأ جديـــد؛وكثيرا ما كان يمـــر على الكلمة المحرّفة فيتركها دون اصلاح،تَوَهُّمًا منـــه لصحتها .

والامثلـــة على ذلك كثيرة جدا ؛ فلم تعجبه كلمة « الدغم » فـــي غـــرر الخيل،وهي صحيحة بالكتاب ، فأصلحها في جداول الخطـــأ والصواب الى « الرغم » بالراء ... وترك كلمـــة « العلق » في وصـــف ابـــي العلاء المعرى للرمح دون تصويب،وصوابها « الحلـــق » .

والحقيقة ان مـــن ينظر الى هوامش كتاب « الحلية » يدرك مدى ما لقي محمد عبد الغني حسن فـــي تحقيقه . ولكن يبدو لـــي ان المحقق ـــ غفر الله له ـــ لم يَـــرَ غير النسخة المصورة،وهو على علـــم بوجود نسخ اخرى من المخطوطة . ودليلي على ذلك انـــه لا يشير في مقدمتـــه الى اعتماده على نسخة اخـــرى ؛ ولذلك تكلف هذا العناء واضطـــر الـــى ان يبحث عن كثير من جمـــل الكتاب في الكتب الاخرى . كما انـــه يكثر من استعمال كلمـــة « هكذا بالاصل »،ولا يقصد بالاصل الا النسخة المصورة . كما يكثر من استعمال كلمـــة « هكذا بالاصل والتصويـــب عـــن ... » وهو يرجع في تصويبه الى الكتـــب،لا الى مخطوطـــات اخرى . وقليلا مـــا يذكر نسخة الاسكوريال،ولكـــن ذكره لا يعني رؤيته لهـــا،لانه يرجع رؤيتها الى ناشر المصـــورة .

كمـــا يبدو لي ان المحقق ـــ سامحه الله ـــ لم يـــر الجزء الاول من الكتاب رغم انـــه نص على وجوده مخطوطا ، فهو يقول : « ووعـــد مرسييه بنشر القسم الاول من كتاب التحفة لابـــن هذيل ، وكان ذلك في

سنة ١٩٢٢ ، حتى يتـــم بذلك كتاب الاديب الاندلسي كلّـــه . ولا نعلم ان كانت الايـــام امكنته من انجاز وعـــده ».(٣٥) ومعروف أن مرسييه نشر صورة مخطوطة الجـــزء الاول سنة ١٩٣٢م . والمحقق طبع الجزء الثاني سنة ١٩٤٩م . ولـــو راى المحقق الجزء الاول ما اعتمد علـــى التخمين في تحقيق مقدمـــة الجزء الثاني ، اذ ان المقدمتين متشابهتـــان الى حـــد كبير . فقد جاء في الاصل المصور ما يلـــي : « والباب الثالث في حفظ الخيل وصونها ، وما ــ بل والوصية بهـــا » (٣٦) وقد صحح المحقق هذا النص فجـــاء « والباب الثالث في حفظ الخيل وصونهـــا ، وما قيل في الوصية بهـــا » وعلق على ذلك بقولـــه : « ولعل الصواب ما ذكرناه » . ولـــو راى المحقق الجزء الاول المخطوط او المصور لاستغنى عـــن التخمين،ولثبت عنده أن « وما ــ بل » من زلـــة قلـــم الناسخ ؛ فقد ورد في الجزء الاول ما يلـــي : « الباب الثالث في حفـــظ الخيـــل وصونها والوصية بهـــا » . وواضح ان المحقق استغنى عن كلمـــة « بـــل » الزائدة ولكنه اوجـــد كلمة تناسب كلمة « ومـــا » الزائدة ؛ ولا داعي للكلمة « ومـــا » ولا لكلمة المحقق « قيل في »،المضافة الى النص،لان المعنى يستقيم كما في الجزء الاول . وفوق ذلك ، وقـــع المحقق في لبس حين تحدث عن الملـــك الذي رفع اليه الكتاب؛مما يؤكد انه لم يـــر الجزء الاول . وسأتحدث عن السلطان الذي رفـــع اليه الجزء الاول بعـــد ان اتحدث عـــن اسم الكتاب .

اســـم الكتـــاب :

يقـــول ابن هذيل في مقدمة الجزء الاول،بعـــد أن يتحدث عن طريقته في تاليفـــه : « وسَمَّيتُه تحفة الانفس وشعار سكـــان الاندلس،وقسمته على قسمين جامعين لفوائـــد غريبة ، ومعان صحيحة غير سقيمة ولا معيبة،يشتملان على اربعين بابـــا ؛ فالقسم الاول في الجهاد والربـــاط

وما يتعلق بـــه،ويحتوي على عشرين باباً؛والقسم الثاني في الخيـــل والسلاح وما يتعلق بهمـــا،ويحتوي ايضا على عشرين بابـــا » (٣٨) . وواضح ان اسم الكتاب هـــو « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس »، وهو في جزاين ، في كل جـــزء منهما عشرون بابـــا .

ولـــدى الموازنة بين اسماء ابواب الجزء الثاني،كمـــا وردت في المخطوطة التي عثر عليها بيارني،وبين اسمـــاء الابواب الاربعين التـــي وردت اسماؤها في مقدمة الجـــزء الاول المخطوط،الذي حصلت علـــى صوره منه،تبيَّن لـــي ان لا خلاف بين اسماء الابواب في كلتـــا النسختين، إنْ في النص او في الترتيب . كمـــا وجدت ان المقدمتين متشابهتان،ولـــم تختلفا الا اختلافا يسيرا اقتضاه اختـــلاف السلطانين اللذين رفع لهمـــا الجزآن ، كما اقتضته مـــادة كل منهما ؛ وما عدا ذلك فالنصان متشابهان، إن في الغرض،او في وصف المنهـــج،او وصف بعض السلاطين . ولكـــن ، من اين اتى اسم الجـــزء الثاني : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ؟ وهل وضع ابـــن هذيل هذا العنوان ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يوجـــد هذا العنوان الا في مخطوطة وجدها مرسييه عنـــد المسيو « م. س. بيارني » (٣٩) . امـــا المخطوطات الاخرى فـــلا تذكـــر هذا العنوان . وابـــن هذيل نفسه لم يذكره في مقدمة الجـــزء الاول،كما بيّنت . وذكـــر مرسييه ان نسخ المخطوطة تلك هو احمـــد بن احمد بن جلون ، سنة ١١١٠هـ . واستدل على هـــذا الاسم مما جاء بآخر المخطوطة، وهو ما يلـــي : « انتهى بحمد الله وتوفيقه على يـــد كاتبه احمد بـــن جلّون ، غفر اللـــه ذنبه وتاب عليه ، آميـــن . صحوة يـــوم الجمعة الثانية من المحـــرم من العام العاشر بعد مائة والف » (٤٠) . وقد بحثـــت عن ابن جلون فلم اجد لـــه ذكرا . والرجل متأخر عن ابـــن هذيل،فبينهما ما يقرب من ثلاثمائة سنـــة ، ونسخته مليئة بالاخطاء . فيحتمل ان يكون

هذا العنوان من وضعـــه ، او من وضع غيره ممن اعتمد عليهم ابن جلون . والغريب ان لويس مرسييه، عندما يذكـــر كتب ابن هذيل، يعتبر الحليـــة كتابـــا مستقلا، فيفرد له رقما خاصا بـــه، وللتحفة رقما خاصا (٤١) . وقـــد حقق محمد عبد الغني حسن مصوّرة مرسييه، وطبعهـــا في كتاب بعنوان « حلية الفرسان وشعـــار الشجعان » . وانـــا لا اميل الى هذا العنوان لمـــا ذكرت ، واقترح ان يكون عنوان الجزء الاول : « تحفة الانفس وشعار سكـــان الاندلس ، الجزء الاول ، في الجهاد والرباط ومـــا يتعلق بهما » ، وان يكون عنوان الجزء الثاني : « تحفـــة الانفس وشعار سكان الاندلس ، الجزء الثاني ، في الخيـــل والسلاح وما يتعلق بهمـــا » ؛ وبذلك نكون قد وضعنا العنوان نفسه الذي ارتضاه المؤلـــف .

لمـــن رفـــع الكتـــاب :

رفـــع ابن هذيل الجزء الاول من كتابه الى « امير المسلمين الغني بالله ابي عبد الله محمـــد » (٤٢) . وذكر والده ابـــا الحجاج يوسف ، وجـــده ابـــا الوليد اسماعيل بن نصر ، واضاف عليهم كثيرا من نعوت الفتـــح والجهاد والنسب الرفيـــع .

امـــا الجزء الثاني فقد رفعه الى « امير المسلمين المستعين باللـــه ابـــي عبد الله محمد » (٤٣)، وذكر اربعة من آبائه الملوك ؛ فهو ابن ابـــي الحجاج يوسف، بن الغني باللـــه ابي عبد الله محمد، بن ابي الحجـــاج يوسف، بن ابي الوليـــد اسماعيل بن نصر . واضاف عليهم ـــ كما فعـــل في الجزء الاول ـــ كثيرا من نعوت الفتح والجهـــاد والتدبّر والنسب ...

وقـــد ذكـــر قصيري في برنامجه لمكتبـــة الاسكوريال ان هديـــة « تحفة الانفس » وقعت سنـــة ٧٦٣ هـ (٤٤) . اي انهـــا رفعت للغني بالله عند ولايتـــه للمرة الثانية ؛ فقد تولى الغني باللـــه الامر سنة ٧٥٥ هـ

حتى سنة ٧٦٠ هـ حين ثـــار اخوه ابو الوليد اسماعيل الثاني وخلعـــه . ولكنه اعـــاد ملكه سنة ٧٦٣ هـ وبقي في الحكم حتـــى سنة ٧٩٣ هـ (٤٥) حيـــن توفـــي .

امـــا الجزء الثاني فلا يُعرَف متى رفعه للمستعين باللـــه ابي عبد الله محمد ؟ ولكننا نعـــرف ان المستعين حكم من سنة ٧٩٧ هـ الى سنـــــة ٨١٠ هـ (٤٦) . وعلى ذلك يكون بين اهدائه الجـــزء الاول،واهدائه الجزء الثاني ما يقرب مـــن خمس وثلاثين سنة على اقـــلّ تقديـــر .

ويذكـــر صاحب « معجم المطبوعات العربيـــة » ان المسيو لويس مرسييه ترجم كتاب حلية الفرسان ــ الجزء الثاني ــ الى الفرنساوية ... وقال في مقدمته : « ان هذا الكتاب الفـــه ابن هذيل باشارة السلطـــان محمد الخامس بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ... الذي ملـــك بيـــن سنة ٧٥٠ هـ الى ٧٦٤ » (٤٧) . ونحن نتفق معـــه في اسم السلطان ، ولكننا نختلف معـــه في الفترة الزمنية التي ذكرهـــا . فمحمد الخامس الغني بالله تولى الحكم سنة ٧٥٥ هـ وليس سنة ٧٥٠ هـ . كما انـــه لـــم يحكم حتى سنة ٧٦٤ هـ حكمـــا متتاليا . وانما فقد حكمه سنة ٧٦٠ هـ ، كما ذكرت . ولكنه اعـــاده سنة ٧٦٣ هـ.وبقـــي في الحكم حتى سنـــة ٧٩٣ هـ . وقـــد حاول محمد عبد الغني حسن الرد على ما جاء في معجـــم المطبوعات،فأخطأ حين قـــال معلقا على ذلك : « وهذا الكلام يحتاج الى التصحيح من جهتين : فـــان السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل قد تولى سنـــة ٧٥٥ هـ لا سنة ٧٥٠ هـ . وليس هذا السلطان هو الـــذي عُمِل كتاب التحفة باشارته ، ولا أُهديَ من المؤلـــف اليه ، فقد كـــان متقدما على السلطان محمد بن يوسف بن محمد بن اسماعيل ، وبينهمـــا

اثنتان واربعون سنة ، ودليلنا على ذلك هو كلام ابن هذيل نفسه في مقدمة كتابه: فالسلطان الذي قُدِّم اليه كتاب التحفة، او الحلية، هو الحادي عشر من ملوك الدولة النصرية ، على حين ان السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل، الذي يذكره صاحب معجم المطبوعات العربية ، هو الثامن في ملوك هذه الدولة » (٤٨) . وهكذا خطأ الرجل ما جاء في المعجم من جهتين ، ولكنه وقع في الخطأ من ثلاث جهات ؛ حين نفى ان يكون كتاب « التحفة » قد رفع الى الغني بالله، ورأى أنه رفع الى المستعين بالله، معتمدا في ذلك على ما ورد في مقدمة الجزء الثاني فقط، دون الاخذ بعين الاعتبار المدة الزمنية بين اهداء الجزأين ؛ فهو يتحدث عن الجزء الثاني كما لو كان يتحدث عن الجزء الاول . وهذا هو الخطأ الثاني . اما الخطأ الثالث فهو في ذكره ان السلطان الذي قُدِّم اليه الجزء الثاني هو الحادي عشر من سلاطين الدولة النصرية ؛ والصحيح انه السلطان الثاني عشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لِمَ أَلَّف ابن هذيل كتاب « تحفة الانفس » :

يقول ابن هذيل في مقدمة الجزء الاول : « فان اعظم الفوائد قدرا ، واشرف المعاني ذكرا ، وانجح المساعي امرا ، ان يُرفع فَنّ من العلم نبيل الى مقام ملك جليل ، لا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بصفة الملك الغالبة عليه ، ويختص بسجيته المنوطة به ، وقطره الراجع حكمه اليه ، فيتضاعف شرف الموضوع . وذلك هو الذي اوجب على العبد تأليف هذا الكتاب ... عندما لاذ به، وتمسك بفاضل مذهبه في الجهاد والرباط (٤٩) » ثم يقول : « فجاء بحمد الله في غنه مجموعا كافيا ، وفي معناه اسلوبا شافيا ، تذكرة لمن عني بالجهاد وتبصرة لارباب الطعان والجلاد ، وتنبيها للفارس وعونا للبطل

الممارس » (٥٠) . وهـــذا الكلام موجود في مقدمة الجزاين مع اختـــلاف طفيف . وواضح ان المؤلـــف يعتبر مادة الكتاب من العلم النبيل، لانهـــا تتعلق بصفة الملـــك الغالبة عليه، الا وهي الجهاد ؛ فكان تاليفه استجابة لدواعي الجهـــاد آنذاك ، كما كان استجابة لاحساس نفسيٍّ بما آلـــت اليه الحال ؛ فاتجه الى القرآن ينتقي منه مـــا يحقق هدفه النبيل ، والى سنّة الرسول، صلى اللـــه عليه وسلم، ومغازيه يختار منهـــا ما تطلبه الحال ، والى تاريـــخ العرب يستلهم منه ما يناسب المقـــام . ولا غرابة في ذلك فقد تعرَّض المسلمون في الاندلس في تلك الفتـــرة لشر مستطير ، حيث تكاتفت ايدي الكفـــر تريد قمعهم، او تغيير عقيدتهم التي كانوا بهـــا، وبغيرها لـــن يكونوا . وقد تنبّه سلاطين الدولـــة النصرية لذلك ، فجعلوا الجهاد ديدنهـــم ، وعاشوا والسلاح في يدهم، والعـــدو يتربص بهـــم الدوائر في كـــل حين . وقد بلغت غرناطة أوج ازدهارها وقوتها زمـــن ابـــي الحجاج يوسف الاول، وابنـــه الغني بالله ؛ وتوفي المستعين محمد ابن يوسف بعـــد ان عاد من غزو ولاية جيان سنة ٨١٠ هـ (٥١) . وابـــن هذيل يدرك جيـــدا تعلق السلاطين النصريين بالجهاد، واعتباره واجبـــا دينيا خالصا لوجه اللـــه تعالى ؛ ويبدو ذلك واضحا في مقدمة كل مـــن الجزاين . ولـــو لم يصرح ابن هذيل بهدفه من التاليف لعرفنا ذلـــك بالتلميح ؛ فالمستعين ذو الدين المتيـــن ، المجاهد الاقصى ، وهو ابن ابي الحجاج يوسف، المجاهـــد في سبيل الله، ابن الغني باللـــه، سيف الله المسلول في سبيل جهـــاده، والغني ابن السلطان المجاهـــد ، قامع الكفار، ومُفتّاح الاقطار، ابـــي الحجاج يوسف بن المجاهـــد في سبيل رب العالمين ، معـــز الاسلام واهله، ابي الوليد اسماعيل بن نصر (٥٢) . والمؤلف يدرك تماما ــ حال الاندلس، فيحضّ على الجهـــاد ويرغّب فيه ، ويرضى حكـــم اللـــه حيث القلة المسلمة والكثرة الكافرة . فبعـــد ان يسوق آيـــات واحاديث في فضل الجهاد عامـــة، يعلق بقوله : « وان اكرم تربة رفـــع

الايمان بهـــا علما ومنارا ، تربة لبست الجهـــاد في سبيل الله شعارا ... جزيرة الاندلس ، ازكى تربـــة ، راقت صفحة ومحيا ، وفازت بمدخور فضل الشهادة اعمار اهلهـــا ... فخبرها طريف ... كأنها بين بحـــر زخار ، وعدو جزار،ملازمين اهلها في الليل والنهـــار . والروم بها امـــم كثيرة مختلفة لا يعلمهم الا اللـــه تعالى . والحرب بينهم وبين المسلمين، على قلتهـــم بالاضافة اليهم،لم تزل سجالا ؛ تارة حال نصر واقتدار ، وتارة حال تمحيص واختبار . سبحان العزيز القهـــار ، الذي كل شيء عنده بمقدار » (٥٢) . وهـــذا النص بالغ الدلالة على حال المسلمين آنذاك . كما انـــه بالغ الدلالة على المفهوم الاسلامي النقـــي الخالص للجهـــاد؛ فالحرب سجال ، والمسلمون تارة حال نصر واقتدار ، وتارة حال تمحيص واختبار . فهو يعتبر هزيمتهم تمحيصـــا واختبارا من اللـــه سبحانـــه وتعالى . وهذا الكلام يذكرنا بقوله تعالى : « ان يمسسكم قرح فقـــد مس القوم قرح مثله؛وتلك الايـــام نداولها بين الناس ؛ وليعلم الله الذين آمنـــوا ويمحق الكافرين » . كما ينطوي النص على صرخة الـــم دفين ، وعلى اعجاب مشوب بالاشفاق علـــى المسلمين ، وعلى اعجاب يبلـــغ حـــد العشق للأندلس .

وفي نص آخـــر يضع ابن هذيل يـــده على مشكلة نفسية كانـــت قائمة ، وعلى موطن من مواطن الضعف،وهـــو الانهزام دون قتال ؛ ويقول بعد ما يورد آيـــات كريمة واحاديث شريفة تحضّ على الثبات : « واما ما يفعله اهـــل الفشل والخَوَر والخذلان في هذا الزمن،من الانهزام عنـــد رؤية العدو، قَـــلَّ او كَثُر، قبل التلبس بالقتال ، ومراجعـــة الابطـــال ؛ وتعريض الضعفاء لمـــا قد جرت بـــه العادة الرذلة من القتل والاسر ، فهذا ما لا يجوز لمسلم بوجـــه ، وفيه معرة وسوء فطنة المآل؛واللـــــه يعصم مما يصم » (٥٥) . والجزء الاول فيـــه كثير من تعليقات ابن هذيل

على ما يسوق من آيات او احاديث او اخبـــار . ومن تعليقاته المختلفـــة نلمح غرضه واضحا وهدفه بيّنـــًا . اما الجزء الثاني فموضوعه في الخيل والسلاح،وفيه يُعلِّم ابـــن هذيل الناشئة ركوب الخيـــل واستعمـــال السلاح،ويسوق الدليل ليؤكـــد شرعية ما يذهب اليه.يقول مثـــلا :

« أُقْسَم اللـــه تعالى بالخيل في كتابه العظيم،لفضلها عنده ، فقـــال سبحانـــه : « والعاديات ضبحا ... » وفضلها رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم على الرجـــال في السهمان ، فجعل للفرس سهمين،وللرجل سهما واحدا . وجاءت في فضلها عنه،صلى الله عليه وسلم،احاديـــث كثيرة . عن عبد الله بن عمر ان رسول الله،صلى الله عليه وسلم،قـــال : « الخيـــل معقود في نواصيها الخير الى يـــوم القيامة » (٥٦) . وواضح ان الرجل يحبب الى الناس اقتناء الخيـــل .

طريقة ابن هذيـــل واسلوبه في التأليـــف :

اعتمـــد ابن هذيل في كتابه على القرآن الكريم والاحاديث النبويـــة الشريفة ، كما اعتمـــد على كتب من سبقه في السِيَر واللغة والفقـــه ... وما كتب في الخيـــل ... والمؤلف يذكر بعضا من مصادره ومراجعـــه، فيقول : « وجمعتُ هذا الكتـــاب من جملة تواليف ، وانتقيته من غير مـــا تصنيف ، ككتاب ابـــن يونس في فقـــه الجهاد ، وكتاب يقظة الناعس لتدريب المجاهـــد الفارس ، وكتاب راحة القلوب والارواح في الخيـــل والسلاح ، وكتـــاب الدمياطي في الخيل ... الى غير ذلك من التواليف، التي لنزارة المنقول منها هنـــا لم تُكْتَب،ومن الاجزاء التي لصغر حجمهـــا لـــم تُنْسَـــب » (٥٧) .

ويقـــول في مقدمة كتابه « عين الادب والسياسة » : « والـــذي عليه في التأليف المـــدار ، هو حسن الانتقاء والاختيار ، مـــع الترتيـــب

والتبويب ، والتهذيب والتقريب . وفضيلة هـذا التأليف هي في جمع ما افترق مما تناسب واتسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من احاديث نبوية ، ومكارم ادبية ، وحِكَم باهرة ، وابيات نادرة ، وامثال شاردة ، واخبار واردة ... » (٥٨) .

فالقولان متفقان الى حد ما ، ويكمل احدهما الآخر : فالاول يدلّنا على مراجعه، وعلى انه لم يثبتها كلها ، والثاني يبيّن لنا طريقة اختياره من هذه المراجع، وكيف انه يجمع ما افترق، وهو يعتبر ذلك فضيلة هذا النوع من التأليف .

وقد حاول محقق الجزء الثاني أن يردّ مواد هذا الجزء الى اصولها . ويبدو لي ان اعتماد المؤلف كان كبيرا على كتابَي « الخيل » لابي عبيدة ، وفضل الخيل « للدمياطي ». ومن ينظر الى موضوعات هذه الكتب يجد بعض التشابه . ومن ذلك ان ابا عبيدة يجعل الباب الاول من كتابه في : « صيانة العرب للخيل وايثارهم لها وأشعارهم في ذلك » ، اما ابن هذيل فيجعل الباب الثالث من الجزء الثاني « في حفظ الخيل وصونها، وما قيل في الوسية بها » . ويتحدث ابو عبيدة عن « عيوب الخيل خلقة وحادثة » ، اما ابن هذيل فيجعل الباب الثامن « في عيوب الخيل خلقه وعادة » . ويتحدث ابو عبيدة عن « اسماء الطير في الفَرَس » ويفرد ابن هذيل الباب الرابع ليتحدث عما تسميه العرب من اعضاء الفَرَس ، وما في ذلك من اسماء الطير . ولا يعني ذلك الاتفاق الحرفي بين الكتابين ؛ فمن اسماء الطير يذكر ابو عبيدة ستة عشر اسما، بينما يذكر ابن هذيل سبعة عشر اسما ؛ وفي كتاب ابن هذيل ثلاثة اسماء زيادة على ما في كتاب ابي عبيدة هي : النعامة والفرخ والحداة . وفي كتاب ابي عبيدة اسمان زيادة هما

« السحاة والخفاش » . وهكذا تبـــدو المقارنة ممكنة بين الكتابين ؛ وقد حاول محقق الجـــزء الثاني ذلك في هوامش الكتـــاب .

امـــا عن الجزء الاول فيبدو لي ان اعتماد المؤلـــف كان كبيرا على كتاب « الاحكـــام السلطانية »للماوردي ، وخاصة على البابين : الرابـــع والخامس منـــه . وفصول هذين البابين تتدخل في اكثـــر ابواب الجزء الاول . ولمـــا كان هذا الجزء غير محقق، فقد رايت ان اضرب امثلة تثبت تأثر ابن هذيـــل بكتاب الماوردي، واكتفيت بايراد ثلاثة امثلة من كل منهمـــا :

يقـــول الماوردي في حديثه عن « ما يجب على الامير في الســـير بجيشـه ؟ » ... « الرفق بهـــم في السير الذي يقدر عليه اضعفهم، وتحفظ بـــه قوة اقواهم ، ولا يجـــدّ السير فيهلك ويستفرغ جلـــد القوى ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « هذا الديـــن متين فأوغلوا فيه برفق ، فـــان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى، وشر السير الحقحقة » (٥٩) .

ويقـــول ابن هذيل في الباب السادس فيما يجب على الامـــير ان يفعله في السفر : « يجـــب على الامير ان يسيّر جيشه وجمعه بســـير اضعفهم ؛ ففي ذلك الرفق الذي يبلغ بـــه الضعيف ، ويتوفر عليه جُلَـــد القوى . وفي خلاف ذلـــك استهلاك الضعيف ، واستفراغ جُلَـــد القوى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين متين فأوغلوا فيـــه برفق، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى، وشرّ السير الحقحقة » (٦٠) .

ويقـــول المارودي في الباب نفسه : « والثاني ان يتفقـــد خيلهـــم التي يجاهدون عليهـــا، وظهورهم التي يتمطونها ؛ فـــلا يدخل في خيـــل الجهاد ضخما كبيرا ، ولا ضرعا صغيرا ، ولا حطما كسيرا ، ولا اعجـــف زارحا هزيلا ؛ لانهـــا لا تقي، وربما كان ضعفها وهنـــا . ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب ، فيُخرِج منهـــا ما لا يقدر على السير، ويمنـــع مـــن حمل زيادة على طاقاتهـــا » (٦١) .

وقـــال ابن هذيل في الباب نفسه : « وعليه ان يتفقـــد خيلهم التي يجاهدون عليهـــا ، وظهورهم التي يمتطونها وتحمل اثقالهم وامتاعهـــم ؛ فيخرج من خيـــل جهادهم القحم الكبير، والحطم الكسير، والضرع الصغير، والاعجف الهزيل ؛ فانهـــا لا تغني، وربما كان الضعيف من ذلك وهنـــا في العسكر ؛ ويرد من لا يقدر على السير ، ويمنـــع ان يحمل على الظهر ما لا يطيقـــه » (٦٢) .

ويتحدث الماوردي عـــن المشـركين في الحرب فيقول : « والمشركون في دار الحرب صنفان : صنف منهم بلغتهم دعـــوة الاسلام فامتنعوا منها وتابوا عليها ؛ فأمير الجيش مُخَيَّر في قتالهم بين امرين، يُفعل منهما ما علـــم انـــه الاصلح للمسلمين، وانكأ للمشركين من بياتهم ليـــلا ونهارا بالقتال والتحريف ، وان ينذرهم بالحرب ويصافهم بالقتال ؛ والصنف الثانـــي لـــم تبلغهم دعوة الاسلام ، وقل ان يكونوا اليوم لمـــا قد اظهر الله من دعوة رسوله ، الا ان يكون قـــوم من وراء من يقابلنا من الترك والروم في مبادىء المشرق واقاصي المغرب لا نعرفهم، فيحرم علينا الاقدام علـــى قتالهم غرة وبياتا بالقتل والتحريف ، وان نبدأهم بالقتل قبـــل اظهار دعوة الاسلام لهـــم واعلامهم من معجزات النبوة، واظهار الحجة بمـــا يقودهم الى الاجابة ، فان أقاموا على الكفر بعد ظهورها لهـــم، حاربهم، وصاروا فيـــه كمن بلغتهم الدعوة ؛ قال تعالى : « ادع الى سبيل ربـــك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هـــي احسن »؛ يعني: ادعُ الى ديـــن ربـــك بالحكمة ؛ وفيها تأويلان : احدهما بالنبوّة ، والثاني بالقـــرآن . وفي الموعظة الحسنة تأويلان : احدهما القرآن في لين من القول، والثاني ما فيه من الامـــر والنهي » (٦٣) .

ويقـــول ابن هذيل في الباب الحادي عشر « فيما يجوز فعله فـــي الغزو وما لا يجوز فعله فيـــه » : « فاذا وصل عسكر المسلمين الـــى

بـــلاد العدو فالمشركون صنفان : صنف بلغته الدعوة بالاسلام فامتنعوا وقاتلوا،فيجوز قتالهم غرة وبياتا وعلى كل حـــال ؛ وصنف لم تبلغهـــم الدعوة،وقَلَّ ما يوجدون اليـــوم،الا ان يكونوا وراء من يقاتلنا في اقاصي بـــلاد الروم وما يبعدون عن المسلمين ؛ فهؤلاء لا يقاتَلون حتى يدعـــوا الى الاسلام وتقـــام الحجة عليهم . قال الله العظيم « ادع الى سبيـــل ربـــك بالحكمة والموعظة الحسنة،وجادلهم بالتي هي احسن » فقيل في الحكمة إنهـــا امور النبوّة،والقـــاء المعجزات،واظهار الحجة ؛ وقيل هي القرآن . وقيـــل في الموعظة الحسنة قولان : احدهما بالقرآن في لين من القول ، والثاني ما فيـــه من الامر والنهي » (٦٤) .

ولا يـــلام الرجل على ذلك ؛ وكيف يلام وهو قـــد صرح بأنه جمع كتابه من جملـــة تواليف ، وهو يذكر بعضا من هذه التواليف كما مـــر . وبذلك يحقق النزاهة والموضوعية في كتابـــه . كما ان هذه الطريقة في التأليف كانت متبعة عند القدمـــاء واحيانا يتبعها المحدثون . ومن يقـــرا الكتب التي تحدثت عن الخليل،مثلا،يجـــد ان اساليب اكثرها تكاد تتفق في الخبر الواحد ، او في التعريف اللغوي . فكثيرا ما نجـــد الحكاية عند ابي عبيدة في كتاب « الخيل »،ثـــم نجدها نفسها في انساب الخيل ، لابن الكلبي ، ثـــم نجدها في « نهاية الارب » للنويري،ثم عند ابن هذيل . وابن هذيل لم يرد من تأليف هـــذا الكتاب اظهار براعته،او عرض عضلاتـــه الفكرية ، بـــل كان هدفه ـــ كما صرح ـــ ان يكون كتابه « تذكرة لمـــن عني بالجهاد » . ولـــذا فهوينتقي من التراث ما يحقق هدفـــه ويدعـــم رايـــــه .

وعمليـــة الاختيار هذه ليست سهلة ؛ وقد وفـــق ابن هذيل في اختيار مـــادة كتابه وترتيبها على ابواب الكتاب . والحق ان الرجـــل لـــم يكن يكتفي بمجرد الاختيار والتنسيق،وانمـــا كانت تتدخل شخصيته

بوضوح . وهذا يبـدو في تعليقاته المختلفة على ما ينتقي من مـادة . يقول بعد ان يورد وصيـة الخنساء لاولادها ، وكيفية استشهادهم ، معلقا على ذلـك : « فبهذه الاخلاق يوصف الرجال ، ولمثـل قصدهـم تخلص الاعمال ، وبكريـم صفاتهم يستحق اسم الرجولية وتحمـد الذكورية ؛ فطوبى لمـن بذل في سبيل الله قراضه وبخره،واحتسب عند اللـه من لا يضيع عنده مثقال حبـة من خردل اجرة ، ووجه الى مرضاة اللـه مقاصده واغراضه ، وجعل الجهـاد في سبيله قبلته ، واشترى الكثـير بالقليـل » (٦٥) .

وبالرغـم من ان المؤلف انتقى كتابه من جملة تواليف،الا ان كتابه في جملته يختلف عن كـل منها منفردا . وعلى سبيل المثال،فـان كتـاب الخيـل،لابي عبيدة،يهتـم بالشعر اكثر من اهتمامه بالآيات القرآنيـة او الاحاديث النبوية ؛ بل انـه قليلا ما يورد منها في كتابه ؛ بينما نجـد العكس عند ابـن هذيل،فهو يبدأ اكثر ابواب كتابه بآيـة قرآنية ، فان لم يجـد فبحديث نبوي ، فان لم يجـد فبقول صحابي او تابعي ... وقليلا ما ينـد عن ذلك لا سيما في الجزء الاول من الكتـاب . كمـا ان الشعر الذي يورده في ثنايـا الكتاب قليل بالنظر الى ما جـاء في كتاب الخيـل . وابن هذيل لا يذكر شيئا في الجزء الاول الا يحاول ان يبيـن حكمه في القرآن والا ففي السنة ؛ وكذلك الامـر بغير قليل من مـادة الجزء الثاني . ولا عجب في ذلك،فغرض ابن هذيل من تاليفـه يختلف عن غرض ابـي عبيدة .

وكتـاب أبي عبيدة في الخيل وحدها ، وكتاب « انساب الخيـل »، لابن الكلبي،في انساب الخيـل العربية وحدها ؛ بينما يتحدث ابن هذيـل في الجزء الثاني من كتابه عن الخيـل،وعدّة الحرب المعروفة آنـذاك، كالسيف ، والرمح ، والترس ... نعـم ان ابن هذيل وقف طويلا عند

الخيل، واستقصى كل ما يتعلق بهـا ، وما ذلك ـ في رايي ـ الا لكثرة ما ورد في هـذا الباب من اقوال ، ولمـا للخيل من اهمية في الحـرب آنذاك ؛ واكثر ادوات الحـرب الاخرى يستطيع ان يستعملها الفارس، وفرق بين استعمال الفارس واستعمال الراجل لهـا . وتمشيا مـع هدفه من التاليف، نجـد ان ابن هذيل لا يكتفي بذكر ادوات القتال واستقصاء صفاتها ، بل انـه يعمد الى شرح طريقة الاستعمال ، وهـذه ميـزة من ميزات الكتاب . ومن هـذه الادوات ما ليس عربيا، كالقوس الافرنجية . ولم يصف كتـاب من الكتب التي رجعت اليهـا هذه القوس كما فعل ابـن هذيـل .

والمؤلـف يخضع مـادة كتابه لتقسيم عقلي منطقي دقيق ، وعنوان الباب يحمل دلالـة واضحة على مادته . ومـواد الكتاب لا تختلـط؛ فالباب لا يعتدي على باب آخـر، كما ان الخبر الواحد لا يُكَرَّر مرتيـن . وهو قليلا ما يشير الى خبر مَـرَّ ذكره، ولكنه في هذه الحالة يستنبط منـه جديدا . وكل بـاب من ابواب الكتاب يؤدي الى الباب الـذي يليـه، ويلتحم معه بلحمة المنهـج والهدف ؛ فالباب الاول : في فضل الجهاد وما اعـد اللـه للمجاهد والشهيد في سبيلـه ؛ والباب الثاني : في الرباط وفضله، وما خُصَّت بـه من ذلك جزيرة الاندلس ، والباب الثالث : فـي فرض الجهاد ؛ والرابع : فيمـا يفعله الغازي عند خروجه الى الجهاد ...

والمؤلـف في مادة الباب الواحد يبطىء في تنقله ؛ فهـو لا يترك نقطة الا بعد ان يشبعها بحثـا واستقصاء، بحيث يشعر القارىء ان لا زيادة لمستزيد ؛ ففي الكتاب تجـد القرآن الى جانب الحديث، الى جانب اللغـة، الى جانب الحدث ... وهو ينتقي من ذلك ما هو بالـغ الدلالة على الجزئية بعينها، ثـم ينتقل الى اخرى . ولـذا كان كتابه اشبـه بموسوعة في امور الجهاد، وما يتعلق بـه من فقه ولغة وحديث ... وقد لاحظت ان المؤلـف لا يورد اشعارا كثيرة في ثنايـا الجزء الاول مـن

كتابه ، ويستثنى من ذلك الباب الثامن عشر، فقد غلبت عليه مادة الشعر . ولا عجب في ذلك ، فالباب المذكور « في الفروسية والتجند » ؛ وكأن ابن هذيل ادرك ارتباط الشعر بالفروسية ، فكم اختلطت قعقعة السيوف بأهازيج الفرسان في الفتوحات الاسلامية ، وكم انطقت الفتوحات الفرسان شعرا وان لم يكونوا شعراء ! وهكذا انتقى ابن هذيل ابياتا شعرية للمشهورين من الفرسان، كعمرو بن معد يكرب ، والسموأل ، وابي فراس الحمداني .

وثمة ملاحظة اخرى، وهي ان الرجل ينتقي من الحروب ما كان النصر فيها للمسلمين ، ونادرا ما شذ عن ذلك ، مع انه كان يعرف هزائم المسلمين الكثيرة في الاندلس، فهو ابن القرن الثامن الهجري . وكأن الرجل ادرك الاثر النفسي الذي يولد في النفوس نتيجة ذكر الهزائم ، فأعرض عنها، وذكر انتصارات المسلمين وبطولاتهم، وكأنها درس يربّي الناس على الشجاعة والاقدام ، ويجعلهم اكثر تمسكا بعقيدتهم وحضارتها، حيث كانت مهددة بخطر الابادة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما عن اسلوب ابن هذيل فيصعب اصدار حكم نهائي عليه ، لانني لم استطع الاطلاع الا على قليل من كتبه ؛ ومادة هذه الكتب مختارة من كثير من الكتب . ولكنني سأعتمد على مقدمات الكتب التي اعتمدتها ، وعلى تعليقات المؤلف في ثنايا هذه الكتب ، لاصدار راي اعتقد انه صواب . اما المقدمات فيبدو فيها الجمع والتقسيم والازدواج والترادف، يقول المؤلف مثلا : « كتب الله النصر المؤيد ، والثناء المخلد ، والعز المؤبد ، للمقام الكريم السني ، الجليل الطاهر العلي ؛ مقام مولانا ومنجانا ، وعصمة ديننا ودنيانا، ظهير الدين ، وعماد المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، الشهير المناقب ، العلي المراتب » (٦٦) . والمقدمة من الامثال الجيدة على اسلوب الكتابة الاسلامية الرسمية

آنذاك ، فهي تبـــدأ بالبسملة ، فالصلاة والسلام على سيدنا محمـــد ، فالحمدلة . وعندمـــا يريد بيان غرضه يقول : « اما بعد » . اما تعليقاته فتشبه في اسلوبها اسلوب المقدمة الى حـــد ما . يقول بعد ان يورد اشعارا في الفروسية : « واشعار الكماة من الرجـــال لا تحصى في هذا المعنى لكثرتها ، ولا تخفى على احـــد لشهرتها،لكن في ذكرها مـــا يبعث على الاقدام ، وتُحمِل على ورود مناهل الحمام . . . فالاقـــدام ليس يدني من الوفاة ، ولا الاحجام يزيـــد في الحياة . والطعن في ثغر النحور اكرم منـــه في الاعجاز والظهور، والهالك المصدور خير من الناجي الفرور » (٦٧) . اما بقية مـــواد الكتاب فهي تمثل طريقته في التأليف اكثر مـــا تمثل اسلوبه الفني . ومهما يكن، يبدو لـــي ان الرجل تمثّل اسلوب عصره ولم يخرج عنـــه .

ثقافـــة ابـــن هذيـــل :

يبـــدو لي ان ابن هذيل كان واسع الاطلاع ، متمثلا ما انتهى اليه عصره من ثقافة ، واعيـــاً بضروب كثيرة من المعارف . وقـــد ظهرت آثـــار ثقافته واضحة في تأليفه .

فـــرغ ابن هذيل من كتابه « عين الادب والسياسة » سنة ٨٠١ هـ. وموضوع الكتاب يدور حول الاخلاق والحكمـــة والسياسة . ويذكـــر ابـــن هذيل في كتابه المذكور اسماء ثلاثة من كتبـــه الاخرى، حين يأخذ منها بعضا من مـــادة الكتاب . وبذا تكون موضوعات هـــذه الكتب تُمتّ بصلة ما الى موضوع « كتاب عين الادب »، كما ان في عناوين هذه الكتب دلالـــة على ذلك، فهي « تذكرة من اتقى » و « كمال البغية والنيـــل » و « مقالات الادبـــاء ومحاضرات النجباء » . والاغلب ان « عيـــن الادب والسياسة » كان آخـــر ما الف ابن هذيل من كتب ؛ وهو قد الف الجزء الاول من التحفة سنـــة ٧٦٣ هـ،فيكون بين الكتابين ما يقرب من اربعين

سنة قضاها ابـــن هذيل في التاليف . ويحتمل ان يكون قـــد نوّج تاليفه بـــ « عين الادب والسياسة » . ولا يعقل ان يتصدى رجـــل للحديث عن مـــادة كمادة هذا الكتاب ـــ وهي الاخلاق والسياسة والادب والحكمة ـــ دون ان يكون ملمّـــا بالقرآن وعلومه المختلفة ، وبالسنّة واحكامهـــا ، وبعلم التاريخ والسير ، وبخلاصة تجارب بعض الامـــم السابقة ... وهذا ما ينصح عنـــه كتابه « التحفة » .

كـــان الرجل وثيق الصلة بالقرآن ، متنعما بفيئه ، واعيا باحكامه ، متصلا بتفسيره ؛ فهـــو يقتبس منه ويفسر بعض مـــا يقتبس . اما مـــا يتركه دون تفسير فتفسره المناسبة . وقـــد لاحظت ان اقتباسه من القرآن في الجزء الاول اكثر منـــه في الجزء الثاني . والسبب هـــو ان الجزء الاول في الجهاد بينمـــا الثاني في الخيل والسلاح .

وهـــو في تفسيره يهتم بالمعنى اللغوي للكلمة،كقوله : « والجهـــاد في اللغة مأخوذ من الجهـــد ؛ ومن ذلك قولهم بلـــغ جهده ومجهوده ؛ وجهده الامـــر اذا استنفد سعته وطاقته.قال اللـــه العظيم : « وجاهدوا في اللـــه حق جهاده »،اي دافعوا عن دينـــه،وقاتلوا في سبيله بغايـــة القدرة ومنتهى القـــوة » (٦٨) . واحيانا ينقل المؤلف عدة آراء في تفسير جزئية،ويميل الى راي منهـــا،مثبتا صحة هذا الراي بآيـــة قرآنيـــة او حديث نبوي . يقول في تفسير اولـــي الامر في قوله تعالى : « واطيعـــوا اللـــه واطيعوا الرسول واولي الامز منكـــم » : « فقيل في اولي الامـــر انهـــم الولاة الامور؛قالـــه ابو هريرة وابن عباس وغيرهما ؛ وقيل اصحاب السرايا ؛ وقال زيـــد بن اسلم : هـــم السلاطين،والاكثر على انهـــم الامراء والسلاطين،لقول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « سيليكم بعدي ولاة:البر ببره،والفاجر بفجوره ، فاسمعوا واطيعوا في كل ما وافـــق الحق ، وصلوا وراءهم؛فـــان احسنوا فلكم ولهـــم،وان اساءوا فلكـــم

وعليهم » (٦٩) ... وهكذا فهـــو يفسر القرآن بالحديث احيانا،وهو ينقـــل آراء مختلفة،ومثل هـــذه الاقوال كثير في كتابه ، ولا يستطيع ذلـــك الا رجـــل مطلع على القرآن والسنة واللغـــة ...

وابـــن هذيل كان على معرفة بالمذاهب الفقهية ، او انه قراها على اقل تقدير ؛ فكثيرا مـــا يورد حكما فقهيا لاحـــد المذاهب في مسألة ما ، ثـــم يردفه براي فقهي لمذهب آخـــر . ومن ذلك قوله في باب المبـــارزة : « ومنـــع ابو حنيفة ان يدعو المسلم الى البراز مبتديا ورأى وراء ذلـــك بغيـــا ... وجوّزه الشافعي،ورآه اظهار قوة في الدين ونصرة لـــه » (٧٠) . وكقوله في مكان آخر : « ولم يـــر مالك،رحمه الله،جواز الانهزام مـــن المثلين فما دون ، واعتبره الشافعـــي من الكبائر ، وقال أبـــو حنيفة : « عليه ان يقاتل ما امكنه،وينهزم اذا عجز عن المصابرة وخاف القتل » (٧١) . وقد لاحظت ان الرجل لا يذكر رايـــا لابن حنبل . ومعروف ان مذهـــب ابن حنبل لم يكن شائعا في الاندلس »،كمـــا ان الشافعيين كانوا يعتبرونه شافعيا . والطبري لم يعـــد مذهبه في الخلاف،واعتبره رجـــل حديـــث لا رجل فقـــه » (٧٢) . ومن تضمينات ابن هذيـــل الفقهية اعتقـــد ان الرجل كان مالكي المذهـــب؛وسبب ذلك انـــه يروي راي مالك اكثر من غيره ؛ كما انـــه كثيرا ما يعتمد راي سحنون . ومعروف ان سحنون « هو الذي اخـــذ مدونة مالك عن اسد بن الفرات،فرتبها وبوّبهـــا،واحتج لبعض مسائلها بالاثار،وعاد بهـــا الى القيروان،وانتشرت منها الـــى الاندلس ، وكان لها الفضل في نشر مذهب مالك في المغرب والاندلس (٧٣) .

امـــا عن الحديث النبوي ، فالرجل مطلع عليه ، واع بمناسباته وتفسيره . وهـــو يفسر القرآن احيانا بالحديث،وهو لا ينتقي من الحديث الا مـــا هو مناسب تماما في الدلالة على ما يريـــد اثباته ؛ فالاحاديث التي تذكـــر الشهيد وفضله كثيرة ، ولكن ابـــن هذيل يميز بينها لانـــه

يفهمها جيـــدا،فينتقي منها في حديثه عما اعـــد الله للشهيد ما يخدم هدفه العام من الكتاب،وما يوضح رايـــه الخاص في الباب المذكور،يقول مثلا : « وقال صلى الله عليه وسلم : ما احـــد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيـــا الا الشهيد يتمنى،ان يرجع فيُقتل عشر مرات،لمـــا راى مـــن الكرامة (٧٤) » . وكقوله ايضا : « وقـــال صلى الله عليه وسلم : الشهيد لا يحب الـــم الموت،الا كما يحب احدكم الـــم فرحـــه » (٧٥) .

وتبـــدو ثقافة ابن هذيل اللغوية واضحة ؛ فكثيرا ما يعمد الـــى التفسير اللغوي لكلمات قرآنيـــة او لكلمات في احاديث نبوية شريفـــة . والحقيقة ان الجزء الثاني يكـــاد يكون معجما لغويـــا للخيل،وما يتعلق بهـــا،وللسيف وللرمح والدرع ... فهـــو يستقصي ما يتعلق بهذه مـــن اسماء وصفات ، ويفسر ذلك تفسيرا دقيقـــا،معتمدا على ثقافته اللغوية، وعلى ما جمعـــه من الكتب . ويحشد المؤلـــف لاعضاء الفرس ما يقرب من مئتين وعشرين اسمـــا ، ويفسر كل اسم منها تفسيرا دقيقا ؛ كمـــا تجـــد لاسماء خيل العرب المشهورة ما يقرب من مئـــة وثمانين اسمـــا، اذا اضفنا لهـــا اسماء العتاق . وقد اضاف ابن هذيل الى قاموس اللغة عددا من الكلمات التي كـــان يستعملها اهل الاندلس،يقول مثلا : « والقسي تنتخب من عشر عيدان : خمسة بريـــة ، وخمسة بستانية ؛ فالبريـــة : الطخش ، وهو النبع بلغـــة العرب ، والزنبوج ، والدردال ، والكتك ، والشبر (٧٦) . ولم اجـــد لهذه الكلمات بمعناها المذكور ذكـــرا فيمـــا رجعت اليه من المعاجـــم اللغوية ؛ فكلمة الطخش في اللسان،بمعنـــى « اظلام البصر »،واما الدردال فلم اجدها،ولكني وجدت كلمـــة « الدردار » بمعنى شجر ؛ امـــا الزنبوج فلا وجود لهـــا في معاجمنا ، ويقول دوزي « إنهـــا شجرة زيتون برية ، ونوع من السهام » . امـــا الشبر فقد ذكر دوزي انهـــا شجرة السنديان او ضرب منه ، ويذكـــر ان اصلهـــا

اللاتيني (Suber) . امـــا الكتم فيذكر دوزي انـــه نوع من الشجر ، ويقول انهـــا تكتب خطأ « القتـــم » في العربية المصرية (٧٧) .

وابـــن هذيل عارف بالتاريخ والسير ؛ يـــدل على ذلك كثـــرة الاحداث واخبار المعارك والحروب التي ضمنهـــا كتابه . وهو يهتـــم بمعارك المسلمين اكثر من اهتمامه بأيـــام العرب ، كما انـــه يركز على المعارك التي انتصر فيهـــا المسلمون . وقد سبق أن بينت سبب ذلـــك .

والاغلـــب عندي ان الرجل كان مثقفا ثقافة فلسفية ؛ فهو قـــد تصدى للكتابة في الاخـــلاق والحكمة،كما مـــر بنا في كتابه « عين الادب والسياسة » . وفي ثنايـــا كتابه « التحفة » وجدت لـــه اقوالا لا يُرُدّها الى اصحابها .... بـــل يكتفي بنسبتها الى بعضهم . كقولـــه : « قـــال بعضهم : الشجاعة هي فضيلة قـــوة الغضب ؛ ويعني بالفضيلة الاعتدال ، وهو استعمال تلـــك الصورة حيث ينبغي استعمالها » (٧٨) .ومعروف ان اصل هـــذا الراي عند افلاطون في حديثه عن النفس وقواها وفضيلة كل قـــوة . واحيانا يصرح ابن هذيل بصاحب الراي كقولـــه : « قـــال ارسطوطاليس للاسكندر،اعلـــم ان الحرب جسد وروح ، تقوم مـــن ضدين يتغالبان بروحهما اعتقاد الغلبـــة والظفر من كل واحد مـــن الفريقين ، وجسمهما تلاقـــي الفئتين ... » (٧٩) . واحيانا ينسب رايـــا لاناس كان لهـــم اتصال وثيق بالفلسفة،كقدامة بن جعفر،وابـــي بكـــر الطرطوشي،وغيرهما ... وابن هذيل يخضع كل هـــذه الحكم والاقوال الفلسفية للمفهـــوم الاسلامي اخضاعا كامـــلا .

وفـــوق ذلك كله فالرجل كان مطلعا على اشعار العرب ، متذوقـــا لهـــا ، عارفا بمناصيها،وقد اختار منها مـــا يناسب هدفه . والشعـــر يكثر في الـــجزء الثاني ولكنه يقـــل في الجزء الاول . واحيانا ينسب ابـــن

هذيـــل الشـعر المجهول الى قائله ؛ يقـــول : وقال محمد بن مسلم يمدح رجـــــلا :

يلقـــى السيوف بوجهه وبنحـــره ويقيـــم هامته مقـــام المغفـــــرِ

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنـــا فمعقرت ركن المجد ان لم يعقرِ (٨٠)

فهذان البيتيان وردا في ديوان المعانـــي لابي هلال العسكري وقد نسبهما الى بعض الاسـلاميين ، كما وردا في الامالي (٨١) « لابـــي علي القالي » في قطعة مكونـــة من اربعة ابيات،وذكر القالي انهـــا مما اختاره ودفعه الى ابي بكر فقراه عليـــه . وابن هذيل لا يشرح الشعر شرحا لغويـــا ولكنه يسوقه ليؤكد بـــه معنى ما،فيأتي الشعر في محله واضحـــا بيّنـــًا وكأنـــه مفسر .

واخيرا يبدو لـــي ان ابن هذيل كان فارسـا اتقن النظر في علـــم الفروسية ؛ فالباب العاشر مـــن الجزء الثاني « في تعليم ركوب الخيـــل على اختلاف حالاتهـــا » . وهو يتحدث في هذا الباب حديث خبير مجرب . وقـــد لاحظت ان الرجل لا يذكر في هذا الباب مصدرا لمادتـــه،ولا يستشهد بقول احـــد كما في معظم ابواب الكتاب الاخرى ، وانما تبدو فيه ثقافتـــه المكونة من التجربة العملية . وقـــد حاولت البحث عن مـــادة هذا الباب في بعض الكتـــب التي تحدثت عن الخيل،ولكنني لم اجـــد مجالا للموازنة . ومن نصائحه للناس قولـــه : « واعلم ــ ارشدك اللـــه ــ ان اصل الفروسية الثبات ، وان مبداها انمـــا هو الركوب على العرى من الخيل ؛ ومن لـــم يتدرب اولا على عرى لـــم يستحكم ثبوته في الغالب ، بل يكـــون ابـــدا قلقا في سرجه ، لا سيماعند خببه وركضه،فـــلا يؤمن سقوطه ان اضطرب فرسه او اصابته هنـــة » (٨٢) . وفي الباب الاخير من الجـــزء الاول يقدم ابن هذيـــل نصائح للقادة،وهي في مجملها اشبـــه بطائفـــة من الحكم . فهـــي في جمل موجزة ، ذات دلالات بعيدة . ويبدو لي انهـــا

خلاصة تجاربه وتجارب الآخرين . وهـــو لا يردنا في هذا الباب الـــى مصدر، وان كنا نعرف اصـــل بعض جمله كقوله : « فاول هذه الصفـــات السياسية ليـــن في غير ضعف، وشدة في غـــير عنف » (٨٣) . ومعروف ان هذا القول ورد في خطبـــة زياد بن ابيه المعروفة بالبتراء . ومـــن نصائح ابن هذيل للقائـــد: « خالف الاعجاب تجـــد الصواب ... لا تنسَ وضع الكمين عنـــد اللقـــاء ... ان بخلتَ بالمـــال على اخوانك جُدتَ بـــه على اعدائك ... ربّ كلمة هزمت عسكرا ... التفكـــر في العاقبة عنـــد التلبس بالحرب امارة الجزع ... » (٨٤) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهـــوامش

١ ــ اثبت لويس مرسييه هذا الاسم كاملا في المقدمة التي كتبها لصورة الجزء الاول من التحفة وذكر انه اعتمد على كتاب عين الادب والسياسة في تخريج الاسم .

٢ ــ عيـــن الادب والسياسة / ٩٣ .

٣ ــ حليـــة الفرسان / ٧ .

٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسييه / بج

٥ ــ ج ١٩/٤ . طبعـــة دار صادر .

٦ ــ مـــــ ٩٣

٧ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسييه /ب

٨ ــ المصـــدر نفســـــه .

٩ ــ مـــ ٢٨٤ ــ ٢٨٥

١٠ ــ طبع هذا الجزء بعنوان « حلية الفرسان وشعار الشجعان » تحقيق محمد عبد الغني حســـــن .

١١ ــ حليـــة الفرســـان / ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

١٢ ــ انظـــر نفح الطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١١٦/٧ ــ ١٢٥ .

١٣ ــ الكتيبـــة الكامنـــة / ٢٠١

١٤ ــ ص ٨٣

١٥ ــ مـــــ ١٨٦

١٦ ــ ص ١٠٢ ، ١٦٥ ، ٢٢٦ .

١٧ ــ تحفـــة الانفس ، مقدمة مرسييه /ب

١٨ ــ حليـــة الفرســـان / ١٧

١٩ ــ تحفـــة الانفس ، مقدمة مرسييه / ج

٢٠ ــ معجـــم المطبوعـــات العربيـــة / ٢٧٣ .

٢١ ــ حليـــة الفرســـان / ١٧

٢٢ ــ تحفـــة الانفس ، مقدمـــة مرسييه /ج

٢٣ ــ حلية الفرسان / ١٧

٢٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسيه / ا

٢٥ ــ انظر الكلمة التي كتبها مرسيه بالفرنسية والحقها بصورة المخطوطة .

٢٦ ــ المصدر نفسه

٢٧ ــ تحفة الانفس / ٩

٢٨ ــ المصدر نفسه / ١٢

٢٩ ــ المصدر نفسه / ٧٨

٣٠ ــ المصدر نفسه / ١٠

٣١ ــ المصدر نفسه / ٨٥

٣٢ ــ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق البرقوقي / ٢٥٦

٣٣ ــ تحفة الانفس / ٢١ــ٢٢

٣٤ ــ اعتمدت في هذا الوصف على مقدمة محمد عبد الغني حسن لحلية الفرسان /١٥ــ١٦.

٣٥ ــ حلية الفرسان /١٥

٣٦ ــ المصدر نفسه / ٢٥

٣٧ ــ تحفة الانفس / ٤

٣٨ ــ المصدر نفسه / ٣

٣٩ ــ حلية الفرسان / ١٤

٤٠ ــ المصدر نفسه / ٢٤٢

٤١ ــ تحفة الانفس ، مقدمه مرسيه /ج

٤٢ ــ تحفة الانفس / ١

٤٣ ــ حلية الفرسان / ٢٣

٤٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسيه / ج

٤٥ ــ معجم الانساب والاسرات الحاكمة / ٩٣

٤٦ ــ المصدر نفسه / ٩٤

٤٧ ــ معجم المطبوعات العربية / ٢٧٣

٤٨ ــ حلية الفرسان / ١١ ــ ١٢ ، تراجم مريبة ، محمد عبد الغني حسن / ٥٤.

٤٩ ــ تحفة الانفس / ٢ ــ ٣

٥٠ ــ المصدر نفسه / ٣

٥١ ــ نهاية الاندلس ، محمد عبد الله عنان / ١٣٨

٥٢ ــ تحفة الانفس / ١ ــ ٢ ، حلية الفرسان / ٢٣ ــ ٢٤

٥٣ ــ تحفة الانفس / ٩ ــ ١٠

٥٤ ــ سورة « آل عمران »، آية ١٤٢

٥٥ ــ تحفة الانفس / ٤٥

٥٦ ــ حلية الفرسان / ٣٧

٥٧ ــ تحفة الانفس / ٣، حلية الفرسان / ٢٥ .

٥٨ ــ عيون الادب والسياسة / ٣

٥٩ ــ الاحكام السلطانية / ٣٥

٦٠ ــ تحفة الانفس / ١٧

٦١ ــ الاحكام السلطانية / ٣٥

٦٢ ــ تحفة الانفس / ١٧

٦٣ ــ الاحكام السلطانية / ٣٧ ــ ٣٨

٦٤ ــ تحفة الانفس / ٣٥

٦٥ ــ المصدر نفسه / ٥٢

٦٦ ــ المصدر نفسه / ١

٦٧ ــ المصدر نفسه / ٨١

٦٨ ــ المصدر نفسه / ٥

٦٩ ــ المصدر نفسه / ٢١ــ٢٢

٧٠ ــ المصدر نفسه ٥٣ــ٥٤

٧١ ــ المصدر نفسه / ٤٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧٢ ــ ضحى الاسلام ، احمد امين ، ٢٣٥/٢

٧٣ ــ وفيات الاعيان ، ابن خلكان ٤٣/١ ، وانظر ضحى الاسلام ٢١٦/٢

٧٤ ــ تحفة الانفس / ٧

٧٥ ــ المصدر نفسه / ٨

٧٦ ــ حلية الفرسان / ٢١٣ ــ ٢١٤

٧٧ ــ انظر حلية الفرسان / ٢٤٦ ــ ٢٤٨

٧٨ ــ تحفة الانفس / ٥٧

٧٩ ــ المصدر نفسه / ٧٢

٨٠ ــ المصدر نفسه / ٢٣٠

٨١ ــ ص ٤٣

٨٢ ــ حلية الفرسان / ١٣١

٨٣ ــ تحفة الانفس / ٨٦

٨٤ ــ المصدر نفسه / ٨٦ــ٨٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذيول وملاحظات (٢)

للمهندس الاستاذ حاتم غنيم

مقدمـــة :

هانـذا اعود فأجمع اشتاتاً من الملاحظـات التي علّقتها علـى هوامش ابحـاث نشرت في اعداد مجلة المجمـع ، متوخّياً ان انتقي منها ما اظنّه ذا اهمية مبعثها انّـه يصحّح وهماً لا يحسن السكوت عنـه ، او يثير نقاشاً ذا جدوى ، او يضيف فائـدة او توسعاً في شرح . واللغـة العربيّة واسعةٌ عريضة ، تشمل لهجات قبائل عـدّة ، وما يجيء فـي احداها على وجـه قد يجيء في اخرى على غير ذلك ، ولكـي يستطيع باحث ان يجزم بعـدم جواز استعمال لغويّ مـا ، عليه ان يكون ملمّـاً بمعظم ما جـاء في كتب اللغة متعلّقاً بهذا الاستعمال ، وهو امـر شاقّ يكاد يكون مستحيلا . لذلك فلن انبّـهَ الاّ على ما كان وهماً شائعاً يجـب التنبيه عليه ، او انتصاراً لاستعمال لغـويّ صائب اتّهِـمَ بالخطـأ .

وسأتناول في عرضي هـذا البحوث التي نشرت في العدد المزدوج السابع والثامن من مجلّـة المجمـع ، والتعليقات التي عرضت لهـا في اعداد المجلّـة الاخرى ، اذ انني اعتبرها جزءاً مكمّلاً للبحوث لا يجـوز غضّ النظر عنهـا ، ولا تصحّ مناقشتها منفصلة عن البحث الاصـل .

صناعة المعاجـــم والجدول الهجائي الكامل :

للاستاذ نجيب اسكندر ، وتعليقات الاستاذ محمد شيت صالح الحيلوي

بعـــد ان ذكر الباحث انّ اثبات المزيـــد والمشتقّ تحت اثلـــــة المجرد (١) في ترتيب المعجـــم العربي لم يثر الاشتباه في صلوح الجـــدول الهجائيّ العربيّ المستعمَل ، عـــاد فاشار الى انّ الاتجاهَ الىٰ ترتيـــب المعجـــم ترتيباً لفظياً تُدْرَجُ فيه المفردات حسب حروفهـــا يوجب اكمال هذا الجدول وضبطه،ومن ثـــم بنى بحثه الذي حاول فيه اثباتَ تصـــورِ الجدول الهجائيّ المعتمـــد .

اقـــول : نحن نخالف الباحث في صلاح طريقة إدراج المفردات في المعجمات العربيـــة حسب حروفها . ونرى انّ طريقةَ اعتماد الجـــذر اساساً لادراج المفـــردات تحته ، على ما فيها من هنات قد تسبّب عنتـــاً للشداة ، هي الطريقة الصالحة لجمع اللغـــة العربية جمعاً معجميـــا ، وذلك لاسباب ثلاثـــة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اولهـــا : ان الاشتقاق الذي يميز اللغـــة العربية عن غيرها يجعلها اوسع اللغات . ولـــو ضربنا مثلا لذلك الجذر (فعل) لوجدنا ان الصور المشتقّة منـــه تبلغ المئات ، من مزيداتٍ كافعل وفاعل واستفعل وفعّـــل وتفاعل وانفعل وتفعّل ، ومـــن مصادرَ وصيغٍ كاسم الفاعل والمفعول والمـــرّة والهيئة والاداة وصيغ المبالغة والتفضيل ، والجموع لهذه كلّهـــا ، كذلك اشكال الافعال من ماضٍ ومضارعٍ وامـــر ، وما الى ذلك ...

ولـــو نظرنا الى عددِ المـــوادّ التي ذكَرَتْها المعجمـــاتُ العربية : وهذه لم تَجْمَعْ كاملَ جذور اللغـــة ، لرأينا انها تتجاوز مائة وعشرين الفا

---

(١) لـــم تثبت المعجمات المزيد والمشتق تحت اثلة المجرد بل تحت اثلة الجذر الذي هـ الاصل، فالفعل (قال) ، وهو من المجرد ، ادرج في المعجمات تحت الجذر (قول)

اي ان صُوَرَ كَلِمِ اللغة العربية قد تبلغ الملايين ، اضف الى ذلك تغيّر الصور التي يتشكل بها كثير من هذه المفردات عند اتصالها ببعض اللّواصق ، مثل قال وقُلْتُ ، ويقول ويقُلْنَ ، ممّا يعني ضرورةَ ادخالِ الكلمة ولواصقها تحت صورٍ مختلفةٍ في المعجم .. كلّ هذا يعني اننا لو اردنا اعتماد ترتيب المعجم ترتيباً لفظيّاً لَكَبُرَ المعجم كثيراً واصبح غير عمليّ ، يكثر فيه التكرار دونما فائدة . وهذا يدعونا الى اعتمادِ طريقةِ الجذر في معجماتنا ، إذ انّ هذه الطريقةَ ثبت صلاحها ، واعْتُمِدَتْ فيما سلف من المعجمات .

وثانيا : انّ حركاتِ الكلمة الواحدة تتغيّر حسب مكانِها من الإعراب وحسب ما يتبعها من اللواصق ، وهذا يعني اختلافَ صورة الكلمة الواحدةِ عند الاستعاضةِ عن الحركات بحروفٍ كما يقترح الاستاذ الباحث .

وثالثها : ان قليلاً من الباحثين القُدامى قاموا بدراساتٍ طريفة قيّمةٍ عن المعاني المشتركة التي قد يفيدها تَجَمُّعُ حروفٍ معيّنة ، ولعلّ اثباتَ المفرداتِ ضمن الجذور قد يساعد على استكمال مثل هذه البحوث .

هذه هي ملاحظاتنا على البحث بشكله العامّ . ونحن متى اتفقنا على ضرورة إدراج المفردات العربيّة في المعجم تحت صيغة الجذر ، يفقد البحث الجزءَ الاكبَرَ من قيمته وجدواه ، ولا يبقى من ضرورةٍ لمراجعتِهِ والتعليق عليه .

غير ان البحث ورد في ثناياه اشياء تلفت الانتباه وتستوجب التعليقَ عليها ، منها استعمال الاستاذ الباحث كلمة « الاملاء » في اكثرَ من موضع ، لتفيد معنى رسم الكلمات في الكتابة ، وهذا خطأ شائع الاستعمال . فالاملاء هو تلاوة الكلام على الكاتب ، وقد يكون المملي سويَّ الإملاء لكنّه لا يعرف الكتابة ..

ومنهـــا ما جاء (ص ٣٤) من ان الفتحة في الفعـــل الماضي « ليست سوى نـــوع من ضميرٍ بارزٍ متّصلٍ تدخل على الفعل المطلق لتخصّصَه للغائب المفـــرد ، كما تدخل عليه الفتحـــة الطويلة (الالف) لتخصصه للغائب المثنّى » . وهذا راي فيه نظر ، اذ لـــو كان ذلك كذلك لمـــا جـــاز تسكينُ آخـــر الفعل عند الوقف ، اذ ان حذف الحركـــة يعني حذف ضمير متّصِلٍ بارز عند الوقف واثباته عنـــد الدرج ، وهذا لا يجوز الّا اذا ناب عـــن الضمير المحذوف حرف آخـــر ، وليس الامر كذلك فـــي هـــذه الحالـــة ..

ومنهـــا ما يقوله الباحث (نفس الصفحة) مـــن ان التنوين ليس سوى اداة تنكير . وأرى نفسي مضطرّاً إلى مخالفته مرّةً اخرى ، فلـــو صحّ ذلك لكان كلُّ عَلَـــمٍ غيرِ ممنوعٍ من الصرف نكرة ، ولمـــا جاز لنا ان نقول : جـــاءَ زيدٌ الكريم . ويـــا ليت باحثينا عندما يعطون حكمـــاً مـــا ، يبذلون بعضاً من جهد في دراسة هذا الحكم قبـــل إصداره ، فربّ عَجَلةٍ تَهَب رينـــا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقـــول الباحث (ص ٣٤ ــ ٣٥) عن اثبات الِـــف تنوين الفتح في الكتابة ، إنّ هـــذا الحرف لا قيمة (املائيّة) لـــه ، وما كان القصد منه سوى التعويض عـــن علامة التنوين !! وفات الاستاذَ الباحثَ انّ قواعـــدَ الكتابةِ العربية تنظر إلى الكلمة عنـــد الدرج والوقف ، فَتُكْتَبُ التـــاءُ المربوطة على شكل الهاء في آخـــر الكلمة لانها تقلب هاء عنـــد الوقف ، فاذا لحقت الكلمـــة احدى اللواصق كتبت كأي تـــاء اخرى لعدم الوقف عليها . كذلك فالالف ليست تعويضاً من تنوين الفتح ، اذ لـــــو كانت كذلك لوجب التزامُ هـــذا الامر في تنوين الضمّ والكسر ، والتعويضُ منهما بواوٍ ويـــاء . لكن السبب في إثبات الالف في تنوين الفتح هـــو ان هذا التنوين يُسْتَبْدَلُ لفظُه الِفـــاً عند الوقف ، لهذا وجب إثباتُه الِفـــاً ،

وهذا هو سبب الاستغناء عنهـا في الاسماء المقصورة والمنتهية بتـاء التأنيـث .

ويعـزو الاستاذ إهمالَ رسمِ الحركة في الكلمة على شكل حرف خاصّ،إلى قصور الاقدمين عن إدراكِ إمكانيّةِ الرمـزِ الى الحركة بشكل خاصٍّ بهـا (ص ٣٦) . لٰكنّ اللغـةَ العربيّةَ تختلف عن اللغاتِ اللاتينيّةِ في انّ الحركاتِ قـد تتغيَّرُ في الكلمة الواحدة،تبعـاً لموقعها من الاعراب او الاضافة او الوقف . فكلمـة (رجل) مثلاً لها من الصور : تنويـنُ لامِها نصبًا ورفعًا وجرا ، والحركاتُ الثلاثُ بدونِ تنوينٍ عند الإضافة ، ودونَ علامةٍ عنـدَ الوقف في جميع احوالِها ما عـدا النصب مع التنوين حيث تثبت الألِـف . فهذه تسعُ صُوَرٍ لكلمةٍ واحدة . اضف الى ذلـك كثرةَ الكلماتِ التي تجوزُ في حُروفِها الحَرَكاتُ المختلفـة . فكلمة (اصبع) مثلاً تجوزُ في حروفهـا اشكالٌ متعدّدة من الحركات ، فهـل سنرسمها على عـدّةِ اشكالٍ او صُوَر ؟؟

ويقـول الاستاذ (ص ٣٧) إنّ الألِفَ في متى واذا هـي حركـة قصيرة ، « ولمّـا لم تكن قد وجدت بعدُ طريقةٌ لإظهارِ الحركةِ القصيرة ، ضُبِطَتْ هـذهِ الكلماتُ بالفتحِ الطويل » . وقـد علّق الاستاذُ الحياوي على هذا القولِ في مراجعاته المنشورةِ في عـدد مجلة مجمع اللغة العربيّة المزدوج (١١ ــ ١٢) ص ١٤٨ . وازيـد هنا على تعليقه انّه لو صح ما قاله الاستاذ اسكندر لوجب رسمُ كلمـاتٍ اخرى مثل « هو » و « انـت » بالالِف ، فما مبرر اثباتِها هناك وإهمالها هنـا ؟

وذكـر الاستاذ الباحث (ص ٣٨)انّ الفرقَ بين الحركاتِ الطويلةِ والقصيرة كميٌّ لا كيفيّ . واقـول إنّ الفرقَ كميٌّ كيفيّ . فالملاحَظ أنّ الحركةَ القصيرةَ كثيرةُ التغـيُّرِ بالإعراب وغيرِه ، وعندَ تغيُّرِها لا تتـرك

مكانها ما يـــدلُّ عليها ، بعكس حرفِ المـــدّ الذي لا يتغيرُ في الكلمـــــة الواحدةِ عـــادةً ، وعند تغيُّرِه يتركُ ما يدلُّ عليه . هـــذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ اخرى لو كانت حروفُ المـــدِّ حركاتٍ لَمـــا قَبِلَتْ دُخولَ حركاتٍ أُخرىٰ عليها ، وَلَمـــا جاز لنا ان نقول : جاء القاضي ورايتُ القاضِـــيَ فـــي مجلســـه .

وينتقـــل الباحث الى التحدُّثِ عن رسم الهمزة ، مشيرًا إلـــى انّ شكلَها المتبدِّلَ خارجٌ عـــن اصول الرسم وعائـــدٌ إلى اعتباراتٍ صرفيّـــة (ص ٤٢)،مـــع انّ الشكلَ المتبدِّلَ للهمزةِ اتّبَـــعَ في البداءة صورةَ الكلمة عند تسهيل الهمزة ، كمـــا تقتضي اصول الرسم ، ومن ثـــم اشتقّتْ قواعدُ الحركةِ الأقوىٰ ، ولا علاقةَ للاعتباراتِ الصرفيَّةِ بذلـــك .

ولا اريـــد ان اتطرَّقَ إلى ما جاء في المقالِ عن اسباب عـــدم إدراج الألِفِ في الجدول الهجائيّ (ص ٤٣)،فقـــد ناقض المؤلف نفسه ورجع فذكر انهـــا أُدرِجَتْ ملتصقةً باللام مع اخواتِها الواو والياء ، وانما الصقوهـــا باللام ليميِّزوها عـــن الهمزة ، وهو امـــرٌ ضروريّ للألِفِ وغيرُ ضروريّ للواو والياء لإمكانِ تحريكِ الحرفَينِ الاخيرينِ والابتداءِ بهما . واضيـــف انّ عـــدمَ إدراجِ الألِفِ ضمنَ حروفِ المعجمات العربية سببه أنّهـــا لا تأتي ضِمْنَ الكلمـــة الا زائدةً او منقلبةً عن واو او يـــاء ..

ثـــم ينهي الاستاذ بحثَه باقتراحِ جدولٍ هجائيٍّ معدَّل ، فاته فيـــه إدراجُ اشكالٍ كثيرةٍ،منهـــا همزةُ الوصلِ في وسط الكلمة،والتنويـــن . ولستُ بِصَدَدِ تناولِ الجـــدولِ بالانتقاد ، ولكنّني لا أجِـــدُ مبررًا لاختراع شكلٍ جديدٍ لأداة التعريف ، فهي مكوَّنَـــةٌ من همزَةِ وصلٍ ولام ، فإنْ كنّـــا على استعدادٍ لتَقَبُّلِ اختلافِ اللفظ بهـــا،عندَ استعمال الشكل الجديد لهـــا، باختلافِ الحروفِ الشمسيّة والقمريّة التي تتلوها ، فلماذا نأبى علـــى انفُسِنا قبولَ ذلـــك عند استعمال شكلها القديـــم ؟

انني لَمْ أَسْتَوْفِ فيما ذكرتُ آنفاً جميعَ ملاحظاتي على هذا البحث ، الّا أنّني آقتصرتُ على ما اعتقدته ذا اهميّة ، ومع ذلك جاء تعليقي طويلا ، فلعلّه يكونُ ذا فائدة . وارى لزاما عليّ قبل إنهائه ان اتطرّق الى المراجعةِ التي قام بها الاستاذ محمد شيت صالح الحياوي لهذا البحث (٢) وانا لا شكَّ أتّفِقُ معه في جُلِّ ما كتب ، لكنني استميحه العذرَ في ان اخالِفَه في القليل الذي سأذكره تاليا ، شاكراً له ما ذكر عن الكتابة المتّصلة والمنفصلة (ص ١٥٠ ــ ١٥١) فقد اصاب وافاد ..

قال الاستاذ الحياوي مخطئا الاستعمال : يُسمّىٰ بالألِف الخ .. مؤكّداً انّ الصحيحَ ما جاء في الآية : (وَإنّي سَمَّيْتُها مَرْيَم) ولعمري لقد اصاب في استعجادته حذفَ الباء ، فقد جاءت كذلك في التنزيل مرّات ، لكنّ صوابَ استعمالٍ لا يفيد خطأ استعمالٍ مخالف .

قال الجوهريّ في الصحاح (سما) « سمّيت فلانا زيداً وسمّيته بزيدٍ بمعنى » ، بل انّ لسان العرب (سما) ذكر انّ سيبويه يرى انّ الاصل الباء لانه كقولك : عرفته بهذه العلامة واوضحته بها . وقد جاء الفعل في الشعر متعدّياً بالباء ، قال الشاعر (أميّة بن ابي الصلت) :

وَسَمّيْتَني بآسْمِ ٱلْفَنَدِ رَأْيُهُ وَفي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

ويقترح الاستاذ المعلّق (ص ١٤٩) تسمِيَةَ الحركات « لواصق » ثمّ يكتشف انّ هذهِ التسميةَ أُطْلِقَتْ على حروفٍ اخرى ، فيقول إنَّ اصطلاحَهُ هو الأصحّ فلا داعيَ لتركِهِ او إبداله،وانّ الاصطلاحَ الآخرَ هو الذي يحتاج الى تبديل ، ويقترح لذلك « الذوانب » بديلاً يفي بالمرام كاملاً كما يقول ، لأنّ « اللواصق » في الاصطلاح المستعمل يُراد بها اللواحق ليس غير ...

---

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ــ العدد المزدوج (١١ ــ ١٢) ص ١٤٨.

اقول : مـــا للأستاذِ ومحاولة وضعِ اصطلاحٍ جديـــدٍ يطلقه على الحركات ، و « الحركـــة » تسميةٌ جيّدة نحن في غِنىً عن ان نَستبدلَ بهـــا تسميةً قد تقود إلى إشكال ، ومـــا ارىٰ آستعمالَ « اللواصق » في هـــذا الموضِعِ إلّا مؤدّيـــاً إلى ما نخشاه من ذلك ، لسببين. اوّلُهُما انّـــه سبق ان جرىٰ إطلاقُ هـــذا الاصطلاح على اشياء مغايرةٍ نلصق بهـــا ، ممّـــا سيدفعنا الى إجـــراء تبديلٍ في الاصطلاح حيثما وُجِـــدَ في كتب العربيّة ، وهو امـــرٌ قد ندعو إلى تَجَنُّبِهِ في حالِ آقتناعِنا بصوابه ، فكيف والامر على خلافِ ذلك . وثاني الاسباب اننّـــا نعتقدُ انّ « اللواصق » انسب لمـــا وُضِعَتْ له سابقاً منها للحركات ، ويعترض الاستاذ الحياوي علـــى استعمالها لانهـــا انما تأتي في آخر الكلمة . لكنّ من اللواصق ما ياتـــي في اوّلِ الكلمة مثل هـــاء (هٰؤلاء) و (هٰذا) ، وذلك يعنـــي انّ اصطلاحَ « الذوانب » لا يُناسب مـــا وُضِعَ اصطلاحُ « اللواصق » لـــه . هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ أُخرىٰ نحـــن نرىٰ انّ اصطلاحَ « الحركات » اصحُّ في الاستعمالِ مـــن اصطلاحِ « اللواصق » وذلك لأنّ الاخيرَ يوحـــي انّ الحركات ليست من اصلِ الكلمة بـــل أُلْصِقَتْ بها ، وهذا جـــدٌّ صحيحٍ بالنسبةِ لحركاتِ الإعراب ، أمّا بقيـــةُ الحركاتِ فهي من اَصْلِ الكلمـــة يختَلِفُ معناها باختلافها (٣) ولا نستطيعُ تغييرَها إلّا بمبرِّر ، شأنها في ذلك شأن الحروف صامتةً كانت ام مصوِّتة . لكـــلّ ذٰلك أُخالف الاستاذَ فـــي محاولةِ إطلاق آسمٍ جديدٍ على الحركات ، وارى أنّنـــا بمندوحةٍ عن ذلك .

يبقـــى بعد ذلك هناتٌ صغيرةٌ ما كنتُ ذاكِرَها لولا انّ بعضَهـــا يُخطِّئُ صحيحاً وبَعْضَها قـــد يقودُ إلى وهم ، منها آعتراضُه على قـــول الاستاذ اسكندر (حروف عاديّة) وتصحيحه لها بـــ (احرف اعتياديّة) (ص ١٥٠) والكلمتان صحيحتان ، وانظر ما جـــاء في معجم الاخطـــاء

---

(٣) الف علماء اللغة عدة كتب في (المثلثات) وهي كلمات تتعاقب على حرف منها الحركات الثلاث فيتغير معناها تبعـــا لذلك .

الشائمة (٤) (ص ٦٤) عـــن السمد التفتازاني والصبّان من ان جمـــع الكثرة يشمل العـــدد من ثلاثةٍ الى ما لا نهاية . كمـــا انّ النسبة الى عادة (عاديّ) وقـــد أشار إلى ذلك الاستاذ ابرهيم السامرّائي في مقالـــه « لـــو اخذ القوسَ غيرُ باريها » (٥) . ثمّ يَذْكُرُ شيئاً عن الحروفِ المنفصلة في مجرى حديثِهِ عن طبعـــة « مختار الصَّحاح » (ص ١٥٢) ، ولـــم يكتبْ في هـــذه الطبعةِ بحروف منفصلةٍ سوى الجُذور ، وذلك لإعطـــاء الانطباع بان الجذرَ يشمل كُـــلَّ الكلماتِ المركّبَةِ من هذه الحـــروف . فالجذر (فعل) مثلاً ينضوي تحتَه كلُّ مـــا يَتَرَكَّبُ من حروف الفاء والعين واللام علـــى هذا الترتيب . فلو كُتِبَ في أوّلِ المـــادّةِ المعْجَمِيَّةِ مُتّصِلا ؛ لأدّىٰ إلى إيهامِ قليلٍ من المطالعين انّ المـــادّةَ تتعلّقُ بالفعل (فعل) فقط . ولكنّنا عندما نكتُبُـــه بحروفٍ منفصلة (ف ع ل)نزيلُ هـــذا الإبهام . وهذا امـــرٌ قليلُ الاهمّيّة ما كان من داعٍ للمؤلفِ ان يذكُرَهُ ولا للمعلّقِ ان يناقِشَـــه ...

ويقـــول الاستاذ الحياوي (ص ١٥٤) : « ان كتابةَ المـــدَّةِ او رسمَها واحـــدٌ في الكتابةِ اليدويّةِ والكتابة المطبعيّةِ أينما وُجِدَتْ .. » وانـــا أؤَيّـــدُ ما آرتآهُ من الاستعاضة عن حرفي الهمزةِ والألِفِ بالألِفِ واشارة المـــدّة ، لكنّني أُخالِفُه في التعميمِ الذي ذكر ، فالمَـــدَّة في رسم المصاحف تكتـــب حرفيـــن ..

لـــو اخذ القوس غير باريها :

للأستاذ الدكتور ابرهيم السامرائي ، وتعليقات الاستاذ محمد شيت صالح الحيـــاوي

مـــا زال الاستاذ السامرائي يمتعنا بين الحين والحين بمقال يزخـــر بالفائدة ، وانـــا اتلقف ما يكتبه فأطالعه واعلق على حواشيه تعليـــق

---

(٤) لمحمد العدناني ــ نشر مكتبة لبنان ــ بيروت سنة ١٩٧٣

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد المزدوج (٧ــ٨) ص ٥٣

مستفيدٍ لا تعليقَ منتقـــد . وعندما قرات موضوعه هذا ذكرت انّه كان تناول شيئاً مِمّا جـــاء فيه في بحوث اخرى لـــه ، فَرْحتُ اُقلّبُ اوراقي الى ان وقعتُ على ما نَشَرَ في مجلة المورد (٦) عـــن ديوان الادب للفارابي ، اذ رايتُهُ هناك يعيب على محقّقِ الكتابِ قولَـــه : « لامكن التعرّف عليه » وقوله : « كـــان كفيلاً بالقضاء على هذه الفوضى الداخليّة » . ثم رايتُه هنـــا يعود فيقبل الاستعمالَ الاوّل (ص ٥٥) ثـــم يقترح استعمـــال « فوضى » عِوَضاً عـــن « تشويش » (ص ٦٢) او كان هذا ما رجَّحْتُ انّـــه يقصده . واقول هنا صراحةً إنني احترم من يرجع عن راي حيـــن يرى مجانَبَتَهُ للصّواب ، وقَـــلّ من يتحلّى بهذه الصفة ، ولٰكنّني كـــم تمنّيتُ لـــو اشار الاستاذ الى موقفه السابق وإلى عُدولِهِ عنه ، حتـــى يزولَ الالتباسُ ويتّضِحَ موقفُـــه من المسألة ..

وجـــاء في البحث : « ص ٥٥ » : « ويقولون : تخرَّجَ على فلان ... وتخرّج فلان في الكليّـــة الفلانية ، وليس تخرّج من الكلية .. » ثم يقول :

« والذي وَقَفْتُ عليـــه في كتُبِ الرِّجالِ انّي قرأتُ كثيرا : وتخرّج بـــه جمهرةٌ من العلمـــاء .. » .

ولا ضَيْر ، هـــذا لا يمنع ان يُقال : « تخرّجَ بـــه ــ او عليه ــ جمهرةٌ من العلماءِ في الازهـــر .. » .

كمـــا جاء في البحث (ص ٦٣) : « ومِثْلُ هذا استعمالهم (اذ) وهو ظرفٌ للزّمانِ الماضي ، آستعمالَ إذا الشرطية ، فيقولون : (واذ لم يتهيّأ لـــي العمل في بغداد فقد غادرتها الـــى ...) والصواب اذا ... » لكنّنـــي ارى انّ التعليلَ احـــدُ وجوهِ استعمالاتِ (اذ) ، جاء ذلك فـــي

---

(٦) المجلد التاسع ــ العدد الاول ــ ص ٤١٥

(مغني اللّبيب) (٧) وَساقَ ٱبنُ هشام عِـدَّةَ امثلةٍ اقربها مما مـرّ فـي البحث قولُه تعالى : « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِـهِ فَسَيَقُولونَ هٰذا إِفْكٌ قَدِيم » فذاك مِنْ هـٰذا ... وللاستاذ الكبير جزيل تعظيمي واحترامي ...

وقـد قـام الاستاذ محمد شيت صالح الحياوي بمراجعةِ هـذا البحث (٨) فجاء بأمورٍ ارىٰ مـن الأفضلِ لن أُعلِّقَ عليها هنـا ، فأقول : مسألة الملاعِق الثلاث (ص ١٥٦) طريفة ، لكنّها إلى علـمِ المنطِقِ اقرب ، فـلا دليلَ من اللغةِ ٱستَشْهَدَ بـه ، بل ما كَلَّفَ نفسَه الرجوعَ إلـى شواهدِ الاستاذِ البصّام التي ذكـرَ الاستاذ السامرّائي انّـه جاء بها مُثْبِتاً جوازَ استعمال « السّكك الحديديّة ».وما ارىٰ قـول الفرزدق (٩) :

لَبِسْنَ الفَرِيدَ الخسْروانِيَّ ، تَحْتَـهُ مَشاعِـرَ،خَزِّيٌّ العِراقِ المُفَـوَّفُ

يَحْتَمِلُ مسألةَ مَشاعِرَ ثلاثـة ...

ويقـولُ الاستاذ الحياوي (ص ١٥٧) « لأنّ العربيّة واسطـة للتفاهم » . والواسطة في اللغـة الجوهرة الكبرى وسط العقـد . ولعل الأصوَبَ ان يُقـال : « وساطة ».

وتنـاول الاستاذُ راي ٱبنِ الانباريّ القائل بعامّيّـةِ كلِمَـةِ « التشويش » ، وخَطّـأهُ وصوَّب الجوهريَّ الذي قـال بفصاحتهـا (ص ١٥٩ ــ ١٦٠) ثُـمّ اشار الى ضرورةِ قبول ٱستعمالها وذلـك لمـا يلـي :

---

(٧) لابن هشام ــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ الجزء الاول ص ٨٢

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ــ العدد المزدوج (١١ ــ ١٢) ص ١٥٦ــ١٦٠

(٩) البيت في جمهرة أشعار العرب لابي زيد القرشي ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ ص ٨٦٩ .والمشاعر هنا هي الثياب التي تلي البدن .

١ ــ حاجتنـــا الى الكلمة ، فالفوضى والتشويش ليستا متقابلتين . .

٢ ــ استعمال لفـــظ **فوضى** مقتصر على الجمع ومفرده متروك ،على العكس من لفـــظ **التشويش** الذي يقبـــل الاشتقاق .

٣ ــ جريـــان الكلمة على الالسنة في العصر الحاضر .

وفي هـــذا المعرض يتساءل الاستاذ عن اصل هذه الكلمة الجارية ، ويَتّخِـــذُ ذلك دليلاً على فصاحة الكلمة .

اقـــول : اعتاد الأستاذ ان يَصِمَ عُلمـــاءَ اللغةِ العربيّة القدامـــىٰ بالوهم ، وهم من هم ، معتمداً على آجتهاده الخاصّ ، دونَ دليلٍ تقبلُـــه اللغـــةُ وأُصولُها وقواعِدُها . ونحن ندافع هنـــا عن آبن الأنباريّ ، وعن غيرِهِ من عُلمـــاءِ العربيّةِ الذين شاركوه في قولـــه ذلك ، كالأزهريّ (تهذيب اللغـــة ــ و ش ى ــ ج ١١ ص ٤٤٥) والصّغانيّ (التكملة والذيل والصلة ــ ش ي ش ــ) والحريريّ (درّة الغوّاص في اوهام الخواص ــ طبعة ليبزيج ص ٣٧) والفيروزباديّ (القاموس المحيـــط ــ شاش ــ) وغيرهم كثير ، وكلهم قـــال بوَهْم الجوهريّ ، على آعتبار انّ التشويشَ كلمـــةٌ عامّيّـــةٌ اصلُها التهويش . وهكذا تصبح النقـــاطُ الثلاثُ التي اعتمدَها الاستاذُ الحياوي غـــيرَ ذاتِ موضوعٍ عند آعتبار الأصْل المذكور ، فهو ينوبُ عـــن (الفوضىٰ) ، وليس مقابلاً لهـــا ، وهو غيرُ مقتصرٍ على الجمع ، وهـــو يُظْهِرُ اَصْلَ كلمةِ التشويش المستعملة ...

وأُقَـــدِّم للاستاذين الكبيرين من الاحترام والإعجاب ما يليق بقدرهما ، قيّض الله لهما من الخير ما هما له أهل ، لما يبذلان من جهد في خدمة لغتنـــا الشريفـــــة .

موقف من يونس بـــن حبيب :

للاستاذ الدكتور محمود حسني محمود

بحـــث ممتع لكنّه لم يسلمْ من هَفَواتٍ وفلتاتٍ قلّما يخلـــو منها بحث أو مقالة ، بعضُها قـــد يعود الى الطباعة ، وهذه لن أعرض إلّا لِمـــا لا يجوز السكوتُ عنه منهـــا ، مثل ما يغيّر اسماً او يُوهِمُ امـــراً مخالفـــاً للوجـــه المقصود . اذكـــر من هذه الأخطاء ما جـــاء في ارقامِ صفحات الإحالات ، والوَهْمُ فيهـــا كثير . من ذلك أنّ الباحِثَ احال على الفهرست ستَّ مراتٍ يشيرُ فيهـــا كلّها إلى انّ رقم الصفحة (٧٩) وهـــو (٦٩) . كما جـــاء شيءٌ من الإحالات على « طبقات النحويين واللغويين » سليما ، وجـــاء شيءٌ خاطئا ، نذكر منها الحاشية رقـــم (١٣٩) حيث احال على ص ٢٨ بدلا من ص ٤٣ ، والحاشية رقـــم (١٥٦) احال فيها علـــى ص ١٧٧ بدلا مـــن ١٢٧ ، وغير ذلك من الإحالات التي لن انتقصّاها هنا ...

ومِـــنْ اخطاءِ الطّباعة ما جاء في ص ١٣٩ عن عيسى بنِ عمر وابي عمرو بن العلاء ، فقـــد حوى الخبرُ ثلاثةَ اخطاءٍ هي : « فقال له : يـــا ابـــا عمر : ما شيء .. » والصواب « ابـــا عمرو » و « نمت يا ابا عمرو واولج الناس » والصواب : « نمت يـــا ابا عُمَرَ وادلج الناس » .. وغيرها كثير يمكن عزو جُلّها الى الطباعـــة ...

يقـــول الباحث (ص ١١٨) : « امّا صاحبُ معجم الأُدباء فقد راى أنّـــه ضَبّيٌّ نسباً صريحا ، ولكنّه عاد وروىٰ أنّـــه مولى بني اللَّيْث .. » وما اصاب ، فإنّ قولَ ياقوت كـــان : « ابو عبد الرحمٰن الضّبّيّ ــ وقيل الليثيّ ــ بالولاء » فالولاء تعود على الضّبّيّ والليثيّ كليهما ، ولا تنفـــرد بالليثـــيّ ..

وينقـــل الباحث (ص ١٢٠) عن الفهرست وانباه الرواة : « الى أن (تفرّغ من الكبر) .. » وهذا وَهْـــمٌ جَرَّهُ ما جاء في الكِتابَيْن عن ثعلب ، فـــان (تفرّغ) هنا لا معنى لهـــا ، بل هي تصحيف لـــ (تَقَدّع) بالدال والعين المهملتين ، كذلك جاءت في « طبقات النحويين واللغويين » (١٠) .

ويورد الباحث (ص ١٢٠) بيتَيْنِ من الشعر على انّهما من قـــول يونس بن حبيب ، نقـــلا عن « شذرات الذهب » . وما جـــاء فـــي « الشذرات » و « وفيات الأعيان » (١١) لا يوحي الا انهمـــا من انشاده ، وما رايت مرجعًا يذكر أنّـــه نظم شعرا ، بل انّ « وفيات الاعيان » (١٢) يروي عنه أنّـــه « لو تمنّىٰ انْ يقولَ الشِّعْرَ لتمنّىٰ ان يقولَ مثل قـــول عديّ بن زيـــد ... » .

وينقـــل الباحث (ص ١٢٦) عن « طبقات النحويّين واللغويّين » رايَ يونس في آبـــن ابي إسحٰق ، فيجيء بكلامٍ لا يستقيم ، هـــو : « قال : فاينَ علمه من علـــم الناس اليوم ؟ (قال) لو لم يكن في الناس اليومَ احد لا يعلم الّا علمه لضحك منه ، ولـــو كان فيهم من لـــه ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره لكان اعلـــم الناس » وسقط من النص ما جـــاء بين القوسَيْن . وتصحيحُ هذا القول ما جـــاء في « طبقات الشعراء » (١٣) : « قـــال : فأَيْـــنَ عِلْمه من علـــم الناسِ اليوم ؟ قال : **لو كان** في الناسِ اليَوْمَ **مـــن** لا يعلَمُ إلّا علمه يومئذٍ ، لَضُحِكَ **بـــه** ، ولو كان فيهم من لـــه ذهنه ونفاذه ، ونظر **نظرهم** ، كان اعلـــمَ الناس » .

---

(١٠) ص ٥٣ ، والقدع : عوج وميل في المفاصل خلقة او داء ..

(١١) لابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، طبعة دار صادر ، ص ٢٤٦

(١٢) صـــ ٢٤٥

(١٣) صـــ ١٥

وذكـــر الباحث (ص ١٣٩) بيـــتَ ذي الرمة :

وظاهرٌ لهـــا من يابس الشخت ...

والبيـــتُ بهـــذا الشكل مبتورٌ وخارجٌ عن بُحور الشِّعر ، وكـــم وددتُ لـــو انّ الاستاذَ الباحث كان اكمَلَه عن الدِّيوان ، فلو فعلَ لمـــا ظهر التنوينُ على الفِعلِ في اوّلِ الشطر . والبيت بتمامـــه :

وظاهِرْ لهـــا مِن يابِس الشّخْـــتِ واستَعِـــنْ
عليها الصّبـــا واجْعَلْ يَدَيْكَ لهـــا سِتْـــرا

وقـــال الباحث في معرضِ ذكرِهِ حيرةَ ابي عمرو بن العلاء ويونس فـــي كلمـــةٍ قالها الفرزدق (ص ١٤٠ ــ ١٤١) : (ويحاولان ان يجدا تخريجا فلم يعثرا ، فيقولُ ابو عمرو : « لا اعرِفُ لهـــا وجها ، وكان يونس لا يعرف لهـــا وجها ، قلتُ ليونس : لعلّ الفرزدقَ قالها على النَّصْب ولم يأبَـــه . فقال : لا ، كـــان ينشدُها على الرفع ، وانشد فيهـــا [وانشدنيها] رُؤْبَـــةُ علـــى الرّفـــع ») .

اقـــول : هذا النصّ كما جاء في البحث يفيد ان ابـــا عَمْرٍو يروي عن يونس ويسأله ، وما كـــان يونس إلّا تلميذاً لأبي عمرٍو يأخُذُ عنْـــه . والصّواب ان كلام ابي عَمْرٍو ينتهي عند قولـــه : « لا اعرف لـــه وجها » . وما تـــلا ذلك هو من قول ابنِ سلّام ، وكـــان يونس من شيوخِه (١٤) .

واعـــود فأشكر للاستاذ الدكتور جهده ، نقد افـــاد وامتـــع .

---

(١٤) المصدر السابق ــ المقدمة ص ٣٧

شاعر السمو زهير بن ابي سلمى :

للاستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي

جمع الاستاذ الرباعي في مقاله الشائقِ الكثيرَ من اخبار شاعرٍ مشهورٍ حَظِي باهتمام الباحثينَ قديماً وحديثا ، لكنه تناولَ الشّاعِرَ مِنْ ناحيةٍ خاصّةٍ يراها الأستاذُ فيه : **السُّمُوّ** . وقد وُفِّقَ إلىٰ حَدٍّ بَعيدٍ في إظهارِ **السّمُوّ الفنّيّ** في شِعْرِه ، فزُهَيْر شاعرُ انتِقاءٍ وتنقيحٍ قَلّما يَظْهَرُ في شِعْرِه سَقَطٌ او خَطَل ، ووُفِّقَ دونَ ذلِكَ في إظهارِ **سُمُوِّ الشّاعِرِ الإنسان** ، ولعلّ الأمْرَ راجِعٌ إلى التّناقُضِ ما بَيْنَ شِعْرِ السُّؤال والاستعطاءِ وبين السموّ . فقد حَطّ مِنْ قدرِ النّابغةِ الذّبيانيّ ــ وقد كان في ذُؤابَةِ قومِهِ حسبًا ومجدا ــ مَدْحُهُ النّعمانَ والحارثَ الغسانيّ ، مع انّهما مِنَ الملوك ، فكيفَ بزُهَيْرٍ وقد مَدَحَ مَنْ دونَهما ، واستجدىٰ بِشِعْرِه فجمَعَ مِنْ ذلك ثروة . وكان يعمد إلى الهجاء إن لم يستطِعْ نَيْلَ ما يَطْلُب بالمديح .. ثمّ كيْفَ يُمْكِنُ أنْ نَصِفَ **بالسموِّ** شاعراً يهجو قوماً اسروا عبدًا له وامتنعوا عن ردّه بهذه الأبيات (١٥) :

وَلَوْلا عَبْسُهُ لَرَدَدْتُموهُ ... وشَرُّ مَنيحَةٍ مُعارُ

إذا جَمَحتْ نِساؤُكُمُ إليْهِ ... أشَظَّ كأنّهُ مَسَدٌ مُغارُ

يُبَرْبِرُ حينَ يَعْدُو مِنْ بَعيدٍ ... إلَيْها وهْوَ قَبْقابٌ قُطارُ

إذا ابْزَتْ به يوماً اهَلَّتْ ... كما تُبْزِي الصّعائِدُ والعِشَارُ

فأيُّ فُحْشٍ أكثر من هذا ؟ واي سموٍّ في شاعرٍ يلجأ الى مثل هذا القول ، وقد كان له مُنْتَدَحٌ في الهِجاء العفيف الذي يبدو كالعِتاب ، وفي طيّاته هجوٌ مُمِضٌّ،كقولِ النابغةِ في عامر بن الطفيل (١٦) :

---

(١٥) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ــ صنعة ابي العباس ثعلب ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢

(١٦) ديوان النابغة الذبياني ــ تحقيق محمد ابي الفضل ابرهيم ــ طبعة دار المعارف بمصر ــ ص ١٠٩

فإنْ يَكُ عامِرٌ قَدْ قالَ جَهْلاً فـــإنّ مَظِنَّةَ الجَهْلِ الشّبـــابُ

فَكُنْ كَأبيـــكَ أوْ كأبي بَـــراءٍ تُوافِقْكَ الحُكومَةُ والصّـــوابُ

وَلا تَذْهَـــبْ بِحِلْمِكَ طامِيـــاتٌ مِنَ ٱلخُيَلاءِ لَيْسَ لهُـــنّ بـــابُ

فإنّكَ سَوْفَ تَحلُـــمُ أو تَناهىٰ إذا ما شِبْتَ أوْ شابَ الغُـــرابُ

وما لِزُهَيْرٍ ولِهذا السِّبابِ الذي خاطبَ بـــه رجلاً كان مدحَه قَبْلُ ، ثم عادَ **شاعِرُ السموّ** فمدحه بعـــدَ إذ شَتمه ...

ثـــم كيف نصف بالسموّ شاعرًا لا يربَـــأ بنفسِهِ عن انْ يَنْتَحِلَ شِعْرَ غـــيره (١٧) .

اقـــول : لعلّ حياةَ الجاهليّة ما كانَتْ تُتيحُ لشاعرٍ ان يوصفَ بالسمو المطلق ، او لعلّ الباحِثَ اخطأ الاختيار ، وكـــان عليه ان يتوسّمَ السُمُوَّ في زيد بن عمرو بن نفيل واقرانِه . ومهما يكن الأمْـــر ، فزُهَيْرٌ يبقىٰ مـــن اعفِّ شُعراءِ الجاهليَّةِ لساناً وخُلُقـــا .

اعـــود إلى ما كُنْتُ علّقْتُهُ على هوامِش البحثِ فأقول : جـــاء في ص ١٥٣ انّ ابـــا سُلْمىٰ هو ربيعة بن رِياح بن قُرّة .. وهو (قرط) كمـــا في « طبقاتِ فُحولِ الشّعراء » ــ ص ٥١ ــ و « جَمْهرةِ انْسابِ العرب » ــ ص ٢٠١ ــ ، كما جـــاء انّ مُزَيْنَةَ هي بنت كلب بن وَبرة بن ثَعْلَب بـــن حلوان .. وهو تَغْلِب كما في شرحِ الدّيوان ــ ص ٣٣٠ ــ و « جمهـــرة انساب العرب » ــ ص ٤٥٢ ــ ، وأنّ عمرو بن أُدّ هو ٱبن طانجة بـــن مضر ، وهو في الحقيقة ابن طابِخَة بـــن الياس بن مُضر كما في المَصْدَرَيْـــنِ السابقَيْنِ . ثـــم يقول الباحثُ إنّ ٱبنَ سلّام جعلَ مُزَيْنَةَ واحداً من اجـــداد ربيعة ، ونحن نعلـــم انّ مزينة ٱمراة ، وما قاله ٱبنُ سلّام هو أنّ ربيعـــة مـــن ابناءِ ابناءِ مَزَيْنَة .

---

(١٧) وانظر ما جاء في البحث ص ١٧٣

وجـــاء في البحث (ص ١٥٤) بيتان لابي سلمى همـــا :

لِتَعْـدُوَنْ إبِـلٌ مُخَيَّسَـــةٌ مِـنْ عِنْدِ سَعْدٍ وَٱبْنِـهِ كَعْـبِ

الآكِلِيـــنَ صَرِيـــحَ قَوْمِهِمـــا أَكْـلَ الحُبارىٰ بُرْعُمَ الرُّطَـبِ

والصّحيحُ ــ كما في شرح الديوان (ص ٢) ــ لِتَغْدُوَنْ ــ بالغين المعجمة ــ وأَسْعَدَ والرُّطْبِ ومـــا اظنّ هذه الاخطاء من الباحـــث .

ويقـــول الاستاذ (ص ١٥٦) إنّ الذي دفـــعَ زُهيراً إلى زواجِ كبْشَـةَ هو عقْـــمُ أُمِّ أَوفىٰ .

واقول : لـــم تكُنْ امُّ أَوْفىٰ عقيماً ، يدُلّنـــا على ذٰلك قولُ زُهَـــيْرٍ (شرح الديـــوان ص ٢٤٢) :

أَصَبْتُ بَنِـــيَّ مِنْكِ وَنِلْتِ مِنّـــي مِنَ ٱللّذّاتِ وَٱلحُلَلِ ٱلغَوالِـــي

ويذكـــر الباحث بيتَ زهير (ص ١٥٧) :

أَقيمـــي أُمَّ كَعْـــبٍ وَٱسْتَقِرّي فإنَّـــكِ ما نَزَلْتِ بِهـــا بِداري

والصواب « بِدارِ » . أيْ انّهـــا دارُ صِدْقٍ إذا ما نزَلتْ بهـــا .

ويقارن الباحثُ بَيْنَ قولِ زهـــير :

فَـــإنّ ٱلحَـــقّ مَقْطَعُهُ ثَـــلاثٌ يَمِيـــنٌ أَوْ نِفـــارٌ أَوْ جِـــلاءُ

فَذٰلِكُمُ مَقاطِعُ كُـــلِّ حَـــقٍّ ثَـــلاثٌ كُلُّهُنّ لَكُـــمْ شِفـــاءُ

وقولِـــهِ تعالىٰ : « وَلَكُمْ فِي ٱلقِصاصِ حَياةٌ » ، وشتّان ما همـــا . فقول زُهَيرٍ يُبيّنُ الطُّرُقَ التي يمكـــن إظهارُ الحقِّ بهـــا ، والآية الكريمة لا تتناول الأمْـــرَ من قريبٍ او بعيد . وقـــد جرى عُلماء العربيّة علـــى مقارنةِ الآيـــةِ هذه بقولِ العَرب : القَتْلُ أَنْفىٰ لِلقَتْلِ .

ويدافع الاستاذ (ص ١٧٢) عن آستعمالِ زُهَيْرٍ لِكَلِمَتَيْ (حَقَّد) و (رَكَكْ) مُشيراً إلى انّ الأُولىٰ ، على ثِقَلها ، ادّتْ ما ارادَ الشاعر ، وأنّ ثِقَلَ الاخرى كان سببَ فَكِّ إدغامها . غير أنّ اعتراضَ النُّقّاد القدامى على الكلمة الاولى كان بسبب مجيئها ضِمْنَ ابياتٍ سلسةِ الكلمات فظهرت غريبةً بينها . اما فَكُّ الإدغام فلا يجوزُ في آسم علم .

ذيول وملاحظات :

لكاتب هذه السطور ، ومراجعة الاستاذ محمد شيت صالح الحياوي (١٨)

وقَمْتُ حديثاً على ابياتٍ اربعة لِسَلْمٍ الخاسِرِ ليسَتْ في شعره المجموع في كتاب « شعراء عباسيون » ، ولم اكن ادْرَجْتُها ضمن بحثي المنشورِ في العدد الثاني من مجلةِ المجْمع اللغويّ الاردنيّ، ولا ضمنَ استدراكاتي على هذا البحْثِ في الذيولِ والملاحظاتِ المنشورةِ في العدد المزدوجِ السابع والثامن من المجلة المذكورة . وهذه هي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— التخريج : الحماسة البصريّة — تحقيق مختار الدين احمد — نشر دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٦٤ .

قال سَلْمٌ الخاسرُ في محمد بن المهديّ (لعله محمد المهديّ) :— من الطويل — :

١ — بِمَوْتِ امرِ المؤمِنينَ مُحَمَّدٍ زَها الموتُ واختالَتْ عليهِ المَقابِرُ

٢ — رَأَيْتُ المنايا يَفْتَخِرْنَ بمَوْتِهِ كَأَنّ المنايا تَبْتَغِي مَنْ تُفاخِرُ

٣ — فَلَوْ بَكَتِ الأيّامُ مَيْتاً بَكَتْ لَهُ سَوالِفُها والآتِياتُ الغَوابِرُ

٤ — وَما النّاسُ إلّا لِلفَناءِ مَصيرُهُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْ يَوْمِهِ ما يُحاذِرُ

---

(١٨) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني — العدد المزدوج (١١ — ١٢) ص ١٦٠

وقَـدْ كانَ الأُستاذُ الحياوي أبدىٰ بعضاً من مآخِذَ علىٰ الذيول ، رايتُ انْ اعرض لهـا هنا ، ليس بقَصْدِ دَفْـع شُبْهَةِ التقصير او الزّلَلِ عن نفسي ، وانـا المُقِرُّ بالزّلَلِ والتقصير ، ولكنّ دفاعاً عـن آستعمالاتٍ لُغويّـةٍ صحيحة ، وعن عُلماء كانوا من بُنـاةِ صرْحِ اللغة طَعَنَ فـي اقوالهـم .

يقـول الاستاذ (ص ١٦٠) : لا يليقُ ذِكْـرُ كلمةِ مُراهقين احيانا فلكلّ مقام مقال ، لأنّهـا قد لا تُريحُ سامِعَها ، او ذوي العلاقـة حيـث تذكرهم بمـا لا يرغبون .. واقول : إنّ كلمة مُراهق لا تعني سوى الغلام الذي قاربَ الحلـم . وإنّ عدمَ الرّاحة يحصل حسـبَ الاستعمال ، كاستعمالِك لِكَلمـةِ « طفل » مثلاً . فإنّ وَصْفَكَ رجُلاً كهلاً بالمُراهَقَـةِ يَسوؤه كوَصْفِكَ إيّـاه بالطّفولَة . ولا يفوتنا أنْ نَذْكُـرَ انّ آستعمـالَ الكلمةِ الانكليزيّةِ ايضاً قد يفيـدُ معنىً غيرَ مُزيحٍ لذوي العلاقـة ...

ويقـولُ الأُستاذ في معرضِ تعليقهِ علـى النّسب الى عشريـن وثلاثين : آعتمـد الكاتبُ على رأي ابن سِيدَة وهو رأيٌ لا نقرُّهما عليه لانـه يُؤدّي إلى اختلاطِ النسب في الاعداد المُفْرَدةِ والعقود ــ ثلاثيـن فمـا بعدهـا .

واقـول : تَخْطِئَةُ آبنِ سِيدَة ، وهو من هـو ، دونَ دليلٍ او رجوعٍ الى قولِ عالِـمٍ من علماء العربيّة ، أمْـرٌ لا أُقِـرُّ الاستاذَ عَلَيْه ، فكيف اذا أضَفْنا إلى ذلِكَ أنّ آبْـنَ سِيدَة وافَقَ في رَأْيِـهِ الفرّاءَ ونقلَ عنه وعـن ابي عليٍّ الفارسيّ الذي برّر حذفَ اليـاء والنون في النِّسْبَةِ لِتَجَنُّبِ الجمعِ بين اعرابين . امّـا قولُ الاستاذ المعلّق باختلاط النسب في الأعـدادِ المفردة والعقود فهـو غير وارد ، وكيف يختلط ثُلاثِيّ وثَلاثِيّ ، ورُباعِـيٌّ وأَرْبَعِـيّ ...

ويعلــق الاستاذ على ما جــاء في الذيول : (اما اذا اردْتَ النسبَ إلى ثَلاثَةٍ فتقول : ثُلاثِيّ) . فيقول : لا حاجــةَ إلى الفاء فهي زائــدة . والنسب الى ثَلاثَةٍ هــو ثَلاثِيّ بفتحِ الثاء الأُولىٰ لا بِضَمِّها ، لأنّ المضمومَةَ مَنْسوبَةٌ إلى ثُلاث ولهمــا معنيان مختلفان » .

واقول : إنّ الفــاء في جواب اذا ضروريّة ، ولكنّ هناك من النحاة من جَوّزَ حَذْفَها . ولا يجوزُ تَخطِئَةُ إثباتِهــا وهو الأصْل . قال عُمَر بــن ابــي رَبيعــة :

رَاَتْ رَجُلاً امّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحــىٰ وامّــا بالعَشِيّ فَيَخْصِرُ

والنّسبُ إلى ثَلاثة ، إذا كانــت اسمًا لِشَخْص ، او النسب الــى بنــي ثَلاثَة ، ثَلاثِيّ بفَتْح الثاءِ الاُولىٰ كما جــاء في المخصّص (ج ١٧/١٢٨) عن الفرّاء . قــال : « وإن كان ثَوبًا طولُهُ ثلاثُ اذْرُعٍ قُلْتَ ثُلاثِيّ إلــى العَشْر » ولِهذا ادِلَّــةٌ كثيرةٌ في اللغة ، فالفِعْل الثُّلاثِيّ او الرُّباعيُّ هــو الفِعْلُ ذو الحُروفِ الثَّلاثَة او الأربَعَة ، وقِسْ على ذلــك . وجاء قولُهُم : فَتىً ثُلاثِيٌّ او رُباعِيٌّ او خُماسيٌّ ، إذا بلَــغ طولُه ثلاثَةَ اَشبارٍ او اَربعــة او خمسة ، ولا يقــالُ سُداسِيّ لأنّه عند ذلِكَ يُصْبِحُ رجُــلاً . ونحن إذا نسبْنا إلى عبدِ الواحد قلنــا (واحِدِيّ) ، وإلى واحد قلنا (اُحادِيّ) ، وهل سَمِعْنا بِفِعْــلٍ اَرْبَعيّ او سِتّيّ (سِدْسِيّ) ؟ وكَــمْ كنتُ اتمنّىٰ لــو جــاء الاستاذُ بدَليلٍ من اللغــةِ على ما قالَه ، فيستفيد الجميعُ عــن قناعةٍ لا عــن تسليم .

واَشكُــرُ للاستاذ اهتمامَه بما كتَبْتُ ، ابقاه اللّــه ومتّعَنا بعلمه واكْثَرَ مِنْ امثالــه ...

المهندس حاتــم غنيــم

استدراك على " شعر ابن ميّادة "

للدكتور خليل أبو رحمه

ذكـــر العيني في « المقاصد النحوية » ان لابن ميادة ديوان شعر . ويذكر محمد نايف الدليمي ، جامع شعر ابن ميادة ، انـــه لم يوفق في الحصول على نسخة من هذا الديوان (١) ، ولـــذا اضطر الى جمـــع اشعاره من المظان المختلفة . ويبـــدو أن كتاب الاغاني اهـــم مرجـــع لشعر الشاعر وسيرة حياته ؛ بـــل ان اكثر المراجع الاخرى المهمـــة ـــ كتاريخ ابن عساكر ، وخزانـــة الادب ـــ تعتمد الاغاني ، رغم ما يلحـــظ من خلاف بسيـــط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورغـــم الجهد الذي بذله الدليمي في جمع شعر ابن ميادة وتحقيقه ، فقـــد عثرت على ابيـــات لم يثبتها في شعر الشاعر ، لانه لـــم يستوف المراجعة المطلوبة ، كما يظهـــر بعض التسرع في عمله ؛ فهو يثبت « تاريخ ابن عساكر » ضمن المراجـــع التي اعتمدها ، ولكنه ، فيما يبدو ، اعتمد ترجمة ابن ميادة في الكتاب المذكـــور ، ووقف عند هذا الحد . ولـــو قلب صفحات الكتاب ، لوجـــد قطعة لم يذكرها الاصفهاني . ففي المجلـــد الثالث (٢) في ترجمة « ثابت بن نعيـــم الجذامي » ـــ الذي خرج علـــى

---

(١) شعر ابن ميادة ، المقدمة / ١٣

(٢) ص ٣٧٢

مروان بن محمد بفلسطين ، ثـم هرب الى مصر ، فأسره الحوثرة الباهلي وارسله الى مروان فقتله ـ قصيدة ذات تسعة ابيـات ، يشيد الشاعر فيها بأبطال قبيلة قيس ، الذين قضوا على الفتنـة ، ويفتخر بأيام القيسيين ومعاركهم . وابـن عساكر لا يقطع في نسبة القصيدة الى ابن ميادة ، بـل يقول : « وقال فيـه ـ اي ثابت بن نعيم الجذامي ـ بعض شعراء قيس ، وقيل انـه ابن ميادة » (٣) . وهذا القول يوجب وضع القصيدة ضمـن « باب المنسوب الى ابـن ميادة » ـ حسب ترتيب الدليمي ـ لولا ان الجاحظ ذكـر في كتاب « الحيوان » (٤) بيتا منها ونص انـه لابن ميادة ، وهـو :

وعنـد الفزاري العراقي عـارض كأن عيون القوم في نبضه جمْـرُ

وهـو البيت الثامن في الترتيب عند ابن عساكر ، مـع اختلاف بسيط . كما ذكر الكندي (ت ٣٥٠ هـ) في كتابـه « الولاة والقضاة » (٥) بيتيـن من القصيدة ، وذكر انهمـا لابن ميادة ، وهمـا :

لقـد سرني ، ان كان شيء يسرني مغار ابن هبار على بلخ والسفرُ

وحوثرة المهدي بمصر جيـاده واسيافه حتى استقامت لـه مصرُ

والبيـت الاول لا تتضمنه الابيات الموجودة في تاريخ ابـن عساكر ، اما البيت الثاني فهـو الخامس عند ابن عساكر ، مـع اختلاف في بعض الكلمات . وبـذا نكون قد عرفنا من القصيدة عشرة ابيـات ، اثبت منها جامع شعر ابن ميادة بيتـا واحدا ذكر في كتاب الحيوان . والابيـات ـ كما يبدو ـ تسير على هذا النحـو :

---

(٣) ج٣/٣٧٢

(٤) ج٣/٣٢٢ والبيـت في شعر ابن ميادة /٥٥

(٥) مـن ٩١

وما للجذامي الذي جز راسه ولحيته ثم ابتغى ملكنا غرُّ

عذار كان يلقاه يوما بموطن فوارس يرديها ابو الورد والصقرُ

فوارس صدق لا يبالون من ثوى يجرون ارماحا عواملها سمرُ

هُمُ تركوا ما بين تدمر والقنا قنا الشام احوارا منازلها صفرُ

لقد سرني ، ان كل شيء يسرني مغار ابن هبار على بلخ والسفرُ

وحوثرة المهدي بمصر جياده واسيافه حتى استقامت له مصرُ

فما لك بالشام المقدس منزل ولا لك في نجد ذراع ولا شبرُ

وما لك بين الاخشبين معرس بمكة الا حيث يرتقب الوترُ

وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضه الجمرُ

وان لقيس كل يوم كريهة وقائع مسرور بها الذئب والنسرُ

وهذه القصيدة مهمة، لانها من القصائد القليلة التي تفصح عن موقف بعض شعراء مضر من الفتن الداخلية ايام مروان بن محمد .

وتروى قصيدة ابن ميادة « الرائية » التي مطلعها :

الم تر ان الصاردية جاوزت ليالي بالمدور غير كثيرِ

في « الاغاني » روايتين مختلفتين ، بالنظر الى عدد الابيات ، والى بعض الالفاظ . وقد اعتمد الدليمي رواية واحدة واهمل الاخرى ، فلم يشر اليها ، وبذلك سقط بيت من القصيدة وهو :

وقالت، وما زادت على ان تبسمت: عذيرك من ذي شيبة وعذيري (٦)

---

(٦) الاغاني ٢/ ٢٧٧ .

ويبـــدو ان ترتيبه العاشر في القصيـــدة .

وفي كتاب المقتضب (٧) للمبرد هذا البيت :

بكيـــت وما بكـــا رجـــل حزيـــن على ربعيـــن : مسلوب وبالـــي

وقـــد نسب البيت عند سيبويه الى رجل من باهلـــة ، ونسبـــه السيوطي الى ابـــن ميادة (٨) ، ولم يثبته الدليمـــي .

وفي كتـــاب « الموازنة بين ابي تمام والبحتري » (٩) بيتان لابن ميادة لـــم يثبتهما الدليمي ، لانه لم يعتمد الموازنـــة مرجعا من مراجعـــه . والبيتـــان همـــا :

يذكرنيهـــا ان تغنت حمائـــم لهـــن على خضر المضاة عويـــلُ

تجاوبن في حـــد النهار بعولـــة واخرى توافي الشمس كل اصيلِ ؟؟

ويبدو لي انهما من القصيدة رقـــم (١١٧) حسب ترتيب الدليمي ، فهما يشتركان معها في البحـــر والقافية ، كما ينسجمان معها في المعنـــى .

وفي كتـــاب « المرصع » (١٠) لمجد الدين المبارك بن محمد ، المعروف بابن الاثير ، بيت لـــم يثبته الدليمي وهـــو :

اني وجدت بني نـــوم يلفهـــم مشمـــر بثيـــاب الحرب مجتنـــب

ولـــم يعتمد الدليمي كتاب « العيون والحدائق » وفيه القصيدة التي رثى فيها ابن ميادة الوليـــد ابن يزيد . والدليمي يذكر القصيدة،ولكـــن

---

(٧) ج ٤ / ٢٩١ .

(٨) انظر هامش ص ٢٩٢ من المصدر السابق .

(٩) صـــ ١٥٢ الجزء الثاني .

(١٠) صـــ ٣٣٠ .

رواية « العيون والحدائق » تختلف قليلا ، فهـذا البيت يرد في الشعر المجمـوع هكـذا :

لقـد فعلـت بنـو مروان فعـلا وامرأ ما يسوغ بـه القراح (١١)

ويـرد في « العيون والحدائق » (١٢) هكـذا :

لقـد فعلتم بنـو مروان فعـلا ذميمـا ما يسوغ بـه القـراح

وقـد يكون الصحيح هكذا :

لقـد فعلت بنـو مروان فعـلا ذميمـا ما يسوغ بـه القـراح

ومهمـا يكن ، فقد يكون في هذه الاضافات الى عمـل الدليمـي بعض الفائدة لمـن يريد قراءة شعر ابـن ميادة . وقد يكون للتنبيـه اليها معنى الحفز لاعادة جمـع شعر الشاعر . واللـه الموفـق .

د. خليل ابو رحمة
جامعة اليرموك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١١) شعر ابن ميادة / ٣٣

(١٢) ج ٣/١٤٧.

صحيح البخاري في ترجمة ايطاليـــة

صدرت اخيرا في مدينـــة تورينو ، في ايطاليا ، ترجمة ايطاليـــــة صحيح البخاري ، في طبعة انيقـــة فاخرة . وقد قـــام بهذه الترجمة ثلاثة من المستشرقين الايطاليين ، هـــم :

السيدة فرجينيا فاكّـــا (Virginia Vacca)

والأستاذ سرجيو نويـــا (Prof. Sergio Noja)

والدكتور ميكيلي فالارّو (Dr. Michele Vallaro)